تفسير
سورة الفتح

للعلاّمة
محمّد أبي السّرور البَكريّ الصِّديقيّ

تقديم وتحقيق
سليم أبو جابر

BRILL

تفسير سورة الفَتْح

تفسير
سورة الفتح

للعلاّمة
محمّد أبي السّرور البَكريّ الصِّديقيّ
(ت 1007هـ/1598م)

تقديم وتحقيق
سليم أبو جابر

Cover illustration: The first page of the manuscript of Tafsīr Sūrat al-Fatḥ. Istanbul, MS Süleymaniye 11.
صورة للورقة الأولى لمخطوطة سورة الفَتْح. إسطنبول، مخطوطة المكتبة السُّلَيْمانيّة 11.

Typeface for the Latin, Greek, and Cyrillic scripts: "Brill". See and download: brill.com/brill-typeface.

ISBN 978-90-04-41258-3 (hardback)
ISBN 978-90-04-68279-5 (e-book)

DOI 10.1163/9789004682795

Copyright 2024 by Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands.
Koninklijke Brill NV incorporates the imprints Brill, Brill Nijhoff, Brill Schöningh, Brill Fink,
Brill mentis, Brill Wageningen Academic, Vandenhoeck & Ruprecht, Böhlau and V&R unipress.
All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, translated, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior written permission from the publisher. Requests for re-use and/or translations must be addressed to Koninklijke Brill NV via brill.com or copyright.com.

This book is printed on acid-free paper and produced in a sustainable manner.

إهداء

إلى روح المُفَكِّر الإسلاميّ ومُجَدِّدِ عَصْرِهِ

حسن التُّرابي

طَيَّبَ اللهُ ثَرَاهُ وَغَفَرَ لَهُ

∴

فهرس الكِتاب

تصدير ط
كَلِمَةُ شُكر ك

القِسم الأَوّل

مُقَدّمة التحقيق 1
1 ترجمة المُفسّر محمّد أَبو السّرور البكريّ الصدّيقيّ 1
1.1 هويّته 1
1.2 أُسرته وحياته 2
1.3 المحيط العائلي وأثرهُ على ثقافته 4
1.4 مؤلّفاته 9
2 مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح» 10
2.1 التّعريف بالمخطوطة 10
2.2 أَهميّة المخطوطة 11
2.3 نِسْبةُ المخطوطة إِلى المُفَسّر 11
2.4 مَنهجيّة المُفسّر في تفسير سورة الفَتْح 13
2.5 اللغة والأُسلوب عند محمّد أبي السُّرور البكريّ الصدّيقيّ 15
2.6 مَنْهَجُ التَّحقيق للمخطوطة 19
3 صُوَر من أَوراق مخطوطة تفسير سورة الفَتْح 22
4 المُخْتَصَرات (الرّموز) التي وردت في هذا الكِتاب 26
5 بَيْنَ يَدَي السُّورَة 27

القِسم الثّاني

النَّصُّ المُحَقَّق – تفسير سورة الفَتْح 29

باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجُرأةُ عليه ومراتب المُفسّرين 33

باب في قوله عليه الصّلاة والسّلام (أُنزِل القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ؛ فَاقْرَأُوا ما تيّسرَ منهُ) 35

مُلْحَق: سورة الفَتْح بالرّسم العُثمانيّ 103

ثَبْتُ المراجع والمصادر 105

الفهارس الفنيّة 112

تصدير

الحمد لله، ربّ العالمين الذي منّ علينا بالإيمان والإسلام وجعلنا من عباده المؤمنين المسلمين. والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد، خاتم الأنبياء والمرسلين، على آله الأبرار وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فإنّ هذا العمل (تفسير سورة الفتح) من التصانيف الحسان التي صنّفها أبو السرور تاج العارفين محمّد بن محمّد بن محمّد البكريّ الصدّيقيّ (ت1007هـ/1598م)، مفتي السلطنة بالديار المصريّة، إذ كان صاحبَ اهتمامٍ بالغٍ وعنايةٍ فائقةٍ في تفسير القرآن العظيم بجانب علوم شرعيّة أخرى، فألّف تفسيرًا كاملًا في أربعة مجلّدات، كما أنّه أفرد في بعض سوره أعمالًا مفردةً، منها تفسير سورة الأنعام وتفسير سورة الكهف وتفسير سورة الفتح (الذي هو مدار هذا الكتاب) المقدّم هنا لجمهور القرّاء ولأهل الدراية والاختصاص، بل قادَه وَلَعُهُ الشديدُ إلى وضع رسائل مستقلّة في تفسير بعض آيِه، كما فعل مع آية الكرسيّ. بهذه الجهود الأصيلة والمعارف العلميّة المتينة التي كان يتحلّى بها قد أثرى المكتبة القرآنيّة على وجه الخصوصِ إثراءً مميّزًا فيما طرحه في تفسير سورة الفتح من قضايا ومسائل ذات صلةٍ وعلاقةٍ وما عالجه فيها من مباحث وموضوعات، يجدر الوقوفُ عندها غرض المزيد من المدارسة والمباحثة.

بجانب كلّ ذلك كانت له ميولٌ قويّة إلى السياسة ونظام الحكم مع محاولات التقرُّب من سلاطين آل عثمان وحكّامهم بالديار المصريّة بإظهار موقف الأسرة البكريّة الصدّيقيّة ذات الرفعة الدينيّة والثقافيّة والمكانة الاجتماعيّة المؤثّرة تجَاههم وتعزيزه بالتأييد والمناصرة لهم ؛ فخيرُ دليلٍ على ذلك هو العملُ الذي بين أيدينا، تفسيرُ سورة الفتح، الذي وجّهه للسلطان مراد الثالث (حكم 982-1003هـ/1574-1595م) مع جزيل الإطراء عليه وعظيم التبجيل له، كما جاء في مقدّمته. كذلك صنع ابنه المؤرّخ المعروف بابن أبي السرور (ت1071هـ/1661م) فيما ألّفه في تاريخ العثمانيّين، أمثال (التحفة البهيّة في تملُّك آل عثمان الديار المصريّة) (ط) و(المِنَح الرحمانيّة في الدولة العثمانيّة) (ط) و(نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان) (ط) وغيرها.

من أجل تعميم المنفعة والفائدة في نشر ذخائر التراث العربيّ والحضارة الإسلاميّة أخذ الدكتور سليم أبو جابر على عاتقِه مهمّةَ إخراجِ هذا العملِ - بعدما أخرجَ قبل عامَيْنِ للمُفَسِّر ذاته (تفسير سورة الكهف) تحقيقًا ودراسةً - بحليةٍ علميّةٍ وفق قواعد التحقيق المعاصرة، تظهر مكانه الحقيق والجدير في المكتبة القرآنيّة وتبرز مكانة صاحبِه المفسّرِ بين أهل التفسير ؛ فوضع له مقدّمة تعريفيّة مفيدة، ثمّ قدّم النصّ المحقّق، فأحسن الأداءَ في تحقيقه وتحريره مع تعليقات وحواشٍ موضحة، حيث لزم الأمر، وألحق به فهارس فنّيّة عديدة، توقفُ كلّ مَن يطالعه على مطلبه ومبحثه بيسرٍ وسهولة ؛ فجاد وأجاد فيما حقّق وأخرجَ وفاد وأفاد فيما علّق وأبانَ.

نفع الله بعلم العلّامة أبي السرور وجعل أعماله في ميزان حسناته يوم الدين، كما أسأله، تبارك وتعالى، المزيد من التوفيق والتسديد لأخينا المفضال الأستاذ سليم في مساعيه الفاضلة وجهوده الهادفة.

كتبه يوم الجمعة الفضيل الموافق
1444/7/5هـ = 2023/1/17م
أ.د. عمر يوسف عبد الغنيّ حمدان
أستاذ التفسير وعلوم القرآن ومشرف كرسيّ تدريس العلوم القرآنيّة
معهد العلوم الشرعيّة، جامعة توبنگن
مدينة توبنگن الجامعيّة، جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة

كَلِمَةُ شُكر

أُقدِّمُ خالص شُكري وتقديري وعِرفاني، إلى المكتبة السُّلَيْمانيّة وإدارتها في مدينة إسطنبول بتركيّا العظيمة، على حُسن التّرحيب والاستقبال وكرم الضّيافة، وعلى التّسهيلات التي منحوني إيّاها من أَجل الاطّلاع وقراءة ومراجعة ونَقْل مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح» للمُفسّر محمّد أَبي السّرور البكريّ الصّدّيقيّ، في قِسم المخطوطات العربيّة. كما أَشكرهم جميعًا على فُرصة الاطّلاع على الوثائق والمراجع والمصادر الهامّة في المكتبة والاستفادة منها لإنجاز هذا العمل.

والشُّكرُ كلّه كما هو العرفان، لزوجتي وأَولادي على صبرهم لانشغالي عنهم بهذا العمل الذي أُقدّمهُ اليوم للقارئ الكريم، علّهُ يَجِدُ بين ثناياهُ ما يبتغيه مِن زاد عِلميّ لِمنفعة الأُمّة والإنسانيّة. فأَنا وقلمي عاجزانِ عن التّعبير لهم عن شُكري وعرفاني بالجميل لهم جميعًا.

وأَخيرًا، أُقدّم شُكري وامتناني إلى كلّ مَنْ ساهمَ في إخراج هذه الدّراسة وأَحتفظُ له بالجميل والعِرفان.

الدّكتور سليم أبو جابر
في الثاني عشر مِن ربيع الأَوَّل 1444هـ{مَوْلد نور الهُدى}
الثامن من تشرين أَوَّل/أُكتوبر 2022م
بيتُ المَقدِس

القِسم الأوّل

مُقَدّمة التحقيق

1 ترجمة المُفسّر محمّد أبو السّرور البكريّ الصدّيقيّ

لقد شهد المشرق العربيّ الإسلاميّ في بداية القرن السادس عشر للميلاد تغيُّرًا أساسيًا، حيث ضُمّت مِصر والشّام والعراق إلى أملاك الدولة العثمانية، وأصبحت القسطنطينية (إسطنبول) بعد انتقال الخلافة الإسلاميّة إليها مركز الثّقل ومحور الارتكاز في العالم الإسلاميّ. وبذلك انتقل النشاط العِلميّ في العالم العثماني إلى القسطنطينية مقر السلطان والخليفة وعاصمة الدولة الإسلاميّة.

نتيجة لهذا التغيُّر ضعفت حركة التأليف والكتابة باللغة العربية بسبب انتقال هذه الحركة إلى أوساط علماء الأتراك وباللغة التركية. وعلى الرغم من ذلك، فقد بُذل جُهد كبير في هذا الجانب، حيث برز خلال العصر العثماني في مِصر عدد من المؤلفين الذي كتبوا في التاريخ والعلوم الإسلاميّة والشّرعيّة والفِقهيّة، وفي التاريخ المِصريّ، حيث سجلوا ودوّنوا الأحداث التي عاصروها[1].

من بين هؤلاء المؤلفين، أنجبت مِصر عالمًا جليلاً، خَلّفَ للأجيال مِن بعده تُراثًا علميًا خَلّدَ ذِكره في التاريخ. وكان صاحب باع طويل في شتّى فروع العِلم والمعرفة. هذا العالِم والمُفَسِّر الجليل، هو محمّد أبو السّرور البكريّ الصدّيقيّ، صاحب مخطوطة تفسير سورة الفَتح، موضوع هذا الكتاب.

1.1 هويّته

ينتسبُ محمّد أبو السّرور البكريّ الصدّيقيّ (970–1007هـ/1562–1598م)، بحسب ما جاء في كُتُب التاريخ التي ترجمت لأسرته، إلى آل البكريّ. وهي أسرة مِصريّة ذات أصول معروفة وعريقة، لها أهمّيتها ومكانتها العلميّة والثّقافية في المجتمع المصريّ بل والمجتمع العربيّ عامّة. تأتي هذه المكانة بسبب نسبها الأوّل الذي يعود إلى الصّحابيّ أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه. كما أنّ هذه الأسرة تعود بنسبها إلى آل البيت «الحسن بن علي بن أبي طالب»، رضوان الله عليهم جميعًا[2]. فهو محمّد أبو السّرور، بن محمّد بن أبي الحسن المُلقّب «بمحمّد أبيض الوجه»، بن محمّد أبي الحسن،

1 انظر: يسري عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، ص175–177.

2 الصبّاغ، ليلى: المِنَح الرّحمانيّة، 39.

© KONINKLIJKE BRILL NV, LEIDEN, 2024 | DOI:10.1163/9789004682795_002

بن محمّد أبي البقا جلال الدّين، بن عبد الرحمن بن أَحمد، بن محمّد، بن أَحمد، بن عوض، بن عبد الخالق، بن عبد المنعم، بن يحيى، بن الحسن، بن موسى، بن يحيى، بن يعقوب، بن نجم، بن عيسى، بن شعبان، بن عوض، بن داود، بن محمد، بن نوح، بن طلحة، بن عبد الله، بن عبد الرحمن، بن أبي بكر الصّدّيق[3]. وتذكر المصادر التاريخيّة أنَّ أحد أجداده قد تزوّج من السيّدة الشّريفة فاطمة بنت وليّ الله، تاج الدّين محمد القُرشيّ والذي يعود نسبه إلى أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسن السّبط، بن فاطمة الزّهراء، وعليّ المُرتَضَى[4]. ويذكر المُحبّي في خلاصة الأثر، أنّ والد مفسّرنا، محمّد بن أبي الحسن البكريّ الصّدّيقيّ، يفخر في رسالته التي أرسل بها إلى سلطان المغرب أحمد المنصور السّعدي، بأرومته القُرشيّة العربيّة، فإلى جانب انتسابه إلى بني هاشم (آل النّبي محمّد عليه السّلام) وإلى بني تميم (آل أَبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه)، فإنَّ جدّته لوالدته تنتمي إلى بني مخزوم[5]. وبذَلِكَ فقد اعترف مؤرّخو القرن الحادي عشر للهجرة بقدر هذه الأسرة وفضلها، حيث جمعت إلى جانب عراقة النّسَب، شرف العِلم وفصاحة اللسان وثروة المال وثِقة الناس في ذَلِكَ العصر[6]. ويُعتبر محمّد أَبو البقاء بن عبد الرحمن جلال الدّين البكريّ الصّغير الجدّ الأول للأسرة البكريّة التي ذاع صيتُها بشرف النّسَب وبعلوّ المكانة في العِلم والأَدب والتّصوّف والغِنى واحترام العامّة والخاصّة لها، منذ أواخر القرن التاسع للهجرة وحتى الحقبة المعاصرة[7].

1.2 أُسرته وحياته

كان والده، محمّد بن أَبي الحسن البكريّ (930–994هـ/1524–1586م)[8] صاحب عِلم وفِكر وتصوّف، حيث اشتهر بذَلِكَ في الأوساط الإسلامية آنذاك، ونعتوه "بأبيض الوجه". كما عُرف في المراجع المعاصرة باسم "القُطب البكريّ" أَو "البكريّ الكبير" أَو "سيّدي محمّد البكريّ". وتذكُر

3 مُبارك، علي: الخطط التّوفيقيّة، 422/3؛ الصبّاغ، ليلى: المصدر السّابق.

4 الصبّاغ، ليلى: المِنَح الرّحمانيّة، 39.

5 المُحبّي: خلاصة الأثر 222/1.

6 البوريني، حسن: تراجم الأعيان 258/1–259.

7 مُبارك، علي: الخطط التّوفيقيّة 263/3؛ الخفاجيُّ، شهاب الدّين أَحمد بن محمّد بن عمر: رَيْحَانَةُ الأَلِبَّا وزهرةُ الحياةُ الدُّنيا 219/2–244. كذلك انظر:
Sabra, A. (2021). "Narrating a lineage's transition crisis between biography and hagiography: A case from Ottoman Egypt." In C.U. Werner, M. Szuppe, N. Michel, & A. Fuess (eds.), *Families, authority, and the transmission of knowledge in the early modern Middle East* (pp. 37–63). Turnhout, Belgium: Brepols.

8 الصبّاغ، ليلى: المِنَح الرّحمانيّة، 39؛ أبو جابر، سليم: البكري الصّدّيقي وأَثره في تأريخ مصر العثمانيّة، 10–85.

الباحثة ليلى الصّباغ أَنّ محمّدًا بن أَبي الحسن البكريّ انتهتْ إليه الرئاسة بعد وفاة والده رضي الله عنه، وأذعنتْ له سائر العلماء بالعِلم والولاية والكشف وكثرة الإنفاق من الغيب، وذلك بعد التّماهي في إلقاء الدّروس في العلوم العقليّة والنّقليّة والمعارف الباهرة والأَسرار الفاخرة والإفصاح عن جُملة كثيرة من المُعضلات[9]. أنجب والد محمّد بن أبي الحسن البكريّ (أبيض الوجه) خمسة أبناء وبنتًا واحدة، أكبرهم الشّيخ تاج العارفين أَبو الوفاء، والشّيخ محمّد زين العابدين، والشّيخ محمد أَبو المواهب وهو شقيق زين العابدين، والشّيخ محمد عبد الرّحيم، ومُفسّرنا الشّيخ محمد أبو السّرور، شقيق الشّيخ تاج العارفين أبو الوفاء[10]. أَمّا الابنة فاطمة الصّدّيقيّة، فقد تزوّجت من حسن التّميميّ[11]. وقد نشأ هؤلاء جميعهم في بيت عِلم وتصوّف، بمستوى رفيع من الأَدب والعِلم والخُلق الكريم.

كان محمّد أَبو السّرور البكريّ الصّدّيقي ذا نفوذ لدى السّلطة الحاكمة في مصر ومُقرّبًا جدًّا، حتى أَنّ والي مصر محمّد باشا[12] حضر دروسه، كما حضر خِتان ابنه محمّد بن أَبي السّرور عام 1005هـ/1596م في منزله[13]. كما تذكر المصادر أَنه لمّا قطع الوالي خضر باشا[14] أَرزاق العلماء من القمح، تدخّل محمّد أَبو السّرور الصّدّيقيّ حتى رجع الوالي عن قراره. ويذكر ابنه محمّد بن أَبي السّرور البكريّ الصّدّيقيّ أَنّ أباه ظلّ قائمًا على عمله في التّأليف والتّدريس والإفتاء حتى مات شهيدًا بعلّة "الإطلاق" عصر يوم الأَحد ثامن شهر ربيع الثّاني سنة 1007هـ/8 تشرين الثاني 1598م. وكان له من العُمر ستٌّ وثلاثون من سِنّه[15]. وبذَلِكَ يكون ميلاده سنة 971هـ/1563م، وهو أَول مَن توفّي من أَولاد البكريّ الخمسة، حيث دُفِنَ في القِرافة بجوار الإمام الشّافعيّ، رضيَ الله عنه، وضريح والده.

---

9 المصدر السّابق؛ البكري، محمد بن أبي السّرور: الرّوضة الزّهيّة، 70.

10 ابن معصوم، عليّ صَدْرُ الدّين المدنيّ الحَسَنيّ: سُلافة العصر في محاسن الشُّعراء بِكُلِّ مِصر، 408–412.

11 الصبّاغ، ليلى: المِنَح الرّحمانيّة، 61.

12 وُلّي مصر عام 1596م حتى 1598م. ثار الجُند في عهده وحاولوا قتله. انظر: شلبي، أحمد: أوضح الإشارات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، 135.

13 الصبّاغ، ليلى: المِنَح الرّحمانيّة، 39–102؛ أبو جابر، سليم: البكري الصّدّيقيّ وأثره في تأريخ مصر العُثمانيّة، 102–106.

14 وُلّي مصر عام 1598م حتى عام 1601م. انظر: شلبي، أَحمد: أَوضح الإشارات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، 126.

15 أَبو جابر، سليم: البكري الصّدّيقيّ وأَثره في تأْريخ مصر العثمانيّة، 104–105.

1.3 المحيط العائلي وأثرهُ على ثقافته

نشأَ محمّد أَبو السّرور البكريّ الصّدّيقيّ في بيت عِلم وتصوّف، وفي حِجر أَبيه المعروف بالقُطبانيّة والصّلاح والعِلم والأَدب والتّصوّف، كما حظيَ بالمراتب الرّفيعة لدى السّلطات العثمانيّة الحاكمة وعامّة النّاس. في هذه البيئة العلميّة، نشأَ مُفسّرنا، حيث صعد مراقي العِلم واشتغل ودأَبَ، وحصّلَ وكتبَ، وسمع وبيّن، وأَمرَ وأفتى، وألّف ودرّس[16]. فقد أَخذ عِلم الحقيقة عن والده المعروف بالقُطب الكبير، وتفقّه على يد الشّهاب بن القاسم[17]. وكان من مشايخه العلاّمة محمد الخفاجيّ[18]، ومُفتي المسلمين نور الدّين علي بن غانم المقدسيّ[19]، والنّور العسيليّ[20]، والشّيخ عبد القادر الأَطروني[21]. كما درسَ الطّب وتعمّق في دراسته.

فالمُفَسّر محمّد أبو السّرور البكريّ الصدّيقيّ، كان قد تزوّج أحدُ أجدادهِ من السيّدة الشّريفة فاطمة بنت وليّ الله، تعالى، السيّد تاج الدين محمّد القُرشي، بن السيّد محمّد، بن عبد الملك، بن السيّد يَرحُم، السيّد الشريف حسان، بن السيّد الشريف سليمان، بن السيّد الشريف محمّد، بن السيّد علي، بن السيّد محمّد، بن السيّد عبد الملك، بن الحسين المكفوف، بن السيّد علي، بن الحسن المثلث، بن الحسن المثنى، بن أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسن والسبط، ابن فاطمة الزهراء وعلي المُرتضى[22].

---

16 البكري، محمد بن أبي السّرور: الرّوضة الزّهيّة، 84.

17 هو أَحمد بن قاسم الصبّاغ العباديّ، المصريّ الشّافعيّ الأَزهريّ شهاب الدّين. أَحد كبار فقهاء الشّافعيّة في مصر، وكان بارعًا في اللغة العربيّة وبلاغتها، وعلوم التّفسير والكلام. تُوفّي عام 994هـ/1585م. انظر: الحنبليّ: شذرات الذّهب 434/1؛ الزِّرِكْلِيّ: الأَعلام 189/1.

18 هو محمد بن عمر الخفاجيّ، أَحد أشهر علماء الشّافعيّة في عصره. وهو والد أَحمد الشّهاب الخفاجيّ العالِم والأديب. توفّي عام 1603م. انظر: المُحبّي: خلاصة الأَثر 189/1.

19 هو عليّ بن محمد بن محمد علاء الدّين الخزرجيّ المقدسيّ والشّهير بابن غانم. وهو أحد كبار علماء الحنفيّة في عصره وله عدّة مؤلفات. توفي عام 1596م. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأَعلام ج166/5؛ البكري، محمد بن أبي السّرور: الرّوضة الزّهيّة، 79.

20 هو عليّ بن محمد العسيليّ نور الدّين، المصريّ. كان بارعًا في العلوم النّقليّة والعقليّة. لا يُعرف بالضّبط تاريخ وفاته، وذكر المُحبّي في شذرات الذّهب أنه تُوفّي 1585م، بينما في الكواكب السائرة ذُكِرَ أنه تُوفّي عام 1565م. انظر: الحنبليّ: شذرات الذّهب 434/8؛ الغزّي، نجم الدّين الكواكب السّائرة 181–180/3.

21 لم يُعْثَر له على ترجمة!

22 انظر: البكري الصدّيقيّ: المِنح الرحمانية، مكتبة الجزائر الوطنية، رقم:1651، لوحة:47أ.

لقد رَجَّحَت المؤرخة المعاصرة، ليلى الصباغ[23] أن المَسْكَنَ الأول للأسرة البكريّة في مِصر لم يكن في القاهرة، وإنما كان في الصعيد الأدنى وفي بليدة (دهروط)[24] من أعمال البهنسا[25]. وكان أول القادمين إلى مدينة القاهرة ليقيم فيها، هو والدُ جدّ الفُسِّر البكري الصدّيقيّ وهو: «محمّد أبو البقاء بن عبد الرحمن بن أحمد المعروف بجلال الدين البكري»[26]. وقد كان هذا من كبار فقهاء القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد (807–891هـ/1404–1486م). وقد قدم مِن مسكنه في (دهروط) إلى القاهرة، وأخذ العِلم فيها وعلا صيته وبرع في الأصول والحديث، وتفرد بفروع الشافعية، كذلك زار دمشق والقدس وأدى فريضة الحج، وأصبح قاضيًا على الإسكندرية والإفتاء والتأليف.

ويرجعُ سبب انتقال سلف البكري الصدّيقيّ إلى مِصر، هو أن جلال الدين البكري قد تزوج أخت الشيخ عبد القادر الدَّشْطُوطِيّ[27]. ولذلك فقد طلب الدَّشْطُوطِيّ من جلال الدين البكري أن يأتي إلى القاهرة ليكون قريبًا منه، فاستجاب له شريطة أن يبني له الدَّشْطُوطِيّ مدرسة بالقرب من زاويته. وقد تمّ له ما أراد، حيث بنى له الجامع المعروف باسم الجامع الأبيض، الذي يُدعى أيضًا جامع البكريّة. وقد تمَّ بناؤه عام 908هـ/1502م، على يد جلال الدين البكري أبو البقاء[28]، والذي يعرف بجلال الدين البكري الصغير، حيث هو الجدّ الأول للأسرة البكريّة. لقد اشتغل جلال الدين منذ قدومه إلى القاهرة بالعلوم حتى وفاته عام 922هـ/1516م[29]. لقد أنجبَ جلال الدين البكري هذا وَلَدَيْن اثْنَيْن هما: أبو الحسن البكري والشيخ محمّد صالح، حيث اشتهر الأول بالعِلم والدين والتأليف على عكس أخيه الشّيخ محمّد صالح. وهو جدّ المُفَسِّر البكري الصدّيقيّ، ومع أنه كان متصوّفًا إلا أنه عُرِفَ بالثراء، وقد كانت وفاته عام 952هـ/1545م[30].

ومهما قال المؤرخون في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد في عيوب أولاد محمّد

---

23 انظر: البكري الصدّيقيّ: المنح الرحمانية، ص:41.

24 تقع على شاطئ غربي النيل إلى الشمال من المنيا. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان 492/2.

25 تقع في محافظة المنيا من صعيد مِصر. كان لها نشاط هام في عهد المماليك. انظر: ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مِصر في العصر العثماني، ص:378.

26 يبدو أن هناك شخصيتين عالمين باسم محمّد جلال الدين البكري، أحدهما هم عَمّ الآخر، فجلال الدين البكري هو العَمّ أو الكبير كما لقبه البكري الصدّيقيّ. انظر: الزِرِكْلِيّ: الإعلام 67/7؛ محمّد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع182/2.

27 انظر: ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب1/ 820.

28 انظر: علي مبارك: الخطط التوفيقية لمِصر والقاهرة 3/ 266.

29 انظر: البكري الصدّيقيّ: الروضة الزهية، ص:41.

30 انظر: نجم الدين الغزيّ: الكواكب السائرة 197/1.

البكري، فإنهم يعترفون في نهاية الأمر بأنهم كانوا من أصحاب المراتب الرفيعة في العِلم والأدب والتصوّف، ومُناصرون للسّلطان العثمانيّ[31].

في حقيقة الأمر، لا نعلمُ ما إذا كان لمحمّد بن أبي السّرور البكري الصدّيقيّ هذا إخوة أم لا، ولكن يظهر أنه كان وحيد أبويه، بدليل أن والده قبل وفاته بعامَيْن قد أقام له خِتانًا فخمًا وصفه ابن أبي السُّرور بقوله: «كان نادرة الزمان، وفريدًا في الحسن والإتقان، أبذل فيه أموالاً كثيرة، وتجمّل فيه بتجميلات غزيرة. أصرفَ فيه مِن النّقد خمسة آلاف دينار، ومِن الأقمشة وغيرها ما يزيد عن هذا المِقدار. ونزل فيه البكلربكيّ المذكور (أي محمّد باشا) بمنزل والدي شيخ الإسلام أبي السُّرور، وجلس فيه ثلاثة أيام مع الإحسان لغالب مَن حضر الفَرح مِن الأنام وأرباب الملاهي المستحسنات، الآتين عند سماعهم بالفَرح مِن سائر الجِهات؛ فكانت مُدّة الفَرح أربعين يومًا، لم يذقْ فيها غالب أهل مِصر من السُّرور نومًا، مع الوقدات الوافرة ببركة الرّطليّ، التي أصبحت على جميع أمثالها فاخرة. وذلك في زمن النّيل السّعيد لا زال ممتدًا بعون الملك المجيد، في شهر ربيع الأوّل سنة خمس وألف»[32] (تشرين الأول–الثاني 1596م)، فلو كان لأبي السُّرور أولاد آخرون لأشار إلى ذلك على أقلّ تقدير.

مما سبق ذِكره، يمكن القول بأن مُفَسّرنا – كما باقي أُسرة آل البكري الصدّيقيّ– قد نشأَ نشأة دينيّة وعِلميّة؛ فهو سليل أسرة البكري الشهيرة في مِصر، والتي يتّصل نسبها مِن جِهة الأب إلى الخليفة الأول أبي بكر الصدّيق، ومِن جِهة الأمّ إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا. وبيت الصّدّيق في مِصر كان بيتًا للرئاسة والعِلم في العصر العثماني، ولعبَ في حياة مِصر الدينيّة والسياسيّة أَدوارًا هامة لا تُحصى، فكان لا يُبْرَمُ أمرٌ هامٌ مِن أمور مِصر إلا بموافقة زعيم البكرية والوفائية وعُلماء الأزهر[33]. هذا بالإضافة إلى الثراء والجاه، حيث كان المُفَسّر محمّد أبو السّرور البكري من أسرة ثرية وغنية واسعة الثّراء. فلا غرابة في ذلك؛ فابن أبي السُّرور من أسرة لها مكانتها الدينيّة المرموقة في المجتمع المِصري، ممّا كان سببًا في ثراء هذه الأسرة، ورخاء حالتها الاقتصادية، حيث سجلت دفاتر الالتزام ووثائق المحكمة الشرعية في ذلك الوقت أسماء الكثير من هذه الأسرة كمُلتزمين منذ بدأ تطبيق النظام العثماني في مِصر[34]. كما أنّ مكانة هذا العلاّمة في

31 انظر: البكري الصدّيقيّ: الروضة الزهية، ص:84.

32 انظر: المصدر السابق، ص:81؛ البكري الصدّيقيّ: المِنح الرحمانيّة، معهد المخطوطات المصورة بالقاهرة، 53ب–54أ. والكواكب السائرة، 30أ. والتحفة البهية، 48ب.

33 انظر: حسين الروزنامجيّ: ترتيب الديار المِصرية في عهد الدولة العثمانية، ص:24. انظر: أيضًا: دائرة المعارف الإسلامية، 51/4؛ ليلى عبد اللطيف، «ابن أبي السُّرور البكري: عصره ومؤلفاته»، نشر في كتاب: بحوث في التاريخ الحديث، القاهرة، 1976، ص:128–147.

34 انظر: عبد الرحيم عبد الرحيم: الريف المِصري في القرن الثامن عشر، ص:74.

المجتمع المِصري، يسّرت له سبيل الاطّلاع على أسرار ودقائق الأمور التي كانت تحصل في مِصر العثمانية، الأمر الذي أثّر على نهجه العام في التفسير وتدوين الأحداث التي حدثت في زمنه.

كما يُمكن القول إنّ المُفَسِّر محمّد أبا السُّرور البكري الصدّيقيّ قد نال تعليمه الأوّل على يد والده محمّد بن أبي الحسن البكري، حيثُ تعلّم الكتابة وحِفْظ القرآن وتفسيره ورواية الحديث؛ فقد كانت هذه هي العادة المألوفة عند أولاد العلماء[35]. وقد كان من المألوف عند العلماء آنذاك أن تُمنح الإجازة من كبار الشيوخ لأولاد العُلماء وهم في سِنّ صغيرة جدًا، إذ كان آباؤهم يسعون لدى كبار المشايخ لمنحها لهم[36]. وعليه، فإنّ المُفَسِّر كانت له علاقة وثيقة بالنُّخبة الفِكرية المتنوّعة في عصره وبالذات في القاهرة، وأنه كان يعيش في خضمّ هذا الجو الفِكريّ السائد في تلك المدينة. وبذلك فقد كان المُفَسِّر على اتصال وتفاعل واسعَيْن وعميقَيْن بثقافة مِصره وعصره، حيث ساعده في ذلك، البيئة العِلمية الصوفيّة، والتي تمتّع بالثراء العريض والأرستقراطية، وتحظى بالنفوذ لدى الحُكّام العثمانيين في مِصر، والاحترام الاجتماعيّ والدينيّ مِن طبقة المثقّفين المِصريين، وما يشبه الولاء لدى الطّبقات العامّة، وقد ورث مُفَسِّرُنا الكثير من كلّ هذا.

أمّا بخصوص تولّي أبو السّرور منصب «مفتي السلطنة الشريفة بالديار المصريّة»؛ فقد ذكر المؤرخون أنّ الدولة العثمانية عندما سيطرت على مقاليد الأمور في مصر وأصبحت إمارة عُثمانيّة، لم تهتم حينها بإحداثِ تغييرات في مناصب الإفتاء أو السيطرة عليها. ثمّ حدث تحوّل مُهمّ في نظرة الدولة إلى الإفتاء في مصر، مطلع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. حيث حاولت إيجادَ مناصب رسميّة للفتوى يتمّ تعيين شاغليها من إسطنبول، بعد أن كان يشغلُ منصب الإفتاء تطوّعًا، الإمام الشّافعيّ شمس الدين الرمليّ (919–1004هـ/1513–1596م)[37]، الذي كان مُتمسّكًا بهذا المنصب الرّفيع ويرفضُ مِثل هذه المحاولات. وقد كان علماء مصر – خاصة الشافعيّة منهم – يهابونه ويجِلّونه، ويخشون تولّي مناصب للإفتاء مِن قِبَل الدولة في وجوده بسبب مكانته العِلميّة والدينيّة والاجتماعيّة.

وبما أنَّ الدولة العثمانيّة هي دولة مُسلمة سُنيّة على المذهب الشّافعيّ، وآل على أبي السّرور البكري التواصل مع السلطان العثماني والسلطات العثمانيّة، بل وتوثيق العلاقة إلى حدٍّ بعيد،

35 انظر: البكري الصدّيقيّ: المنح الرحمانية، ص:72.

36 انظر: البكري الصدّيقيّ: المنح الرحمانية، ص:72–73.

37 هو محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرمليّ. فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى. اشتهر «بالشافعيّ الصغير». ويُعتبَر مِن علماء القرن العاشر الهجري حيث لُقّبَ بمجدّد القرن العاشر. كان مولده ووفاته بالقاهرة. انظر: الغزّيّ: لُطف السَّمَر1/77–85؛ كحّالة: مُعجَم المؤلّفين 8/ 255–256.

حيث تجرّأ أبو السرور البكري على أن يطلب رسميًّا من الدولة تولّي منصب إفتاء الشافعيّة بالديار المصريّة، الأمر الذي أغضبَ الإمام الرمليّ، حيث اعتبر ذلك تعدّيًا عليه وطعنة في الظّهر لمُفتي الديار المصريّة. فاضطر البكري للتراجع عن طلبه والاعتذار للرمليّ. لذلك لم تجرؤ الدولة العثمانية على تعيين آخر في وجود الرمليّ في هذا المنصب، واضطرّت إلى تأجيل إشغال هذا المنصب والانتظار حتى وفاته لتُجري بعض الإصلاحات على نظام الإفتاء.

بعد وفاة الإمام الرمليّ، أوجدت الدولة العثمانية منصب «مفتي السلطنة الشريفة بالديار المصريّة». حيث سعت للسيطرة على الإفتاء بتعيين مُفْتٍ شافعي يحمل هذا اللقب، وهو مُفَسِّرنا محمّد أبو السرور البكري، الذي كان أوّل مَن لُقّبَ «مفتي السلطنة الشريفة بالديار المصرية»، و«شيخ الإسلام». بعد وفاته انتقل منصب «مفتي السلطنة الشريفة» إلى أخيه الأكبر أبي الوفاء تاج العارفين، الذي لم يمكثْ في المنصب إلا عامًا واحدًا، ثم سافر لأداء فريضة الحجّ في نهاية سنة 1007هـ/1598م، حيث وافتهُ المَنيّة في طريق عودته إلى مصر في العام ذاته. ثمّ توارثت أسرة البكري هذا المنصب مِن بعده بدعم وتأييد السلطة العثمانيّة حتى عام 1086هـ/1676م، وهو العام الذي تُوفّي فيه الشيخ محمّد بن زين العابدين البكري وهو آخر مَن حمل لقب «مفتي السلطنة الشريفة بالديار المصرية». ومهما يكُن مِن أمر، فإنَّ منصب المفتي في ذلك الوقت لم يكن له دور في الحياة القضائيّة أو الفقهيّة، أو حتى الإداريّة، بل كان بالنسبة لآل البكري، نوعًا مِن الوجاهة الاجتماعيّة التي اكتسبتها هذه الأسرة في المجتمع المصري[38].

38 انظر: البُوريني: تراجم الأعيان1/256–257؛ المُحِبّي: خُلاصة الأثر3/342–348؛ 1/117؛ الغزّيّ: لُطف السَّمَر1/265–266؛ ليلى الصبّاغ، ص62–64. كذلك انظر:
Sabra, A. (2021). "Narrating a lineage's transition crisis between biography and hagiography: A case from Ottoman Egypt." In C.U. Werner, M. Szuppe, N. Michel, & A. Fuess (eds.), *Families, authority, and the transmission of knowledge in the early modern Middle East* (pp. 42–44). Turnhout, Belgium: Brepols.

1.4 مؤلّفاته

أَلّفَ محمّد أَبو السّرور البكريّ الصّدّيقي تفسير القرآن الكريم، حيث فسّره في أَربعة مُجلّدات لم يُعْثَر عليه بعد ولم يُنْشَر، وتفسير سورة الكَهْف في مُجلّد[39]، وتفسير سورة الفَتْح في مُجلّد كبير[40]، والتي نحن بصدد تحقيقها في هذا الكتاب، وتفسير سورة الأَنعام في مُجَلَّدَين، وتفسير آية الكرسيّ[41] (البقرة 255:2) للسلطان محمّد بن عثمان[42]. هذا بالإضافة إلى شرح «هداية الطّالب في الفِقه» لجدّهِ أَبي الحسن البكريّ، رحمه الله.

39 تمّ بحمد الله تحقيق السّورة الكريمة ونشرِها في كتاب للعبد الفقير كاتب هذه السّطور، عام 1442هـ/2021م.

40 انظر: فرغل، أحمد عبد النّبي: السلالة البكرية 881/2.

41 لم يُعْثَر بعد عليها ولم تُنْشَر.

42 هو السّلطان محمد الثّالث ابن السّلطان مُراد الثالث العثمانيّ. حكم بين الأَعوام: 1595م–1602م. تميّز عهده بالحرب مع المجر. انظر: القرمانيّ: أَخبار الدّول وآثار الأَوَل، 331–332؛ الصبّاغ، ليلى: المِنَح الرّحمانيّة،247–253.

2 مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح»

2.1 التّعريف بالمخطوطة

إنَّ مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح»، التي بين أَيدينا، تقعُ في مُجَلَّد واحد، وتُنْسَبُ إلى المُفسّر محمّد أبي السّرور البكريّ الصّدّيقيّ (970–1007هـ/1562–1598م). تُوجد النُّسخة الأَصليّة في المكتبة السُّلَيْمانيّة في إسطنبول في قِسم المخطوطات العربيّة، وهي تحت رقم [المكتبة السُّلَيْمانيّة 118] في نهاية الصفحة الأولى. وفي رأس ذات الصّفحة كُتِب ما يلي: [تفسير سورة الفَتْح لمحمّد أبي السّرور الصّدّيقيّ]، وقد شرعَ المُفَسِّر بتفسيره للسّورة الكريمة من الورقة رقم [2] وانتهى منه مع نهاية ورقة رقم [73]. أُشير هُنا إلى أَنّني لم أَعثُر على نُسخة أُخرى لنفس المخطوطة في أَيّ مكتبة أُخرى أَو أَيّ معهد للمخطوطات العربيّة. والمخطوطة مُؤلَّفة من (73) ورقة بخطّ واضح وغامق وسَهل القراءة، ومن (144) صفحة، حيثُ تُفْتَتَحُ المخطوطة في الصّفحة الثانية من الورقة الثانية [2ب] بعبارة «إنّ أَبْهَى دُرَرٍ نثرتها في أَردانِ الطُّروسِ الأَقلامُ، وأَزهرَ روض لا تُغيّر نضرتهُ الليالي والأيامُ، وأَعذبَ مورد تصدرُ عنه الصّدور راوية لِما لا تَشكو أبعدهُ حرّ الأُوَام». وفي الصّفحة الأخيرة أنهى المُفَسّر تفسيره مُتوجّهًا إلى العليّ القدير بالدُّعاء: «اللَّهُمَّ، كما أَهَّلْتَ هذا العَبد لِبَيَانِ معاني كتابك، وأظهرتَ على أَسَلَةِ لسانه[43] بيِّنات خِطابك؛ إغْفِرْ ما قَصَّرَ في فَهْمِهِ فِكْرُ مخلوق مِن مخلوقاتك، ومصنوع مِن مصنوعاتك. وأَيِّدْ سلطان الإسلام وظِلّكَ السّابغ على الأنام، أمير المؤمنين وسيّد خُلفاء الموحّدين، سلطان أهل السُّنَّة والجماعة، الذي جعلتَ به للدِّين عِزَّة وارتفاعة، أمير المؤمنين مُراد. وبلّغْهُ مِن العُمْرِ ما لا تُحصيه الأعداد؛ فأنتَ المسؤول مِن حيثُ رحمتِكَ، وإلاّ فَمَنْ يتأهّل لسُؤْلِكَ لولا ما سَبَقَتْ به إرادتُك. وأنْ تُصلّيَ وتُسَلِّمَ على نور الأنوار، وسِرّ الأسرار، محمّد النّبيّ المُختار، صلاةً وسلامًا دائمَيْنِ إلى يوم الفرار». وقد اختتمَ المخطوطة بقوله: «تمّ تأليفُها على يد هذا العَبد الضّعيف الذي حَقّقْتَ له بهذه المُقَدّمَة مِن عنايتكَ التّشريف، محمّد أبي السُّرور بن محمّد أبي الحسَن الصدّيقيّ، سِبْط آل الحسَن. وذلك في يوم الأربعاء، العشرين مِن جُمادى الآخرة، سنة ثمان وتسعين وتسعمائة[44]». وفي هذا إشارة إلى أنَّ المُفَسّر قد أنجز تفسيره لسورة الفَتْح قبل وفاته بِتِسْعِ سنوات، حيث رحل الرّفيق الأعلى عام 1007هـ/1598م.

عدد أَوراق المخطوطة يبدأ مِن (2أ–73ب). أَمّا عدد الأَسطر في كل صفحة من صفحات المخطوطة فهو (15) سطرًا ما عدا صفحة [2أ]، حيث تحتوي فقط على (12) سطرًا، وفي كلّ سَطر يوجد ما بين7–10 كلمات. وهذا يشبه تمامًا ما جاء في مخطوط سورة الكَهف للمُفَسّر ذاته والتي قُمْتُ بتحقيقها ونشرها عام 1442هـ/2021م.

---

43 أي طرفُ لسانه.

44 [20 جُمادى،998هـ/26 نيسان، 1590م].

2.2 أَهميّة المخطوطة

تأْتي أَهميّة مخطوطة سورة الفَتْح التي عملتُ على تحقيقها في هذا الكتاب، في إِطار الأَعمال والمؤلّفات العلميّة التي قام بها هذا العالِم المُفَسّر الجليل، والتي أَضافت للمكتبة الإِسلاميّة والعربيّة أَبعادًا هامّة في علوم التّفسير والحديث النّبويّ الشّريف والتّصوّف واللغة والجغرافيا والتاريخ. كما كشفت للباحثين والمعنيّين بتلك الحقبة التّاريخيّة مدى غزارة العِلم والبحث العلميّ في مجال العلوم القرآنيّة وعلوم الحديث والفِقه واللغة والتأْريخ، والاهتمام بهذه العلوم مِن قِبَل العُلماء وسلاطين الخلافة العثمانيّة الذين سَعَوا دومًا لِدَعم العِلم والعُلماء والتّقرّب منهم وإِليهم.

لقد أَلّفَ محمّد أَبو السّرور الصّدّيقيّ في تفسير القرآن الكريم عدا تفسير سورة الفَتْح التي نحن بصددها هنا، تفاسير أُخرى لبعض سُوَر القرآن الكريم وآياته، والتي جئتُ على ذِكْرِها أَعلاه، وكذَلكَ في الفِقْه وغير ذَلكَ. إِنَّ هذا الكَمّ الهائل من النّتاج العِلميّ لمُفسّرنا لَيَدُلُّ على مستواه العِلميّ الرّفيع والغنيّ بعلوم اللغة العربيّة وعِلم التفسير والفِقْه، كما يدُلُّ على طابَع البيت والأُسرة التي تربّى فيهما؛ حيث العِلم والمعرفة والتّصوّف وثقافة العطاء والنّتاج العِلميّ النّافع، مع العِلم أَنَّ مُفسّرنا قد رحل إِلى الرّفيق الأَعلى، دون سِنّ الأَربعين.

2.3 نِسْبةُ المخطوطة إِلى المُفَسّر

كما أَسلفتُ أَعلاه، فإِنّ مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح» تُنْسَبُ إِلى المُفسّر محمّد أَبي السّرور البكريّ الصّدّيقيّ. وهذا ما يؤكّده المُفسّر نفسهُ في هذه المخطوطة، حيث جاء في السّطر الأَخير من الورقة [2أ] والوَرَقَتَيْنِ [3ب] و [3أ]، بعد أَنْ حَمَدَ اللهَ وأَثنى عليه وعلى رسوله الكريم عليه السّلام، قوله: «وبعد، فإِنَّ الأُمور مرهونة بأَوقاتها، والعِناية الرحمانيّة إِذا جاءَ زمنُها تبرزُ بذاتها. وقد طال ما أَجّلتُ جواد الأَفكار في ميدان الأَنظار. سائلاً من الله سبحانه أَنْ يُشرّفني بشيء مِن الكتابة على شيء مِن سُوَر الفُرقان، لَعَلّي أَنْ أَتعلّق بأَهداب أَهل هذا الشّأْن مِن أَهل العِرفان. فيسّرَ اللهُ، تعالى، إِلى حجّ بيته الحرام ووصولي لِتلك المشاعِر العِظام؛ فأَعملتُ بعملات الابتهال، وقد تمسّكتُ مِن بيت الله، تعالى، بالأَذيال سائلاً مِن الله، تعالى، بلوغ رتبة هذا الكمال.

هذا، وإِنّي مِن الكِنانة الصدّيقيّة والعصابة اليتيميّة القُرَشيّة؛ فلا بدعَ أَنْ تصدر عنهم هذه الأَسرار وفي حقّ جدّهم أَنزل اللهُ، سبحانه: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[45] [التّوبة 9:40]. والحامل على التّرحال من الأَوطان، وركوب تلك السّباسب بين أَغصان المُرّان، أَنْ أَصرفَ الوُجهةَ لربِّ الأَرباب، أَنْ يبلغَ سلطان الإِسلام وخليفة الله لكافّة الأَنام الأَراب. فحصل الإِذنُ

45 الآية كاملة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا, فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبة 9:40].

السّبوحيُّ والواردُ الرّوحيّ بأنْ أتكلّمَ بالمجالس العامّة في حرم الله أمام بيت الله في تفسير سورة الفتح المُبين[46]؛ فكانت إشارة مِن الله، سبحانه، بنُصرة سُلطاننا أمير المؤمنين على الفئة الرّافضة المُضلّين. فلمّا انتثر بتلك المحافل عقدُ البيان بما تَعْصُرُ عن مُداناته الجُمانُ، أحببتُ أنْ أودعَ تفسير هذه السّورة الشريفة بطون الطُّروس، وأنْ أزفَّ مِن بنات الأفكار على منصّات العقول مِن المعاني الشموس خادمًا بذلك خليفة الله على كافّة خليقته ومخبَارٌ لنظْمِ نظامِ أوامرِ بريّته، أمير المؤمنين، المُعتصم بالله، المهدي بنور الله». إنَّ ما جاء في هذه المُقدّمة لدليلٌ قاطعٌ بأنَّ المُفسّر مُحمَّدًا أبا السُّرور الصّدّيقيّ هو مَن كتبَ هذه المخطوطة، حيث اعتبر نفسه من بيت وسُلالة الخليفة أبي بكر الصّدّيق رضيَ الله عنه، وأنَّ واجبه الدّيني والخُلُقيّ يُحتّمُ عليه خِدْمة هذا الدّين وأهلِه وخِدمة أمير المؤمنين، الخليفة العثمانيّ، وذلكَ من خلال هذا العمل المتواضع، وهو تفسير سورة الفَتْح. كما أشار المُفسّر بشكل واضح إلى سبب وزمن كتابة هذا التّفسير، وفي عهد أيّ سلطان عثمانيّ، عندما استرسل في القول: «فلا يعتريه في أمرِه اشتباهُ. السلطانُ بن السلطان، والخاقان بن الخاقان، ملك سُبُل القِبْلَتَيْنِ، خادم الحَرَمَيْنِ الشّرِيفَيْنِ، السلطان مُراد[47] خان، ثاني عشر الخواقين العِظام من آل عثمان، مَدَّ اللهُ، تعالى، ظلال خلافته إلى انتهاء الزمان».

مِمَّا تقدَّم، يظهر جليًّا موقف المُفسّر محمّد أبي السّرور الصّدّيقيّ، المؤيّد وبشدّة للدّولة العثمانيّة وللسلطان العثمانيّ، الذي يصفه «بأمير المؤمنين» و«مَلك سُبُل القِبْلَتَيْنِ، خادم الحَرَمَيْنِ الشّرِيفَيْنِ». كما يظهر جليًّا التّقارب والتأييد التّام مِن قِبَل العلماء، وخاصّة مِن آل البكريّ الصدّيقيّ، للسلاطين العثمانيّين وللدّولة العثمانيّة التي يعتبرونها امتدادًا للخلافة الرّاشدة. يأتي هذا التأييد وبهذا الشّكل خاصّة من عُلماء آل البكري الصّدّيقيّ الذين يعتبرون أنفسهم امتدادًا للخليفة أبي بكر الصّديق، رضيَ الله عنه. ويُمكن أنْ نستنتج مِن خلال الدّراسة والمقارنة، ومِن خلال ما جاء في مخطوطتَيْ «تفسير سورة الفَتْح» و «تفسير سورة الكَهْف» للمُفَسّر ذاته، أنَّه قام بتفسير سورة الفَتْح قبل تفسيره لسورة الكَهف، التي أكّد أنّها آخر نتاجه العِلميّ، وذلكَ بدليل ما ذكره المُفسّر نفسهُ في الورقة الأخيرة من مخطوطة «تفسير سورة الكَهْف» والتي جاء فيها: «وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ مَا حَرَّرَ البَنَانُ وَنَثَرَ عِقْدَهُ فِي أَرْدَانِ الأَذْهَانِ رَاجِيًا مِنَ اللهِ الفَوْزَ بِأَعَالِي الجِنَانِ وَسَائِلًا مِنْهُ العَفْوَ وَالغُفْرَانَ، عَمَّا زَلَّ بِهِ القَدَمُ فِي تَحْبِيرِ هَذَا البَيَانِ، مُصَلِّيًا عَلَى أَشْرَفِ الإِنْسِ وَالجَانِّ،

46 هذا دليل على أنَّ مُفَسّرُنا قام بتفسير سورة الفَتْح في حَرَم الكعبة المُشَرّفة أمام بيت الله الحرام.

47 هو السلطان مُراد الثالث ابن السلطان سليم. كانت مُدّة سلطنته إحدى وعشرين سنة [982–1003هـ/1574–1595م]. تولّى الحكم وهو في الثلاثين من عمره. انظر: المُحبّي: خلاصة الأثر4/341–354؛ الصبّاغ، ليلى: المِنَح الرّحمانيّة،208–210.

سَيِّدِ مَن اُخْتِيرَ مِنْ أَرُومَةِ عَدْنَانَ، مُسَلِّمًا عَلَيْهِ، مَا خَضَعَ لِعِزَّتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ مَعَاقِدُ التِّيجَانِ وأَدْرَجَ تَحْتَ كَلِمَتِهِ الأَحْمَدِيَّةِ كُلَّ مَلِيكٍ وَسُلْطَانٍ»[48].

2.4 مَنهجيّة المُفسِّر في تفسير سورة الفَتْح

إِنَّ الدّولة العثمانيّة بالنسبة لآل البكريّ ولمُفسّرنا محمّد أَبي السّرور البكريّ الصّدّيقيّ هي بمثابة هِبات ربّانيّة حباها بها اللهُ تعالى، لتستمرّ في الحِفاظ على كِيان الخلافة الإِسلاميّة وبقاء الشّرع ونَشْرِ الإِسلام في ربوع المعمورة، وإِرساء العَدْل والأمن والأمان. من هذا المُنطَلَق، سعى مُفسّرنا من خلال كل مُؤلَّفاته، وكذَلِكَ هنا في تفسيره لسورة الفَتْح التي بين أَيدينا، أَن يخدم هذه الدّولة وسلاطينها، وهذا ما جاء في بداية مؤلَّفه كما أشرتُ إلى ذلك في السّطور السّابقة. لقد افتتحَ المُفسّر مؤلَّفَهُ هذا كما هو معهود عند عُلماء عصره، بعد أَنْ حَمَدَ اللهَ وأَثنى عليه وعلى رسوله الكريم، ﷺ، بالمديح والثّناء لآل البكريّ، ثمّ الدّولة العثمانيّة وسلطانها الذي يمثّل رمز الخلافة الإِسلاميّة واستمراريّتها. بعد هذا التّقديم، شرع المُفسّر في ذِكر أَسباب اختياره لسورة الفَتْح وتفسيرها في مقدّمة تفسيره بقوله: «هذا، وإِنّي مِن الكِنانة الصّدّيقيّة والعصابة اليتيميّة القُرَشيّة، فلا بدعَ أَنْ تصدرَ عنهم هذه الأسرار وفي حقّ جدّهم أنزل اللهُ، سبحانهُ: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التّوبة 40:9]. والحامل على التّرحال من الأوطان، وركوب تلك السّباسب بين أغصان المُرّان، أَنْ أصرفَ الوُجهةَ لربِّ الأرباب، أَنْ يبلغَ سلطان الإِسلام وخليفة الله لكافّة الأنام الأراب. فحصل الإِذنُ السّبوحيُّ والواردُ الرّوحيّ بأَنْ أتكلّمَ بالمجالس العامّة في حرم الله أمام بيت الله في تفسير سورة الفتح المُبين، فكانت إِشارة مِن الله، سبحانه، بنُصرة سُلطاننا أمير المؤمنين على الفئة الرّافضة المُضلّين». وأضاف قائلاً: «فلمّا انتثرَ بتلك المحافل عقدُ البيان بما تَعْصُرُ عن مُداناته الجُمانُ، أحببتُ أَنْ أودعَ تفسير هذه السّورة الشّريفة بطون الطُّروس، وأَنْ أزفَّ مِن بنات الأفكار على منصّات العقول مِن المعاني الشموس خادمًا بذلك خليفة الله على كافّة خليقته ومخبارٌ لِنظْمِ نظام أوامر بريّته، أمير المؤمنين، المُعتصم بالله، المهدي بنور الله».

بعد هذه المُقدّمة التي لا بُدَّ منها، عرّجَ المُفسّر على فضائل القرآن الكريم ونِعَمِه على العالمين. كما عرَّجَ على عِلْم التفسير وأهميّة ومراتب المُفسّرين في باب أسماهُ «باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجُرأةُ عليه ومراتب المُفسّرين». ثمّ جاء في باب آخر، على ذِكْر الأَحاديث النّبويّة الشّريفة التي وردت في ذِكْرِ القرآن الكريم وفَضْل قراءته والعمل على تعلّمه وتعليمه وتفسيره، فقال: «فَمِن الواجب على المُتكلّم في تفسير كلام الله، تعالى، أَنْ يذكرَ شيئًا ممّا ينشرح به الخاطر

48 انظُر: البكريّ الصّدّيقيّ: تفسير سورة الكَهْف. تحقيق وتعليق ودراسة: سليم أبو جابر، دار الشّروق، عمّان–رام الله، ط1، 2021، ص160–161.

ويُقرّبهُ الناظرُ ممّا ورد في فَضْلِهِ مِن الأحاديث النّبويّة والآثار البهيّة». أشيرُ هنا إلى أنَّ عنوان هذَيْن البابَيْن مكتوبن باللون الأزرق الغامق.

لقد جاءت اعتمادات المُفسّر محمّد أبو السّرور البكريّ الصّدّيقيّ في تفسيره لسورة الفَتْح كما يلي:

- استعمال الحِبْر باللون الأسود، أمّا الآيات القرآنيّة في كلّ سورة الفَتْح، والآيات الأُخرى التي استشهد بها من سُور أُخرى – فقد كتبها باللون الأحمر الدّاكن، وذَلكَ لكي يميّز بين الآيات القرآنيّة وما يكتبه هو من تفسير لها.
- اعتمد في تفسيره على بعض المُفسّرين الذين عاصروه وأولئك الذين سبقوه، خاصّة الذين ينتمون إلى آل البكريّ والمُتصوّفة الذين يتفاخر ويتشرّف بهم وبأجداده وبأنّه واحد مِن هؤلاء العظام.
- اعتمد في تفسيره على الجوانب اللغويّة والنّحويّة والصّرفيّة، حيث ذكر مدارس النّحويّين والكوفيّين في هذا السّياق.
- استعان المُفسّر في تفسيره بأنواع القراءات القُرآنيّة ومشاهير القُرّاء، كأمثال ابن عامر وابن كثير وغيرهما.
- اعتمد في تفسيره على الاستشهاد ببعض الأبيات الشّعريّة وإنْ كانت شحيحةً جدًا.
- اعتمد كذلك في تفسيره على بعض مراجع وكُتُب التّاريخ والجغرافيا وعلوم الفلك.
- نَهَجَ المُفسّر أن يشطب كلمة أو عبارة أو جملة في حالة تكرارها، أو إذا حسمَ بعدم لزومها أو في حالة وقوع خطأ في الكتابة.
- اعتمد المُفسّر أحيانًا أسلوب المُحاجة والبرهان في تفسير بعض أيات السّورة الكريمة، وذلك لكي يُثبتَ ترجيح رأيه بأنه هو الأقرب للصواب في التفسير: [فَإنْ قُلْتَ...قُلْتُ...]، مكتوبة بالخطّ الأحمر.
- نَهَجَ المُفسّر أن يُضيف كلمة لم يكتبها سهوًا فوق السّطر الذي كان يكتب فيه مع إشارة بسَهْم إلى موقعها الأصليّ في الجُملة. أمّا إذا استساغ إضافة عبارة أو جُملة أو جُزء من آية، فقد كان يُضيفها في الهامش الأيمن أو الأيسر من الصّفحة بشكل أُفقيّ أو عاموديّ أو على شكل مُثلّث لضرورة استغلال مساحات الهوامش، مع إشارة بسَهْم إلى موقعها الأصليّ في الجُملة.

على الرّغم من أنَّ مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح» غنيّة بالمعلومات في مجالات كثيرة ومُتنوّعة، ولا سيّما في مجال علوم التّفسير والعلوم الشّرعيّة والتّصوّف وعِلم القِراءات وعلوم اللغة والتاريخ، إلاّ أنّ المؤلّف في واقع الأمر يفتقرُ إلى المنهجيّة العِلميّة المطلوبة، تمامًا كما لاحظتُ في تفسيره لسورة الكَهْف. فالمُفسّر في مخطوطته هنا لم يُفصِح في كثير من الأحيان عن المصادر بشكل واضح

وكامل، تلك التي استعملها واستقى منها معلوماته، ولم يُبيّنها في مخطوطته بحيث يُسهّل على القارئ أَو المُحقّق الوصول أَو الرّجوع إليها. فنجدهُ في بعض الأَحيان يذكر اسم الكِتاب أَو المرجع دون ذِكر اسم مؤَلّفه، وأَحيانًا أُخرى يذكر اسم المؤلّف دون ذِكر اسم كتابه. وهذا في حدّ ذاته يُشكّل صعوبة في تحديد المصدر الذي استعمله المُفسّر، خاصّة إذا كان هناك تشابه بين أَسماء المصادر والمراجع أَو أَسماء المؤلّفين والمُفسّرين أَنفسهم. مِن جهة أُخرى، ما يظهر بوضوح هو قضيّة اللاموضوعيّة، خاصّة عندما يُغدِق في صفات المديح والثّناء على الدّولة العثمانيّة وسلاطينها، وبالذات لسلطان عصره، ويدعو له بالنّصر على الأَعداء وبدوام البقاء. وقد يرى بعض النّاقدين أَنَّ ما قام به المُفسّر هو من باب «التّقرّب» للسلطة والسّلطان، ولكن قد يكون هذا الشّعور أَيضًا مُنبعثًا من الشّعور الصّادق لدى المُفسّر، بأَنَّ الدولة العثمانيّة كانت تُمثّل في عصره الرّفعة والعلياء للإِسلام السُّنيّ، وهي بذَلِكَ «حامية حِمَى الإِسلام» والمدافعة عنه في وجه الأَعداء والمارقين والكَفَرة.

وخُلاصة القول، فإِنَّ القارئ المُمَحّص لهذه المخطوطة يشعر بأَنَّ المُفسّر محمّدًا أَبا السّرور البكريّ، كان يتوخّى ويسعى إلى دِقّة الكِتابة والتّدوين في تفسيره. كما أَنّه يُسلّم مُقتنعًا بأَنّه قد عمل جاهدًا في تركيب مؤَلَّفه هذا تركيبًا سليمًا ومنطقيًّا؛ فقد قدّم للقارئ تفسيره بوضوح وسلاسة، وتبدو المعلومات فيه مُتعلّقة بعضها ببعض بإحكام ومنطِق دونما ثغرات. حيث عرض ذَلِكَ كلّه بأُسلوب لا تكلّف فيه، سهل ممتنع ومُمْتِع، وإِنْ لم يخلُ من بعض المُبالغات، والصياغات اللفظيّة المُنمّقة عند حديثه عن آل البكريّ وكراماتهم، وعن أَبيه وجدّه؛ فهي بالنّسبة لمُفسّرنا فِكرة واقعيّة؛ لأَنّها تُعتَبَرُ جزءًا أَصيلاً من الحالة الفِكريّة الصّوفيّة للأُسرة التي نشأَ وتربّى فيها، ومن تفكير مجتمع ذَلِكَ العصر الذي كان يعيشُ فيهِ.

2.5 اللغة والأُسلوب عند محمّد أبي السُّرور البكريّ الصدّيقيّ

لقد صاغ المؤرخون والمُفَسّرون المصريّون في العصر العثماني مؤلفاتهم وتفاسيرهم بأسلوب لغويّ تلقائي بسيط ومفهوم، ليس فيه التّكليف ولا الزّخرفة اللغويّة. إنَّ هذه المؤلَّفات لم تكُنْ تُعنى كثيراً بقواعد اللغة العربيّة والنّحو والإملاء، إذ كان يهمّ أصحابُها – أوّلاً وأخيراً – إظهار الحقائق التاريخيّة وتدوينها، ونَشْر نتاج فِكرهم العِلميّ والدّينيّ. ومهما قيل عن المستوى العلمي وهبوطه في مصر في العصر العثماني، فإِنّ استواء اللغة العربيّة عند هؤلاء المؤرخين والمُفَسّرين أمثال الإسحاقيّ[49]

49 هو محمّد بن عبد المُعطي بن أبي الفَتْح، إبن أحمد بن عبد المغني الإسحاقيّ المنوفيّ، نسبة إلى قرية منوف المصريّة التي وُلِدَ ومات فيها [ت1060هـ/1650م]. أديب ومؤرخ مصريّ. مِن أشهر مؤلّفاته: لطائف أخبار الأَوّل فِيمَن تصرّف بمصر مِن أرباب الدُّوَل (ط). انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام6/247؛ المُحبّي: خُلاصة الأثر2/289.

والبكريّ الصدّيقيّ وآل البكريّ عمومًا، كافٍ لِدحْضِ كلّ فِرية تحاول النّيْل من مؤرخي وعلماء ذلك العصر.

وحسبُنا أن نذكر هنا، أنَّ وقوع مؤرخي العصر العثماني في بعض الأخطاء اللغويّة والإملائيّة أمر ليس بجديد على مؤرخي مصر، وإنّما مِثل هذه الأخطاء لا تخلو منها كُتُب المقريزي ومَن خَلَفَهُ مِن العلماء في ميدان التأليف والتّفسير والتّدوين، التاريخي في أواخر العصر المملوكي[50].

وإذا ما عُدنا لمُؤَلَّفات محمّد أبي السُّرور البكري الصدّيقي ومستوى اللغة فيها[51]، سنجد أنّه كان مُفَسِّرًا معروفًا لدى مُعاصريه بوصفه كاتبًا ذا أسلوب مُتفرّد وغنيّ في حقول العلوم الدّينيّة والشّعر والنَّثر. إلاّ أنّه لم يحظَ بالمكانة اللائقة به كما يجب، وهذا مَرَدّهُ إلى التقليل من قيمة كتابة ودراسة التاريخ في تلك الحقبة.

إنّ إحدى السّمات البارزة في مُؤَلَّفات محمّد أبي السُّرور البكريّ الصدّيقيّ هي مُحاولته أن يعكس اللفظ الدّارج عن طريق إدخال اللغة العاميّة إلى أعماله، وتَسَبّب هذا في انعدام الانسجام في أسلوبه، وذلك لمحاولته جعل هذه الجُمَل العاميّة تبدو وكأنها فُصحى برغم بُنيتها النّحوية غير السّليمة. حتى أنه في اقتباساته لم يبدُ قادرًا على تجنّب هذه الأخطاء. أمّا السِّمة الثانية، فهي غموض الأسلوب، إذ تزخرُ كتاباته ببعض الكلمات نادرة الاستعمال، وهذه الكلمات إمّا أن تكون خاصّة بأهل مصر، أو أن تكون قد أُدْخِلَت على اللغة عن طريق الشّعوب المختلفة التي سكنت مصر واستقرّت فيها، وهي كلمات في مجملها تُستَعمل في معان خاصّة غير معروفة لعامّة الناس. ومن ذلك أسماء المواد التي استخدمها المصريون في الصناعة وأسماء النقود المعدنيّة والنباتات. إنَّ جميع هذه الكلمات، والمصطلحات ومُصطلحات لوظائف حكوميّة أخرى، كلّها مأخوذة من اللُّغَتَيْن التركيّة والفارسيّة، أو مُشتقّة من جذور عربية تَحْتَمِلُ أكثر من معنى واحد.

أمّا بخصوص الإملاء[52]، فإنّه يمكن القول بأنَّ هناك شيئًا غريبًا لم يزل موجودًا، ظهر بشكل بارز خلال التحقيق لمخطوط «تفسير سُورة الفَتْح»، وكذلك من خلال مراجعة وتحقيق مخطوط «تفسير سُورة الكَهْف»، وهو حذف الهمزة تقريبًا من كلّ كلمة، كما في الأمثلة التالية على

50 محمد مصطفى زيادة، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، القاهرة، 1949، ص:105. وانظر أيضاً: أحمد شلبي، أوضح الإشارات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحيم، 1994، ص:19.

51 مخطوطة سورة الكَهْف التي تمَّ تحقيقها ونَشْرِها على يد صاحب هذه السُّطور عام 2021م، ومخطوطة سورة الفَتْح موضوع هذا الكتاب.

52 لقد برزت هذه الظاهرة عند المؤرخ بشكل واضح تقريباً في كل ورقة من أوراق مخطوط «نُصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان»، تحقيق: أبو جابر سليم وكذلك في مخطوط «المِنح الرحمانيّة»، تحقيق: ليلى الصبّاغ، و«النزهة الزّهيّة في ذِكر ولاة مصر والقاهرة المُعزّية»، تحقيق: عبد الرازق عيسى.

سبيل المِثال: كلمة (الأهواء) تظهر هكذا (الاهوا)، (العُلماء) تظهر هكذا (العلما)، (ماء) تظهر هكذا (ما). وكذا كلمة الأربعاء والثلاثاء والوباء والأمراء وما شاكلها؛ فقد حُذِفَت الهمزة فيها. وفي كلمات كثيرة أُخرى قُلِبَت الهمزة إلى (ياء)، مثل كلمة (دائمًا) تظهر هكذا (دايما)، وكلمة (سائلاً) تظهر (سايلا)، وكلمة (عائشة) تظهر (عايشة)، وكلمة (اللائق) تظهر (اللايق)، وكلمة (المُؤمِن/المُؤمِنون) تظهر هكذا (المومن/المومنون) وغيرها. وأحيانًا في كلمات أخرى إلى مَدّة (آ) ولكنّها حُذِفَت تقريبًا في كل الكلمات، مِثل كلمة (القرآن) تظهر (القران). كما أنَّ المُفَسِّر قلبَ حرف الياء إلى ألف مقصورة في كثير من الكلمات التي تنتهي بحرف الياء، مِثل كلمة (رُوِيَ) تظهر هكذا (روى)، وكلمة (أي) تظهر هكذا (اى)، وكلمة (يأتي) تظهر هكذا (ياتى). وظاهرة الياء هذه ما زالت حتى يومنا هذا نجدها في المطبوعات والمنشورات المصريّة المُعاصرة. كلّ هذا يُشكّل مصدراً للبلبلة وربّما يؤدي إلى تفسير بعيد عن المقصد الأصلي الذي كان يريده المُفَسِّر. إنَّ مِثل هذه الظواهر اللغويّة كانت مُنتشرة في كتابات مُفَسِّري ومؤرخي القرن السادس عشر والسابع عشر، خاصّة في مصر العثمانيّة، كما هو الحال تمامًا عند ابن مُفَسِّرِنا، محمّد بن أبي السُّرور البكري[53] الصدّيقي المُتَوَفَّى عام 1071هـ/1661م، والتي تبدو كتاباتهما ومؤلّفاتهما مُتشابهة جدًا بظواهرها ومُميّزاتها اللغويّة.

من خلال دراستي للمخطوط الذي بين أيدينا، ومقارنته بمخطوط سُورة الكَهْف[54] للمُفَسِّر ذاته، وجدتُ سِمات تُلفِتُ الانتباه بخصوص اللغة والنحو والإملاء. وعليه فقد قُمْتُ بتدوين بعض الأمثلة لهذه السِّمات حيث أمكن تصنيفها:

1. يكثر في هذا المخطوط وكثير من كتاباته الأخرى استخدام «أكلوني البراغيث»، نحو قوله: «اختلفت المسلمين». وهذا ما وجدتهُ أيضًا في مخطوط «نُصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان»[55]، حيث جاء فيها قولهُ: «فأرسلوا إليه الأخوات يقول له». وكذلك قوله: «فتقاتلوا الفَرِيقَيْن برهة من الزّمن»، والذي يُلاحظ في الجُملة الأخيرة نصبُ الفاعل.
2. في الإملاء: بالإضافة إلى ما ذكرته أعلاه، فإنَّ مخطوط «سُورة الفَتْح» تجلّتْ فيه أخطاء ذلك العصر، مثل:

---

53 انظر: أبو جابر سليم: البكري الصدّيقي وأثره في تأريخ مصر العثمانيّة، ص239–243؛ البَكريّ الصِّدّيقيّ: المِنَح الرّحمانيّة في الدّولة العثمانيّة. تحقيق: الصبّاغ ليلى، ص11–38.

54 انظر: محمّد أبو السُّرور البكريّ الصّديقيّ: سورة الكَهْف. تحقيق وتعليق ودراسة: سليم أبو جابر. عمّان: دار الشُّروق، ط1، 1442هـ/2021م.

55 انظر: البَكريّ، محمّد بن أَبي السُّرور الصِّدّيقيّ: نُصْرَةُ أَهل الإِيمان بدولة آل عُثمان. تقديم وتحقيق وتعليق: سليم أَبو جابر. باقة الغربيَّة: مَجْمَع القاسِميّ للغة العربيَّة ودار الهُدى، ط1، 2012م.

أ. في الهمزة أوّل الكلمة: «ءاخر» بدل آخر.
ب. في الهمزة المتوسّطة: «سات» بدل ساءت، «شطاءه» بدل شَطْأَهُ، «لسولك» بدل لِسُؤْلِكَ.
ت. في الهمزة آخر الكلمة: «جأ» بل جاء، «مبتداء» بدل مُبْتَدَأ»، «خفأ» بدل خفاء، «الوطئ» بدل الوَطْء.
ث. في الألف الممدودة والمقصورة: «عفى» بدل عفا، «أبطى» بدل أبطأ، «أنشا» بدل أنشأ.
ج. كما وردت أخطاء متكرّرة في بعض الكلمات مثل: «يغوا/يغو»، «بنوا/بنو حنيفة»، «لاانهزموا/لانعزموا»، «نفسهم/أنفسهم»، «مُعَبّروا/مُعَبّرو الأحلام»، «أنْ يجروا/أنْ يجرؤُوا»، «أنْ يرجوا/أنْ يرجو»

3. في بعض الأحيان يظهر عدم مُراعاة قواعد الرّفع والجرّ في المُثَنّى مِثل: للحدثان/للحدثَيْنِ.
4. أمّا الجوازم، ولا سيّما حرف «لم» فكأنها لا تعمل في الأفعال عند البكري الصدّيقي[56]، وخاصّة المعتلّة منها، كما يظهر في الأمثلة التالية:
أ. «إنْ لمْ تأتيني».
ب. «ولم يخشى من المدافع».
ت. «إلاّ مَن لم يرى ما يركبه».
ث. «فلم يجيبه الأمير».

كما يُلاحَظ أيضاً أنّ البكري لا يحذف ياء الأسماء المنقوصة في كثير من الأحيان، مثل قوله: «من جواب كافي». وفي المفاعيل، فلا تُنصَب في أحيان كثيرة، وخاصّة إذا وَلِيَت الفعل مباشرة، كقوله:
أ. «وأظهر تودّد وبشاشة وتأمين».
ب. «فرأى شخص من الفلاحين ومعه زوجته ذاهب بها إلى الرّيف».

أمّا في إفراد الاسم الموصول، ولو كان وصفاً لجمع أو مثنّى، كقوله:
أ. «وكان عدّة العساكر الذي معه».
ب. «وأخرج القفطانَيْن الذي كان لبسهُما».
ج. في بعض الأحيان لا يلتزم بقواعد التذكير والتأنيث، فيكتب «الذي» بدل «التي» وبالعكس.

56 انظر: المرجع السّابق.

في المقابل إذا ما راجعنا مخطوطة «المِنح الرحمانية»[57]، يتّضحُ أنّ البكري الصدّيقيّ – وكذا عند صاحب مخطوط سُورة الفَتْح – قد عرض مؤَلَّفَهُ بأسلوب لا تكلّف فيه، بسيط وممتِع، وإنْ لم يخلُ من بعض المبالغات، وصياغة لفظيّة منمّقة عند حديثه عن جدّه وأبيه. وقد طَعّمَ ذلك الأسلوب ببعضٍ من الشّعر الذي امتدح به الشّعراءُ بعض السلاطين العثمانيين أو الوُلاة الخيّرين. إنّ هذا الأسلوب هو ذاته الذي تميّز به مؤَلَّفَهُ «نُصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان»، بسبب التّشابه في سَرْدِ الأحداث والوقائع التاريخيّة في المقاصد والأبواب في كِلا المخطوطتَيْن. وهو أيضًا الأسلوب ذاته الذي سار عليه مُفَسِّرُنا محمّد أبو السُّرور البكريّ الصّديقي في تفسير سورتَيْ الكَهْف والفَتْح.

وخلاصة القول في هذا الجانب، أنَّ مُفَسِّرَنا محمّد أبا السُّرور كما البكري الصدّيقيّ، قد تميّز بمدى سعة اطلاعه وغزارة علمه وشمول ثقافته، وتجاوبه مع مناحي الحياة المختلفة في مصر في ذلك العصر، تمامًا كما فعل ابنهُ محمّد بن أبي السُّرور البكري الصدّيقيّ. حيث تميّزت مؤلفاتهم بثروة ضخمة من المصطلحات الفقهيّة والشّرعيّة والإداريّة والعسكريّة والماليّة والاجتماعيّة الخاصّة بمصر العثمانيّة. ويرجع ذلك كلّه لانتمائهم إلى طبقة العلماء والمثقّفين في عصرهم، ومن المُقرّبين للسلطان العثماني والمؤيّدين له. ولذلك كان من السّهل عليهم الاطّلاع على مجريات الأحداث وتدوينها عن قُرب دون عناء كبير. ومع ذلك كُلّه، إلاّ أنّ مؤلفاتهم لم تكن بمنأى عن الأخطاء النّحويّة واللغويّة والإملائيّة والإمالة التي تميّزت بها كتّابات ومُؤَلَّفات ومُدَوّنات ذلك العصر.

2.6 مَنْهَجُ التَّحقيق للمخطوطة

أَوّلًا: لقد اعتمدتُ في الأَساس في قراءة ومراجعة وتحقيق مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح» على النُّسخة الأَصليّة الوحيدة والتي تُوجد في المكتبة السُّلَيْمانيّة في إسطنبول، في قِسم المخطوطات العربيّة، تحت رقم [118]. حيثُ أَنّني لم أَعْثُر على نُسخة أُخرى لنفس المخطوطة في أَيّة مكتبة أُخرى أَو أَيّ معهد للمخطوطات العربيّة.

ثانيًا: تمَّ الرّجوع والاعتماد على عديد من كُتُب التّاريخ والتّراجم، والتي قدّمتْ معلومات عن الدّولة العثمانيّة وسلاطين بني عثمان وأَعلام ومُفسّرين ومُحدّثين ومواقع تاريخيّة وجغرافيّة، وَرَدَ ذِكْرُها في مخطوطة «تفسير سورة الفَتْح». من كُتُب التّاريخ والتّراجم هذه نذكرُ على سبيل المثال لا الحَصْر: كتاب «تراجم الأَعيان مِن أَبناء الزّمان» للبُورِينيّ (ت1024هـ/1615م)؛ كتاب

57 انظر: البَكريّ، محمّد بن أَبي السُّرور الصِّدّيقيّ: المنَح الرّحمانيّة في الدّولة العثمانيّة – ويليه ذيل: اللطائف الرّبانيّة على المِنَح الرّحمانيّة. تقديم وتحقيق وتعليق: ليلى الصّباغ. دمشق: دار البشائر، ط1، 1995م.

«خلاصة الأَثر في أَعيان القَرن الحادي عشر» للمُحِبّي (ت1111هـ/1699م)؛ كتاب «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» للغزّيّ، أَبو المكارم نجم الدين (ت1061هـ/1651م)؛ كتاب «أَوضح الإِشارات فِيمَن تولّى مصر القاهرة مِن الوزراء والباشات المُلَقّب بالتّاريخ العَيْنيّ» لأَحمد عبد الغنيّ شلبيّ (ت 1150هـ/1737م)؛ كتاب «أَخبار الدّول وآثار الأُوَل في التّاريخ» للقرمانيّ (ت 1019هـ/1561م)؛ كتاب «شذرات الذّهب في أخبار مَن ذهب» للحنبليّ (ت1089هـ/1678م) وكتاب «غاية النّهاية في طبقات القُرّاء» لابن الجَزَريّ (ت833هـ/1430). هذا بالإضافة إِلى مصادر ومراجع أُخرى تظهر في هوامش الكتاب وقائمة ثَبْت المراجع في نهاية هذا الكتاب.

ثالثًا: كتبتُ وضبطتُ بالشكل كلّ آية قرآنيّة وردتْ في المخطوطة بالرّسم العثمانيّ، وحصرتها بين قَوْسَيْن منجومَتَيْنِ على هذا النّحو ﴿ ﴾، ثمّ خَرَّجْتُهَا بالإِشارة إِلى اسم السّورة ورقمها ورقم الآية مع الفصل بينهما بنقطتَيْن رأْسيّتَيْنِ. كلّ ذَلِكَ في معقوفَتَيْن [ ]، تليانِ الآية القُرآنيّة مباشرة.

رابعًا: ضَبْطُ الأَحاديث النّبويّة الشّريفة التي وردت في المخطوطة، ثُمَّ حصرتها بين قَوْسَيْن على هذا النّحو ( )، مع إِبقاء مَتْن الحديث كما أَورده المُفسّر مُتَجَنِّبًا التّعليق على درجة صحّته.

خامسًا: اتَّبَعْتُ كتابة صيغة مُوحّدة في كل المخطوطة لعبارة «صَلَى اللهُ عليهِ وسَلَمَ»، على هذا النّحو ﷺ، والتي أَوردها المُفسّر بعد ذِكر اسم الحبيب المُصطفى، عليه السّلام، في نصّ المخطوطة.

سادسًا: لقد حرصتُ على تقديم هذه المخطوطة للقارئ والباحث والمُختصّ بعلوم التفسير بالهيئة المُثْلَى المُمْكِنة، خالية من الأَخطاء الكتابيّة والإِملائيّة أَو النّحويّة أَو التّحريف في رَسْمِ حروف بعض الكلمات الواردة فيها. وعلى هذا الأَساس، فقد اتّبعتُ الخطُوات التّالية مُشيرًا إِلى ذَلِكَ في الهوامش وإِبقاء الأَصل وتثبيته بين معقوفتَيْن، ليكون ذَلِكَ نموذجًا لأَخطاء ذَلِكَ العَصر الذي عاشه مُفسّرنا:

أ. تثبيت الأَلفاظ السّليمة للكلمات التي وقع فيها خطأ كتابيّ أَو جرى عليها في بعض الأَحيان تحريف في رَسْمِ الحروف. وقد أَشرتُ إِلى ذَلِكَ في الهوامش.

ب. تثبيتُ الكلمات التي حُذِفَت همزتُها أَو خُفِّفَت إِلى (الياء)، كما كان مُتّبَعًا في عَصر المُفسّر، بحسب قواعد الإِملاء المُتّبَعَة في عصرنا الحديث.

ج. إِضافة أَو حَذْف بعض الحروف أَو الكلمات تماشيًا مع السّياق وسلامة اللغة والمعنى والنّص، مع تثبيت الإِضافة بين معقوفتَيْن في النّص المُحَقَّق، وتثبيت المحذوف بين معقوفتَيْن مع الإِشارة إِلى ذَلِكَ في الهوامش.

د. تصويب الأَخطاء النّحويّة التي وقعت في بعض كلمات المخطوطة، مع الإِشارة إِلى ذلك في الهوامش.

ه. تصويب بعض جُمَل المخطوطة التي وقع فيها خطأ في تركيب مبناها، وذَلِكَ ليجري مجرى سلامة السّياق والمعنى، مع الإِشارة إِلى ذَلِكَ في الهوامش وتثبيت الأَصل بين معقوفتَيْن.

سابعًا: مُقابلة التّواريخ الهجريّة بالميلاديّة وضَبْطُها في النَّصّ المُحَقَّق والهوامش للتّسهيل على القارئ والباحث لإدراك عمليّة الموازنة بين التّقويمَيْن، وكذلك للتأكيد على أهميّة استعمال التأريخ الهجريّ في عصرنا هذا.

ثامنًا: أُشِيرَ في مَتْنِ المخطوطة، بين معقوفتَيْن، إلى بداية كلّ صفحة جديدة ورقمها، نحو [3أ]، حيثُ يُشير الرّقم إلى رقم الورقة، بينما يُشير حرف (أ) الذي يليه إلى الوجه الأوّل من هذه الورقة. أمّا حرف (ب) في ورقة [3أ]، فإنّه يُشير بدَوْره إلى الوجه الثّاني منها. وهكذا في سائر مواقع ترقيم أوراق مخطوطة تفسير سورة الفَتْح.

تاسعًا: ضُبِطَتْ أسماء الأعلام والشّخصيّات والكُتُب والأماكن والبِحار والمواقع والقُرى والمُدُن والحوادث التّاريخيّة. حيثُ قُمْتُ بتعريفها وتقديم الشّرح المُختَصَر عنها مُعتمدًا في ذَلِكَ على المراجع والمصادر التّاريخيّة والمعاجم المُختصّة مع تثبيت ذَلِكَ في الهوامش.

3 صُوَر من أَوراق مخطوطة تفسير سورة الفَتْح

اللوحة 1 صورة للورقة الأولى لمخطوطة سورة الفَتْح

اللوحة 2 صورة للورقة الثانية لمخطوطة سورة الفَتْح

اللوحة 3 صورة للورقة قبل الأخيرة لمخطوطة سورة الفَتْح

اللوحة 4 صورة للورقة الأخيرة لمخطوطة سورة الفَتْح

4 المُخْتَصَرات (الرّموز) التي وردت في هذا الكِتاب

هـ. هجريّ (جاءت بعد تدوين التّاريخ الهجريّ)
ق. هـ قبل الهجرة
م ميلاديّ (جاءت بعد تدوين التّاريخ الميلاديّ)
ق. م – قبل الميلاد
ت تُوفّيَ (جاءت قبل تدوين تاريخ وفاة الشّخص)
خ – مخطوطة
ط مطبوع
ج جُزء
مج – مُجَلّد
ح – حديث نبويّ شريف
د. ن دون ناشر لكتاب (اسم دار النّشر/ المطبعة)
د. م دون مكان نشر لكتاب
د. ت دون تاريخ نشر لكتاب
انظر = راجع

5 بَيْنَ يَدَي السُّورَة[58]

سُورة الفَتْح مِن السِّوَر المدنيّة، نزلت بين مكّة والمدينة في منطقة يُطلق عليها «كُراع الغميم». وتُعنَى السُّورة بجوانب التّشريع، شأنُها شأن سائر السُّوَر المدنيّة، التي تعالج الأُسُس التشريعيّة في المعاملات، والعبادات، والأخلاق والتّوجيه. عدد آياتها 29 آية، وهي في ترتيب نزول السُّوَر رقم 113. نزلت في العام السادس من الهجرة، الموافق 627 للميلاد، قبل سُورة التّوبة وبعد سُورة الصّف. ويسبقها من حيث الترتيب في المصحف الشّريف سُورة محمّد، ﷺ، وتليها سُورة الحُجرات. لقد تحدّثت السُّورة الكريمة عن «صُلح الحُدَيْبِيَة» الذي تمَّ بين الرسول، ﷺ، وبين المشركين سنة ستٍ من الهجرة، والذي كان بدايةً للفَتْح الأعظم، «فَتْحُ مكّة»، والذي به تمَّ العزُّ والنَّصرُ والتَّمكينُ للمؤمنين، ودخل الناسُ في دِين الله أفواجًا أفواجًا. فكانت هذه العطاءات الرّبانيّة للنَّبيّ، ﷺ ، ولأُمَّته.

كما تحدّثت السُّورة عن جهاد المؤمنين، وعن «بيعة الرِّضوان» التي بايع فيها الصّحابةُ، رضوان الله عليهم، رسولَ الله، ﷺ، على الجهاد في سبيل الله حتى الموت، وكانت بيعةً جليلةَ الشَّأْنِ؛ لذلك باركها اللهُ، ورضي عن أصحابها.

كذلك تحدّثت السُّورة عن الذين تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله، ﷺ، مِن الأعراب الذين في قلوبهم مرض، ومِن المنافقين الذين ظَنُّوا الظّنون السيّئة برسول الله، ﷺ، وبالمؤمنين، فلم يخرجوا معهم؛ فجاءت الآياتُ في سُورة الفَتْح لِتَفْضَحَهُم وتكْشِفَ أسرارَهم.

وفي هذه السُّورة أيضًا، ذكرَ الله، تعالى، الرؤيا التي رآها رسوله الكريم، ﷺ، في منامه – في المدينة المُنَوَّرَة – وحدَّث بها أصحابه؛ ففرحوا واسبشروا، وهي دخول رسول الله، ﷺ، مكّةَ آمنينَ مُطْمَئِنّينَ، وقد تحققتْ تلك الرؤيا الصّادقة؛ فدخلها المؤمنون مُعتمرين مع الأمْنِ والطُمأْنينة.

وفي خِتام هذه السُّورة الكريمة جاء اللهُ بِالثَّناء على الرسول، ﷺ، وأصحابه الأطهار الأخيار، فقال، تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [الفَتْح 29:48]. لذلك يُمكن إيجاز ما اخْتُتِمَتْ به السُّورة الكريمة بثلاثة أمور رئيسيّة أوّلُها: إرسال النَّبي محمّد، ﷺ، بالهُدَى ودِين الحقِّ ليُظهره على الدِّين كُلّه، وثانيها: وَصْفُ النَّبي محمّد، ﷺ، والمؤمنين بالرَّحمة على بعضهم والشِّدَّة على الكُفَّار، وثالثُها: وَعْدُ المُؤمنين الذين يعملون الصَّالحات بالمغفِرة والأَجْرِ العظيم.

سببُ التسميـة :سُمِّيَتْ سُورة الفَتْح بهذا الاسم لِما تضمّنته مِن ذِكرِ الفَتْحِ الذي تحَقَّقَ للنَّبي، ﷺ، وللمسلمين، بِوَعْدٍ مِن الله، تعالى، بعد الذي اعتراهم يوم الحُدَيْبِيَة مِن مَنْعِ المشركين لهم مِن

58 انظر: الصّابونيّ، محمّد علي: صَفْوَةُ التّفاسير مج3/216–217.

أداء المناسك. ويُعْتَبَرُ هذا الفَتْح حدثًا مفصليًّا في تاريخ الدعوة المحمّديّة، حيث نتجَ عنه فتوحات ودخول الناس في دِين الله أفواجًا. وقد وردت تسمية سُورة الفَتْح على لِسان الصحابة -رضي الله عنهم - ولم يُعرف لها اسمٌ آخر.

القِسم الثّاني

النَّصُ المُحقَّق – تفسير سورة الفَتْح

1ب | إنّ أبْهَى دُرَرٍ نثرتها في أردانِ الطُّروسِ[1] الأقلامُ، وأزهرَ روض لا تُغيّر نضرتهُ الليالي والأيامُ، وأعذبَ مورد تصدرُ عنه الصّدور راوية لِما لا تشكو أبعدهُ حرّ الأُوَام[2]. وأعلى ذروة تَسَنَّمَ عليها عِلمُ علَمِ علاّم، حمدًا لله الذي فتحَ لرسوله، ﷺ، فتحًا مُبينًا به خلاص بيته الحرام. وغفرَ له ما احتسبهُ على نفسه ممَّا لو وقعَ مِن غيره رجى به محو الخطايا والآثام. وأتمَّ عليه نعمتهُ بإتمام التكاليف والأحكام، وهداهُ الصّراط المستقيم؛ فلا زيغ في ذلك المقام للأقدام. ونصرهُ نصرًا عزيزًا أدخل به في طاعته كافّة عُظماء[3] الأنام. وأنزل سكينتهُ في قلوب المؤمنين[4]؛ فزادتهم إيمانًا ببلوغ المرام.

2أ ولا بدع؛ فلهُ جنود السّموات | والأرض؛ فقادر أن يأتي[5] نصرهُ لرسوله، ﷺ، في[6] ظُلَلٍ من الغمام. ليُدخِل المؤمنين والمؤمنات جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، مُسبِغًا عليهم خلع العِناية والإنعام. ويُعذّب المنافقين والمنافقات عذابًا دائمًا[7] ليس له نهاية ولا تمام.

وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله الذي أرسل رسوله، ﷺ، ليُظهره على سائر الأديان بالحجّة والصَّمْصَام[8] وتبيين ما به السعادة والفوز في يوم القيام. وأشهدُ أنَّ سيّدنا ومولانا محمّدًا مَن جعلهُ اللهُ لدائرة

---

1 أردان أو أرْدِنة. ومُفردها رُدْنٌ، وهو الكُمُّ، أي مدخل اليد ومخرجها من الثّوب. والطُّروس: جمعُ طِرس، أي الصّحيفة أو الكِتاب الذي مُحِيَ ثمّ كتِبَ. وتُجمَع على طروس وأطراس. والمعنى: صفحات الكتاب. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ر د ن]، ومادّة [ط ر س].

2 الأُوَام هو حرارة أو شِدّة العَطَش. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [أ و م].

3 جاءت في الأصل [عظما]، والصّواب ما ثبت أعلاه. وهكذا قُمتُ بتصويب كل ما جاء في الأصل على هذا النّحو.

4 جاءت في الأصل [المومنين]، والصّواب ما ثبت أعلاه. وهكذا قُمتُ بتصويب كل ما جاء في الأصل على هذا النّحو.

5 جاءت في الأصل [ياتي]، والصّواب ما ثبت أعلاه. وهكذا قُمتُ بتصويب كل ما جاء في الأصل على هذا النّحو.

6 جاءت في الأصل هكذا [فى]. وقد قُمتُ بإثبات حرف [الياء] كاملة كما ثبت أعلاه.

7 جاءت في الأصل [دايما]، والصّواب ما ثبت أعلاه. وهكذا قُمتُ بتصويب كل ما جاء في الأصل على هذا النّحو.

8 الصَّمْصَام: هو السَّيف الصُّلب القاطِع. والجمع صماصِم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ص م م].

© KONINKLIJKE BRILL NV, LEIDEN, 2024 | DOI:10.1163/9789004682795_003

النّبوّة الختام. ونشر له من الحَمْدِ الأَلْوِية والأعلام، وجعل له بما عنده من علوم الأوّلين والآخرين[9] الإعلام. وأبطلَ مِن بيته الحرام الاستقسام بالأزلام، ﷺ، صلاة وسلامًا ما هبَّ نسيم الأسحار، ففتح من الرّوض الكمام، آمين.

2ب وبعد، فإنَّ الأمور مرهونة بأوقاتها، والعِناية الرحمانيّة إذا جاءَ[10] زمنُها | تبرزُ بذاتها. وقد طال ما أجّلتُ جواد الأفكار في ميدان الأنظار. سائلاً من الله سبحانه أنْ يُشرّفني بشيء[11] مِن الكتابة على شيء مِن سُوَر الفُرقان، لَعَلّي أنْ أتعلّق بأهداب أهل هذا الشّأْن من أهل العِرفان. فيسَّرَ اللهُ، تعالى، إلى حجّ بيته الحرام ووصولي لتلك المشاعِر العظام، فأعملتُ بعملات الابتهال، وقد تمسّكتُ مِن بيت الله، تعالى، بالأذيال[12] سائلاً مِن الله، تعالى، بلوغ رتبة هذا الكمال.

هذا، وإنّي مِن الكِنانة الصدّيقيّة والعصابة اليتيميّة القُرَشيّة، فلا بدعَ أنْ تصدر عنهم هذه الأسرار وفي حقّ جدّهم أنزل الله، سبحانه: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التّوبة 9:40][13]. والحامل على التّرحال مِن الأوطان، وركوب تلك السّباسب[14] بين أغصان المُرَّان[15]، أنْ أصرفَ الوُجهةَ لربِّ الأرباب، أنْ يبلغَ سلطان الإسلام وخليفة الله لكافّة الأنام الأرباب[16]. فحصل 3أ الإذنُ السّبوحيُّ والوَاردُ الرّوحيّ بأنْ أتكلّمَ بالمجالس العامّة | في حرم الله أمام بيت الله في تفسير

---

9 جاءت في الأصل [الأَخرين]، والصّواب ما ثبت أعلاه. وهكذا قُمْتُ بتصويب كل ما جاء في الأصل على هذا النّحو.

10 جاءت في الأصل [جأَ]، والصّواب ما ثبت أعلاه. وهكذا قُمْتُ بتصويب كل ما جاء في الأصل على هذا النّحو.

11 جاءت في الأصل [شي]، والصّواب ما ثبت أعلاه. وهكذا قُمْتُ بتصويب كل ما جاء في الأصل على هذا النّحو.

12 جاءت في الأصل [بالأديال]، والصّواب ما ثبت أعلاه لتُناسب السّياق.

13 الآية كاملة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبة 9:40].

14 جمعُ سَبسَب. والسَّبْسَبُ: الأرض الجَدْبَة أو الأرض المُستوية أو الأرض التي لا ماء فيها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [سبسب].

15 المُرَّانُ: هو شجرٌ تُتَّخَذُ منه الرّماح، ومُفردهُ: مُرَّانة. هو أيضًا الرِّماحُ الصُّلْبةُ اللَّدْنة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [م ر ن].

16 الأرابُ: الشّك والرّيبة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ر ي ب].

سورة الفتح المُبين؛ فكانت إشارة مِن الله، سبحانه، بنُصرة سُلطاننا أمير المؤمنين على الفئة الرّافضة المُضلّين[17].

فلمّا انتثر بتلك المحافل عقدُ البيان بما تَعْصُرُ عن مُداناته الجُمانُ، أحببتُ أنْ أودعَ تفسير هذه السّورة الشّريفة بطون الطُّروس، وأنْ أزفَّ مِن بنات الأفكار على منصّات العقول مِن المعاني الشموس خادمًا بذلك خليفة الله على كافّة خليقته ومخبَارٌ لنِظْمِ نظام أوامر بريّته، أمير المؤمنين، المُعتصم بالله، المهدي بنور الله. فلا يعتريه في أمره اشتباهُ. السُّلطانُ بن السُّلطان، والخاقان بن الخاقان، ملك سُبُل القِبْلَتَيْنِ، خادم الحَرَمَيْنِ الشّرِيفَيْنِ، السلطان مُراد خان، ثاني عشر الخواقين العِظام مِن آل عثمان. مَدَّ اللهُ، تعالى، ظلالَ خلافته إلى انتهاء الزمان. ولا برح الأنامُ مِن
مَعدلته. | تنامُ في أكناف الأمان لِعلمي بنفاق سوق الفضائل في زمانه، وأزهار رَوْضِ المعارف 3ب
في أوانه؛ لتكون تهنئة[18] من هذا العبد بفتح نُشرت في البسيطة بِكَ في الملأ الأعلى راياته، وتُلِيَت على منابر العالَم آياته، وطَنَّتْ في الممالك الكسرويّة حصاتهُ[19]، وعَزَّ في الأنام حُصَاته[20]، ولِيَبقى على صفحات الزّمان ذِكْرُهُ، ويصوغُ في العالَم طيبهُ ونَشْرُهُ. فإنَّ شُكْرَ هذه النّعْمَة أوجبَ وأجبِ على آل الصدّيق وأبناء ذلك الرفيق الرفيق. فقام مِن بينهم العبدُ محمّد أبو السّرور بِشُكْرِهَا، وأطار بهذه المُقدّمة في العالم طائر الحبور بجناح ذِكرها، راجيًا مِن مقامه السّلطانيّ الشريف أنْ يكون

17 لقد اعتبر مُفسّرُنا، محمّد أبو السّرور البكريّ، هذا الانتصار هو فَتْحٌ ونَصْرٌ مُبين للسّلطان العثماني وللمسلمين عامّة على الفِئَة الرّافضة، أي (الصّفويّون)؛ فكان ذلك النّصر سببَ تفسيره لسورة الفَتح وهو بجوار بيت الله الحرام.
والمقصود بالفئة الرّافضة، هم الصّفويّون والدولة الصفويّة بقيادة الشّاه إسماعيل الصّفويّ، مؤسّس الدّولة الصّفويّة عام 906هـ/1501م، والذي أعلنَ أنّ مذهب الشّيعة الإثنا عشريّة هو دين الدولة الرّسمي. لقد اعتبر العثمانيون، الذين كانوا مسلمين سُنَّة، أن الصفويين بهذا الاعلان يشكّلون تهديدًا لسلطتهم في المنطقة. لذلك، شَنَّ العثمانيون العديد من الحملات العسكريّة ضدّهم. حيث استمرَّ العداء وحالة الحرب بين الدّوْلَتَيْن لفترة طويلة، خاصّة بين الأعوام 938–692هـ/1532–1555م. مِن أهمّ المعارك التي دارت بين الطّرفَيْن كانت معركة «چالديران»، التي وقعت عام 920هـ/1514م في «چالديران»، حيث انتصر العثمانيون على الصفويين، وانتهت المعركة باحتلال العثمانيون لمدينة تبريز عاصمة الدولة الصفويّة. انظر: متولّي، أحمد فؤاد وفهمي، هويدا محمّد: تاريخ الدولة العثمانيّة، ص:182–188؛ فريد، محمّد: تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة، ص:73–75.

18 جاءت في الأصل [تهنيئة]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

19 الحَصَاةُ: هي الواحدة مِن صغار الحجارة. وجمعُها حصى. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ح ص ي].

20 أي أصحاب العقول الرّزينة. انظر: المرجع السّابق.

لهذا العبد بقبولها العِزّ والتّشريف؛ فهي مع ما اشتملت عليه مِن الآيات القرآنيّة كما يهديه إلى البحر
4أ الغمام أو ضوء[21] نِبراس عند أشراق البَدْر التّمام، سائلاً العفو عمَّا طَغَى به القلمُ | وما زَلَّ في تحريرِهِ مِن الفِكر القدَم.

وها أنا أشرعُ في المقصود. كلُّ مَن طلب شيئًا لا بُدَّ في توجّه النّفس إليه مِن تصوّره بوجه ما، ثمّ إذا أراد التصوّر التّام يكون بحدّه ورسْمه وغايته، ليكون شروعه على وجه الكمال، فَحَدُّ هذا العِلم عِلم يُعرَفُ به معاني الآيات القرآنيّة، وموضوعه القرآن المُنزل على محمّد، ﷺ، المُتحدّي بأقصر سورة منه، وغايته الفوز بالسعادة الأبديّة. إذا عُلِم ذلك؛ فَمِن الواجب على المُتكلّم في تفسير كلام الله، تعالى، أنْ يذكرَ شيئًا ممّا ينشرحُ به الخاطر ويُقرّبه الناظر ممّا ورد في فضْله مِن الأحاديث النّبويّة والآثار البهيّة.

قال، ﷺ: (ستكون فِتَنٌ كَقِطَعِ اللّيلِ المُظْلِمِ. قيل: فما النّجاة منها يا رسول الله؟ قال: كتاب
4ب الله، تبارك وتعالى، فيه نبأُ ما قبلكم وخبر ما بعدكم | وحُكم ما بينكم. وهو الفَصْلُ ليس بالهَزْلِ. مَن تركه تجبّرًا قصمهُ اللهُ، ومَن ابتغى الهُدى في غيره أضلّهُ اللهُ. وهو حَبْلُ اللهِ المَتين، ونورهُ المُبين، والذِّكرُ الحكيم، والصّراطُ المُستقيم. هو الذي لا تزيغ فيه الأهواء، ولا تلتبِسُ معه الآراء، ولا تشبعُ منه العُلماء، ولا تملّهُ الأتقياءُ. مَن عَلِمَ عِلْمَهُ سَبق، ومَن عمِلَ به أُجِر، ومَن حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، ومَن اعتصمَ به فقد هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم)[22]. وقال أَنَسُ بنُ مالك[23]، رضي الله عنه، في تفسير قوله، تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة 2:256][24]: هي القرآن. وقال سيّدُ البَشَر: (مَن أراد عِلْمَ الأوّلين والآخرين؛ فَلْيُثَوِّرِ القرآن، فإنَّ اللهَ يأْجُرُكم بالحرفِ الواحد عشرِ حسنات. أمّا أنا لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف واللام حرف والميم حرف)[25]. وعنهُ
5أ عليةُ الصّلاة | والسّلام أنّهُ قال في آخر خُطبة خَطَبَها وهو مريض: (أيّها الناس، إنّي تاركٌ فيكم

---

21 جاءت في الأصل [ضؤ]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

22 أخرجهُ الدّارِميُّ(3331)؛ وابن أبي شَيْبَة (30629).

23 هو أنس بنُ مالك بن النّضر بن ضمضم البُخاريّ الخزرجيّ الأنصاريّ [10ق.هـ–93هـ/612–712م]. صاحب رسول الله، عليه السّلام، وخادمه. كان مولده بالمدينة، وأسلم صغير السِّن وخدم النبيّ حتى وفاته، عليه السّلام. روى عنه رجال الحديث 2286 حديثًا. وهو آخر مَن مات مِن الصّحابة في البصرة. انظر: الزِّركليّ: الأعلام2/24–25.

24 الآية كاملة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة 2:256].

25 أخرجه الهَيْثَمِيّ: مجمع الزّوائد7/168، وفي رواية أخرى عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال: مَنْ أرادَ العِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ القرآنَ فإنَّ فيه عِلم الأولينَ والآخرينَ.

الثَّقَلَيْنِ. إنّهُ لن تُعْمَى أبصاركم، ولن تضلّ قلوبُكم، ولن تَزِلَّ أقدامُكم، ولن تقصُر أيديكم، كتاب الله سَبَبٌ بينكم وبينه. طَرفهُ بيده وطَرفهُ بأيديكم، فاعملوا بمُحْكَمِهِ وآمِنوا بمُتَشَابِهِه وأحِلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه. ألا وعِتْرَتي[26] وأهل بيتي هو الثَّقَلُ الآخر)[27].

وقيل لجعفر الصّادق، رضي الله عنه: لِمَ صار الشّعر والخُطَب يُمَلّ ما أعيدَ منها والقرآن لا يُمَلّ؟ فقال: لأنَّ القرآن حُجّة أهل الدّهر الناشيء، كما هو حُجّة أهل الدّهر الأوّل. فكلّ طائفة تتلقّاهُ غضًا جديدًا. ولأنَّ كلّ امرئ في نفسه متى أعادهُ وفكّرَ فيه يلقى منه في كلّ مرّة علومًا غضّة، وليس هذا في الشّعر والخُطَب. وقيل لِمُمَيْد بن سعيد[28]: لِمَ كان | التّردادُ للقَصَص في القرآن؟ 5ب فقال: ليكون لِمَن قرأ ما تيسّر منه أحَظّ في الاعتبار. ورُوِيَ عن النبيّ، ﷺ، أنّهُ قال: (مَن قرأ القرآن فرأى أنَّ أحدًا أُتِيَ مِثل ما أُتي، فقد استصغرَ ما عظَّمَ اللهُ)[29]. وقال عليه الصّلاة والسّلام: (ما مِن شفيع أفضلَ عند الله مِن القرآن، لا نبيّ ولا مَلَك)[30]. وقال أيضًا عليه الصّلاة والسّلام: (أفضلُ عبادة أُمّتي القرآن)[31].

باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجُرأةُ عليه ومراتب المُفسّرين

عن عائشة[32]، رضي الله عنها، أنّها قالت: (ما كان رسول الله، ﷺ، يُفسّر مِن كتاب الله إلاّ آيًا بعدد علّمه إيَّاهُنَّ جبريل). قال أبو محمّد: ومعنى هذا الحديث في مُغيبات القرآن وتفسير مُجمله ونحو هذا، ممّا لا سبيل إليه إلاّ بتوفيق مِن الله. ومِن جُملة مُغيبات القرآن، ما لمْ يُعلِم اللهُ به أحدًا كعِلم السّاعة ونحوه. ويُروى أنّهُ، ﷺ، | قال: (مَن تكلّم في القرآن بِرأيه فأصابَ فقد أخطأَ)[33]. 6أ قال أبو محمّد: ومعنى هذا أنْ يُسألَ الرجلُ عن معنًى في كتاب الله، فيتسوّر عليه بِرأيِهِ دون نظر

---

26 أي أهلُ بيتي.

27 أخرجه ابن عطيّة: المحرّر الوجيز1/36.

28 هو حُمَيْدُ بن سعيد بن بختيار. أحد مُتَكَلّمِي المُعتزلة. ذكرهُ النّديم في مُصنّفي المعتزلة. انظر: ابن حجر العسقلانيّ، لسانُ الميزان 3/299.

29 أخرجهُ العراقيّ: تخريج الإحياء1/361.

30 أخرجهُ العراقيّ: تخريج الإحياء1/362. وفي رواية أُخرى: ما مِن شفيعٍ أفضلَ منزلةً عند اللهِ تعالَى من القرآنِ لا نبيٌّ ولا ملَكٌ ولا غيرُه.

31 أخرجهُ العراقيّ: تخريج الإحياء1/363.

32 أُمُّ المؤمنين، رضيَ اللهُ عنها، وزوج النّبيّ، عليه السّلام، وهي غنيّة عن التعريف.

33 أخرجه التّرمذيّ (2652)؛ والطّبرانيّ: المُعجَم الكبير5/208). وفي رواية أُخرى: مَن [قالَ] في القرآنِ بِرأيه، فأصابَ، فقد أخطأَ.

فيما قال العُلماء، أو اقتضتهُ قوانين العلوم كالنّحوِ والأصولِ، ولا يَدخُلُ في هذا الحديث ما استنبطه النّحويّ مِن المعاني بقواعده، واللغويّ بلغته، والأصوليّ بكلامه، ومقدّمات مَنْطقه. وكلّ عالِمٍ تكلّم باعتبار ما يُتقنه مِن عِلمٍ، فلا يكون ممّن تكلّم في القرآن برأيه. وكان أكابرُ العُلماء مِن السّلف، رضي الله عنهم، يتكلّمون في تفسير كتاب الله كعليّ ابن أبي طالب[34]، رضي الله عنه، وابن عبّاس[35] وعائشة. وإمساك البعض عن ذلك تورّع منهم، رضي الله عنهم. وكان عليّ، رضي الله عنه، يُثني على ابن عبّاس في تفسيره. وكان ابن مسعود[36] يقول: نعم، ابن عبّاس
6ب تُرجمان القرآن. وهو الذي قال: | قال فيه رسول الله، ﷺ: (اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْهُ التَّأويلَ)[37]. وحسبُكَ هذه الدّعوة. وقال جبريل عليه السّلام: إنّهُ كائن حَبْر هذه الأُمّة.

34 هو أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشميّ القُرشيّ [23 ق.هـ-40هـ/599-661 م]. وهو ابن عمّ الرسول، عليه السّلام وصهره ومِن آل بيته وأحد أصحابه. هو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنّة.

35 هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القُرشيّ الهاشميّ[3 ق.هـ-68 هـ/619-687م]. وُلِدَ بمكّة وتُوفّيَ بالطائف. حَبْرُ الأُمّة وصحابيّ جليل. مُحدّث وفقيه وحافظ ومُفسّر، وابن عم النبيّ، عليه السّلام، وأحد المكثرين لرواية الحديث، حيث روى 1660 حديثًا عن النبيّ، عليه السّلام. انظر: الزّركليّ: الأعلام4/94-95.

36 هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذلي، أبو عبد الرحمن [ت 32هـ /653م]. من أَجِلاّء صحابة رسول الله عليه السّلام، وأكابرهم فضلًا وعقلًا وقُربًا من النّبيّ عليه السّلام، وخادمه. له 848 حديثًا نبويًّا. انظر: البلخيّ: البدْء والتأريخ 2/159-160؛ الزّركْليّ: الأعلام 4/137.

37 أخرجهُ أحمد (2879)؛ وابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب 3/67.

باب في قوله عليه الصّلاة والسّلام:
(أُنزِل القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ؛ فاقْرأُوا ما تيّسرَ منهُ)[38]

اختلف النّاسُ في معنى الحديث اختلافًا شديدًا؛ فذهب فريق مِن العلماء إلى أنَّ تلك السّبعة أحرف هي فيما يتّفق أنْ يُقال على سبعة أوجه. وقال ابن شهاب[39] في كتاب مُسلِم: بلغني أنَّ تلك السّبعة هي في الأمر الذي يكون واحدًا لا يختلف في حلال ولا حرام. قال أبو محمّد[40]: هذا كلام مُحتَمَل. وقال فريق مِن العلماء: المُراد بالسّبعة أحْرُف معاني كتاب الله. وهي أمْرٌ ونَهْيٌ، ووعْدٌ ووعيدٌ، وقَصَصٌ ومُجادَلَة، وأمثال. قال ابن عطيّة[41]: وهذا ضعيف، ووجهُ ذلك بأنَّ مثل ذلك لا يُسَمّى حرفًا. أقولُ: هذا التّضعيف | بما ذُكِر غير ظاهر؛ فإنَّ إطلاق الحرف على النّوع 7أ
مجاز شائع. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[42][الحَجّ 11:22] الآية. أي على جهة وطريقة، فحيث تجوز في إطلاق الحرف على الجهة والطريقة كان إذنًا مِن الواضع في الإطلاق على ما يلائم المقام. لكنَّ الأَوْلى المصير إلى ما ذكره القاضي أبو الطيّب[43] عنه، ﷺ،

---

38 أخرجه التّرمذيّ (2943).

39 هو محمّد بن مُسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهْريّ، من قُريش، أبو بكر [58–124 هـ/678–742م]. أوّل مَن دوّن الحديث، وحفظ أكثر من 2200 حديث، وأحد كبار الحفّاظ والفقهاء. تابعيّ من المدينة. انظر: المسعوديّ: مروج الذّهب 215/3؛ الزِّرِكْليّ: الأعلام 97/7؛ ابن خلكان: وفيّات الأعيان 451/1.

40 هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطيّة المحاربيّ، أبو محمد [481–542هـ /1088–1148م]. من قبيلة قيس غيلان بن مُضر. من أهل غِرناطة. عارف بالأحكام والحديث. من أهم مُصنّفاته المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ط). انظر: الزِّرِكْليّ: الأعلام 3 /282.

41 انظر الهامش السّابق.

42 الآية كاملة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحَجّ 11:22].

43 هو محمّد بن الطيّب بن محمّد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر البَاقِلاّنيّ البصريّ. وُلِد بالبصرة ومات في بغداد [338–403هـ/950–1013م]. لُقّب بشيخ السُّنة ولسان الأُمّة، المُتكلّم على مذهب أهل السُّنة والجماعة، وهو أحد كِبار علماء عصره، انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعريّ. يُعدُّ مِن أكابر أئمّة الأشاعرة بعد مؤسّسها أبي الحسن الأشعريّ. مِن أهم مُصنّفاته: إعجاز القرآن (ط)، الإنصاف (ط)، مناقب الأئمّة (خ)، المِلَل والنِّحَل وغيرها. انظر: الزِّرِكْليّ: الأعلام167/6؛ الخطيب البغداديّ: تاريخ بغداد383–379/5؛ ابن كثير: البداية والنّهاية351–350/11؛ ابن خلكان: الوفيّات609/1.

أنَّهُ قال: (إنَّ هذا القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: نهيٌ وأمرٌ، وحلالٌ وحرامٌ، ومُحكَمٌ ومُتشابهٌ، وأمثالٌ. فأَحِلُّوا حلاله وحَرِّمُوا حرامه، وائْتَمِروا وانْتَهُوا واعتَبِروا بِمُحْكَمِه، وآمِنوا بمُتشابه)[44]؛ فهو تأييدٌ لِما ذَكَرنا.

أقول: هذا الوصف النَّبويّ لكل شيء بما يُناسبه ممّا أُتيهُ، عليه الصّلاة والسّلام، من جوامع الكَلِم، حيث قال: أحِلُّوا حلاله، أي أظهر[وا][45]، وذلك بحُسن اتّباعه. ومثله في «وحَرِّموا حرامه». ثمّ حُذِفَ المعمول في الفِعلَيْن المُتقدِّمَيْن ونُزِّلَ الفِعل منزلة اللازم للإذان | بأنَّهُ مهما 7ب
أمْكنَ العبدُ من فِعلٍ مأمور به يأتِ به. ومهما تُوهِم النّهي انكفَّ؛ فينكفُّ عن كلّ ما نهى الشّارعُ عنه. ثمَّ جعل مَورد الاعتبار المُحكَم لكمال ظهور معناهُ. ثمَّ فطمَ الأفكار عن معنى التّشابه به بحسب المؤمن فيه الإيمان به؛ فقال: وآمِنوا بمُتشابهه. إذا عُلِمَ ذلك فمِن الأخذ بمعاقد العِزّة من السّور القرآنيّة، والواصل لنهايات النّهايات من البيّنات الفُرقانيّة، سورة الفَتْح. فقد قال، عليه الصّلاة والسّلام، لِعُمر، رضي الله عنه: (أُنْزِلَتْ عليّ سورة هي أحبُّ إليَّ من الدّنيا وما فيها، وتلَى هذه السّورة)[46]. والمعنى: أنها أحبُّ إلَيْهِ من الدّنيا وما فيها بِشَرْطِ بقائها. الثاني في بيان نزولها: هذه السّورة نزلتْ على رسول الله، ﷺ ، مُنصرفة من الحُدَيْبِيَة، وفيه أحاديث شاهدة له عن
أَنَس وابن مسعود، رضي الله عنهما. وبهذا تكون في حُكم المدنيّ. | وقال الزّهريّ[47] عن 8أ
مُجاهد[48]: إنّها نزلت بالمدينة [والأشبهُ أنَّهُ نزلَ منها بعضٌ بالمدينة][49]، والباقي كان في تلك

---

44 أخرجه الأرناؤوط (3103).

45 جاءت في الأصل [أظهر]، وقد أضفتُ الواو والألف لسلامة المعنى.

46 أخرجهُ البُخاريّ (4833،4177)؛ والتِّرمِذيّ (3262)؛ والألبانيّ: صحيح الجامعيّ(5121).

47 هو محمّد بن مُسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرِيّ، من قُريش، أبو بكر [58–124 هـ/678–742م]. أوّل مَن دوّن الحديث، وحفظ أكثر من 2200 حديث، وأحد كبار الحفّاظ والفقهاء. تابعيّ من المدينة. انظر: المسعوديّ: مروج الذّهب ج215/3؛ الزِّرِكْلِيّ: الأعلام97/7؛ ابن خلكان: وفيّات الأعيان451/1.

48 هو مُجاهِد بن جُبَيْر أو جَبْر. مولى السائب بن أبي السائب المخزوميّ القُرشيّ. ويُعرف باختصار اسمه في المصادر والكُتب التراثيَة بمجاهد [21–104 هـ /642–722م]. وهو إمامٌ وفقيه وعالمُ ثقة وكثير الحديث. وكان بارعًا في تفسير وقراءة القُرآن الكريم والحديث النبويّ. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام 278/5.

49 جاءت في الأصل خارج النّص، في الهامش الأيسر مع إشارة لنوقعها في الجُملة.

السّفرة بدليل قوله، ﷺ، لعُمَر[50]، رضي الله عنه، السّابق. والذي تحرّر أنَّ الغالب منها كان بسفره، ﷺ، في قضيّة الحُدَيْبِيَة، والبعض منها بالمدينة إذا عُلِمَ ذلك.

قال، تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ [عَلَيْكَ][51] وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفَتْح 48:1–2]. أي طريقًا لا اعوجاج فيه؛ فهو أقربُ إلى المقصود، ولا عدول له عن الحقّ. والمعنى: إنَّ الله سَلَّى رسوله، ﷺ، على صبرِه على ما وقع من صَدّ المشركين له عن دخول مكّة بِفَتْحٍ يَعُمُّ العالَمَ بِشْرُه، ويبقى على صفحات الوجود ذِكْرُه بما أبرزه في صيغة الماضي المُشْعِر بتحقّق الوقوع قصمًا لِظهر المنافقين، وفَطْمًا لما عساهُ يخطرُ ببال أعداء الدِّين بأنَّ عِزَّتَهُ ا، تعالى، لنبيّه مُتَحَتِّمَة، وأنَّ سيوف قَهْرِه في هام الكُفْر مُحْكَمَة. هذا مع ما انضمَّ إلى ذلك في تلك السّنة فَتْحُ خَيْبَر[52]، أو أنّه سُمّي الصُّلح فتحًا لأنه نشأ بعد ظهور جنود الله على الكافرين، وسَلّ سيف الانتقام على المارقين. أو المُراد بالفتح غَلَبَة الرّوم على فارس وإضافته إليه لِما تقرّر عن المُشركين أنهم زعموا أنَّ مَن تمسّك بكتاب لا نُصرة له لِيُدْخِلَهُ فيه، ﷺ، فكان الفتحُ لهم له. أو المُراد بالفتح القضاء منه. والقضاء الحُكم الأزليّ أو الكتابة في اللوح. أو 8ب

50 هو عُمر بن الخطّاب بن نُفَيْل القُرشيّ العدويّ، أبو حفص [40ق.هـ–23هـ/584–644م]. هو ثاني الخُلفاء الرّاشدين، وأوّل مَن لُقّبَ بأمير المؤمنين، ويُضرَب بِعدلِه المَثَل. أسلم قبل الهجرة بخمس سنوات. أحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا. هو أحد العشرة المُبَشَّرين بالجنّة، ومن علماء الصّحابة وزُهّادهم. تولّى الخلافة الإسلاميّة بعد وفاة أبي بكر الصدّيق عام 13هـ/634م. كان ابن الخطّاب قاضيًا خبيرًا وقد اشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحقّ والباطل. هو مؤسس التقويم الهجريّ، وفي عهده بلغ الإسلامُ مبلغًا عظيمًا، وتوسّع نطاق الدولة الإسلامية حتى شمل كامل العراق ومصر وليبيا والشام وفارس وخراسان وشرق الأناضول وجنوب أرمينية وسجستان، وهو الذي أدخل القُدس تحت حكم المسلمين لأوّل مرة وهي ثالث أقدس المُدن في الإسلام. قتلهُ أبو لؤلؤة الفارسيّ بخنجر في صلاة الصُّبح. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام 5/ 45–46.

51 ساقطة في الأصل، والصواب ما جاء في الآية الكريمة أعلاه.

52 تقع مدينة خَيْبَر على بُعد 170 كم من الجزء الشماليّ للمدينة المُنَوَّرَة في السّعودية اليوم. ويُذكر أنّها كانت مدينة كبيرة ذات مزارع، وحصون. وهي الموضع الذي ذُكِر في غزوات الرسول، محمّد، صلى الله عليه وسلم، وقد فتحها النبيّ في السَّنة السابعة أو الثامنة للهجرة [628–629م]، فيما عُرِف بغزوة خَيْبَر بعد العودة من صُلح الحُدَيبية. وقد سُمّيت بهذا الاسم؛ لأنها تشتمل على العديد من الحصون؛ فخَيْبَر هي كلمة يهودية تعني الحِصن، حيث يوجد فيها الكثير من الحُصون. انظر: الطّبريّ: تاريخ الطّبريّ3/9–21؛ ابن هشام: السّيرة النّبويّة4/328–344.

بمعنى القَدَر أي الإظهار في العيان. أي قضينا لك أنْ تدخل مكّة مِن قابل. والمشهور أنَّ المُراد النّصر على العدو، أو فَتْح الكمالات والمُشكلات. أو الصّلح، لِما روى أبو داود[53] وأحمد[54] بإسناد رجاله [ال]ثِّقات[55]، أنّه قال [عُمَرُ]: أوَفَتْحٌ هو يا رسول الله؟ قال: نعم. والذي نفسي بيده
9أ إنّه لَفَتْحٌ. وفي حديثه للقُرطبيّ: بل هو أعظم الفتوح[56]. | قد رضيَ المُشركون أنْ يدفعوكم عن بلادهم بالرّاح ويسألوكم[57] القضيّة، أي الصّلح، ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا، أو كما قال وهو ظاهر بالنسبة إلى ما كان. واشتهر عن أنَس أنّه فَتْح مكّة. وقيل خَيْبَر. ولا شَكَّ أنَّ الكمالات المذكورة وغيرها ثابتة له، ﷺ. والعِبارة تحتملها، والتّخصيص يحتاج إلى مُخَصّص. فالأوْلَى والأفيد تفسير الفَتْح بالنّصر على العدو، وفتحُ الكمالات مكّة وخَيْبَر، وفتحُ الكمالات والمُشكلات. وحذفُ المفعول للتّعميم اللائق.

وفي التفاسير المنقولة إشكالٌ، وهو أنَّ كُلاًّ منها لإنْ ثبتَ بنقل، فكيف الجمعُ بين النّقول؟ وإلاّ فما وجهُ العُدول عن التّعميم مع أنّه الظاهر؟ ويُحْتَمَلُ أنْ يكون مقصود السّلف بيان أنَّ ما ذُكِر مُراد مِن غير حَصْر، فلا إشكال. وما ذكر هو جمع للأقوال، فهو الوجهُ الوجيه إنْ شاء الله، تعالى.
9ب وبه يجمع بين الأقوال | والأحاديث بأنَّ المُراد أنَّ كُلاًّ منها داخل لا الحَصر. نعم إنَّ حَمْل الفَتْح على الفَتْح في التقدير، أو معنى شامل للماضي والمستقبل لعموم المجاز، شمل كل فَتْح. هذا، وأنَّ هذا[58] النّظم الراقي في حدّ إعجازه لِما دونه، يقف الفِكْرُ عن بدايته فضلاً أنْ يصل إلى غايته، أشارَ بنون عظمته، تعالى، أنّه سبحانه المُتولّي لنُصرته المُظهر لأعداء الدِّين في عزّة نبيّه، ﷺ، عجائب قُدرته، فأضاف الفَتْح لنفسه على أتمّ استعلاء بعظمة الألوهيّة، فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾، دون أنْ يأتي بالإسم الظاهر أو أنْ يُبيّنه للمفعول. وقوله ﴿لَكَ﴾، مع أنَّ الفَتْح له ولأُمّته لِما هو معلوم

---

53 هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزديّ السّجستانيّ، أبو داود [202–275هـ/817–889م]. إمام أهل الحديث في زمانه. وُلِدَ في سجستان وتوفّيَ في البصرة. مِن أهمّ مؤلّفاته: كتاب السُّنَن (ط)، وكتاب المراسيل (ط) وكتاب الزُّهد (خ) وغيرها. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام3/122.

54 هو أحمد بن محمّد بن حنبل، أبو عبد الله الشّيبانيّ الوائليّ. إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمّة الأربعة [164–241هـ/780–855م]. أصلهُ مِن مرو، ومولدهُ في بغداد. كان أبوهُ والي خُراسان. سافر إلى العديد من البلدان في سبيل طلب العِلم. له العديد من المؤلفات منها: المُسنَد (ط) في ستة مُجلّدات، الرّد على الزّنادقة (ط)، الزُّهد (ط) وغيرها. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام1/203.

55 أل التّعريف [ال] ساقطة في الأصل؛ فاضفتُها لسلامة اللغة والمعنى.

56 أخرجه البُخاريّ (3182)؛ والبَيْهَقِيّ: دلائل النّبوّة4/160؛ والقُرْطُبِيّ: الجامع لأحكام القرآن19/296.

57 جاءت في الأصل [ويسئلوكم]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

58 جاءت في الأصل [وأنَّ هذا] مُكرّرة؛ فحذفها المُفسّر.

مِن أنّه المقصود أوّلاً، وأُمّته بطريق التّبَع ثانيًا. هذا ولما في ذلك مِن الإيذان بأنَّ الحامل على الفَتْح هو لا غيره، أي قضينا بالفَتْح رِعاية لك، مع أنَّ النِّعمة على السيّد نعمة على عبده؛ فلم يفُت
10أ المقصود ولم يُعيّن ما تعلّق به الفعل المؤكَّد بالمصدر لتذهب نفوس الكُفّار | من حيث الخوف كلّ مَذْهَبٍ؛ فيكون كلّ كافر في خشية أنَّ الفَتْح يتعلّق بجهته. ولأنّه لمّا بيّن أنَّ الفَتْح مُبتدأ مِن حضرته، حيث أَتَى بنون العظَمَة، كان الأنسب بالمقام أنْ يعدل عن مُتعلّق الفَتْح [إلى نفس الفعل المصدري المعلوم إيجاده][59] للحضرة الأحديّة مُفخّمًا بتنكيره لزيادة التهويل على الكافرين ولاستنهاض أريحيّة الموحّدين، إذْ بما ذكر ظهر أنَّ القُدرة الأحديّة توجّهت لكمال نُصرته، ﷺ. ولذلك وصف الفَتْح بالإبانة واضعًا ذلك مَحَلّ البَيّن الظاهر للمُبالغة بتحقيق إظهاره لقدره، ﷺ، عند ربّه، حيث انتصر لأجله انتصارًا مُزيلاً لخفاء الكُفر عن شمس الإيمان، أو المُبيّن لحال مَن قال مِن المُنافقين لعُمر، رضي الله عنه، مُتهكّمًا: أَلَمْ يَعِدُنا رسول الله، ﷺ، أنْ ندخل مكّة وأنْ نطوفَ بالبيتِ؟ وأشكلَ ذلك على عُمر، رضي الله عنه، لا مِن جهة أنَّ خبرَ الرسول، ﷺ،
10ب يتطرّق | إليه الخلُف، وإنّما هو إشكال خفاء لمعنى التأخير إلى أنْ جاء[60] الصدّيق[61]، رضي الله عنه، وقال له كما قيل له. فأجابه بما يَعظُم الأدهان[62] عن البحث في شأن النّبوّة بما يلوح عليه إمارة التّردّد في خبر النّبيّ بقوله: والله إنّه لرسول الله حقًّا. أقال لك في هذا العام؟ ثمّ أجاب، ﷺ، عُمر بمثل ما أجاب به أبو بكر، رضي الله عنه. ولمْ يكن ذهاب عُمر إلاّ لينظر هل يُجيب رسول الله، ﷺ، بجواب غير جواب أبي بكر؛ فيصير إليه أو به؛ فيعتمد عليه

---

59 جاءت في الأصل في الهامش الأيسر مكتوبة بخطّ مائل إلى الأعلى مع إشارة لموقعها في الجُملة. وقد جاءت بعدها جملة [إلى المصدر المؤكد لفعل] مشطوبة.

60 جاءت في الأصل [جأ]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

61 هو عبد الله بن أبي قُحافة بن عثمان بن عامر ابن كَعْب التّيميّ القُرَشيّ، أبو بكر [51ق.هـ – 13هـ/573–634م]. أوّل الخلفاء الرّاشدين، وأوّل مَن آمن برسول الله، عليه السلام، مِن الرجال، وأحد أعاظم العرب. وُلِدَ بمكّة ونشأ سيّدًا من سادات قُريش، وأحد كبار أغنيائهم. كان أبو بكر عالمًا بأنساب العرب وقبائلها وأخبارها وسياستها. أحد العشرة المُبشَّرين بالجنّة، وهو وزيرُ الرسول مُحمد، عليه السّلام، وصاحبهُ، ورفيقهُ عند هجرت إلى المدينة المُنوَّرَة. بويعَ بالخلافة يوم وفاة الرسول، عليه السّلام عام 11هـ/632م. يعتبرهُ أهل السُّنة والجماعة خيرَ الناس بعد الأنبياء والرُّسل، وأكثرَ الصّحابة إيمانًا وزهدًا، وأحبّ الناس إلى النبيّ، عليه السّلام، بعد زوجته عائشة. وعادة ما يُلحَق اسمُ أبي بكرٍ بلقب الصّدّيق، وهو لقبٌ لقّبه إياه النبي مُحمد لكثرةِ تصديقه إياه. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام4/102.

62 جاءت في الأصل [الادهَان]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة المعنى.

وصولاً إلى عِلم اليقين لما أنّه لا تردّد مع عُمر، رضي الله عنه، لِما قدّمناه مِن عدم وجوده هذا ما ظهر لهذا الفكر القاصر.

ثمّ لمّا قرّر الله، تعالى، توجّه قُدرته بالنُّصرة لنبيّه بيّن أنَّ هذه النِّعمة تكون سبباً لِغَفْرِ ما عساهُ يُحتسَب عليه ذنباً ممّا لو وقع مِن غيره، ﷺ، عُدَّ مِن أقرب الطاعات. وأعظم العِبادات على حدّ قول بعض[63] العارفين:| تَوبة العُصاة مِن المُحرّمات، والأولياء مِن الشهوات المُباحات، والعارفين 11أ مِن التشوّف للمقامات. وعلى حدّ قول أبي سعيد الخرّاز [64]: حسنات الأبرار سيّئات المُقرّبين. قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفَتْح:2] فيه التِفات، حيث وضعَ الله مكان ضمير المُتكلّم المُعظّم نفسه. ومِن فائدة هذا الالتفات إزالة الاحتمال لأنَّ قوله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ ليس صريحًا في أنَّ الفَتْح مِن الله، تعالى، وتعلّق كلّ مِن قوله ﴿لَكَ﴾ و﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ بِفَتْحِنا زيادة في الرّبط كما نصّوا عليه في قوله، تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[65] [الأنبياء 1:21] وإلاّ كان يكفي ﴿لِيَغْفِرَ [لَكَ]66 اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح:2]، إذ بالجهاد، لتكون كلمة الله هي العُليا، صَلُحَ أنْ يكون الفَتْح سبباً للمغفرة. أو أنّه سبب لاجتماع أمور المغفرة والنّصر على الأعداء، أو تمام النِّعمة 11ب والهداية للصراط المُستقيم. هذا ما ذكرهُ العلاّمة الزَّمَخْشَرِيّ[67] | وقال: مكّيٌّ جعل المنّة، أي النِّعمة، يعني الفَتْح أو قضاء الفَتْح سبباً للمغفرة. والحال أنَّ كُلاًّ منهما مِن عنده. فكما أنَّ الفَتْح فِعله كذلك المغفرة منه، إذ لا إله ولا مؤثّر في الوجود غيره، كأنه جعل الخلق والتأثير مِن خواصّ الأُلوهيّة ومُستلزمًا لها، فأفاد بنفي اللزوم[68] نفيَ اللازم المُساوي. فهل مِن خالق غير الله؟ وإذا

---

63 جاءت في الأصل [البعض]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة والمعنى.

64 هو أحمد بن عيسى الخرّاز، أبو سعيد. مِن مواليد بغداد، ولم يُعرف تاريخ ميلاده. تُوفّي عام 286هـ/899م. أحد علماء أهل السُّنة والجماعة ومن أعلام التصوّف السُّنّي في القرن الثالث الهجرية. مِن أهمّ مؤلفاته: كتاب الصِّدق أو الطّريق إلى الله (ط). انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام1/191؛ الذهبيّ: سِيَر أعلام النّبلاء 13/419–421.

65 الآية كاملة: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء 1:21].

66 ساقطة في الأصل.

67 هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزَّمَخْشَرِيّ، جار الله، أبو القاسم [467–538 هـ /1075–1144م]. من أئمّة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زَمَخْشَر سنة 467 هـ /1074م في تركمانستان، وسافر إلى مكة، فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتوفي سنة 538 هـ /1143م في جرجانية بخوارزم. من أهم مُصنّفاته: الكشّاف في تفسير القرآن الكريم (ط)، أساس البلاغة (ط)، المفصّل (ط) وغيرها. انظر: الزّركليّ: الأعلام7/178.

68 جاءت بعدها كلمة[بين]؛ فحذفها المُفسّر.

كان كذلك فلهُ أنْ يجعل أحد الفِعْلَيْن سبباً للآخر، بمعنى فِعله بعدهُ، وترتّبه عليه مِن غير تأثير مِن الغير، فإنَّ فِعل الله لا يُعَلَّلُ، ولا كفاية في هذا القَدر، بل لا بُدَّ مِن بيان المُناسبة كما في سائر الأسباب. فقيل الفَتْح ناشيء مِن جُهدهِ وسعيهِ عادة، مُتَرَتِّبٌ عليه أمور عظيمة ناشئة منهما، فصار سبباً للمغفرة ولا تكلُّف في ذلك، لأنَّ ما ترتّب على فِعل العبد بلا واسطة يُعَدُّ فعلاً له، عُرفًا وشرعًا، يُثاب ويُعاقَب عليه كالقتل المُتَرَتّب على ضربِ الرّقبة ونحوهِ. والفَتْح وما تضمّنه
12أ مُتَرَتّب | على فِعله، فَعُدَّ فعلاً له وأُثيبَ بالمغفرة، كأنه قال: أجرينا على يديك الفَتْح لتكون سبباً له، فتُثاب بالمغفرة. وإذا أُريد بالفَتْح القضاء، فهو باعتبار أنَّ المُقْضَى فِعله كأنّه قال: قضينا بترتّب إلاّ على فِعلك لتُثاب، فَافْهَمْهُ. وقيل غير ذلك. وجعل اللام للعاقبة حاسمٌ للشّبهة، إلاّ أنّه خلاف الظاهر. ويُمكن أنْ يكون الفَتْح سبباً للنُّصرة إذ المُراد بها الكائنة مِن الله، تعالى، بفاعليّته المَحْضَة كالرُّعب المُلقَى في قلوب الكُفّار. ولك أنْ تعتبر الذّنب المغفور بالنسبة إلى أُمّته، فيكون المعنى ليغفِر اللهُ لأمّتك ما تقدّم مِن ذنبها.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾، فيه وجوه، أحدُها: أنه وعدَ النّبيّ أنّه لا يُذنب بعد النّبوّة بالمعنى السابق مِن الاحتساب. ثانيها: هو للعموم يُقال اضرب مَن لقيته ومَن لا تلقاهُ. ثالثها: ما قبل النّبوّة وما
12ب بعدها. قال الإمام الرّازي: | فما قبل النّبوة بالعفو وما بعدها بالعِصمة. وهذا لا يتمشّى إلاّ إنْ قُلنا بأنه يجوز الذنب على[69] النّبيّ قبل البِعثة. والصحيح العِصمة منه قبل ولو صغيرة ولو سهواً، كما مالَ وَنَبَّهَ الأستاذ الوالد[70]، رضي الله عنه، تبعًا لجماعة وهو الحقّ. قوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، والنِّعمة الخَفْض والدَّعَة وجمعُها نِعَم، والإسم النِّعمة. واصطلاحًا اللذّة السّالمة العاقبة. ومنه قيل: لا نِعمة لله على كافر. ما يُرى له مِن مال وولد ومَلاذ؛ فهو استدراج، ويُحْتَمَل أنَّ المُراد هُنا أمور، أحدُها: إتمام التّكليف يوم حجّة الوداع: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي﴾[71]

---

69 جاءت بعدها كلمة[الولي]؛ فحذفها المُفسّر وأضاف كلمة [النّبيّ].

70 هو محمّد بن أَبي الحسن البكريّ [930–994 هـ/1524–1586م]. عالِم ومُتصّوف. ويُطلق عليه أَيضًا لقب «القُطب البكريّ» أَو «البكريّ الكبير»، كما نعتوه «بأبيض الوجه». مولده ووفاته في مِصر. انظر: الغزّيّ: الكواكب السّائرة 1/67–72؛ الحنبليّ: شذرات الذّهب 8/331–333؛ الزّركليّ: الأعلام7/60–61؛ الصّباغ: المَنح الرّحمانيّة 54–62.

71 الآية كاملة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة 5:3].

[المائدة 3:5]. أو المُراد إخلاء الأرض له، ﷺ، مِن المُعاندين؛ إذ بالفَتْح دانت قُريش له وهم سادات النّاس. أو إحقام النِّعمة في الدنيا عليه باستجابة دُعائه، وفي الآخرة بقبول شفاعته. وفي
13أ إضافة النِّعمة له، تعالى، الإيذان بعظمة | تلك النِّعمة.

قَوْلُهُ: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، المعنى: يُديمك على الصّراط المُستقيم. هذا ما قاله الإمام الرّازي، رضي الله عنه، لكنّه لم يُبيّن العِلّة في العُدول عن (يُديم) إلى ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾. فالأَوْلى أنْ يختارَ أنَّ ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾، المعنى فيه: نزيدك هداية. ويؤيّده أمره، تعالى، له بطلب زيادة العِلم بقوله، تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[72] [طه 114:20]. ومَن زاد عِلمًا زادت هِدايته. وكَوْن الهِداية مُتسبِّبة عن الفَتْح، لا يخفى وجهُ ذلك في حقّه، ﷺ؛ إذ بالفَتح زاد تعلّق الرّوح النّبويّ بربّه، تعالى، لخُلوصه حينئذٍ عن تدبير الحروب ومعاندة الأعداء إلى صَرْفِ الوُجهة له، تعالى، صَرفًا كُلّيًّا وإنْ أُضيفت الهِداية إلى المؤمنين. فبالفَتْح عَلِمَ المؤمنون أنَّ مظهر دينه؛ فهداهُ بزيادة
13ب الطّاعة له، تعالى، وأسقطَ ما قيل في هذا المَحَلّ أنَّ المُراد ليعرِفَ | بالفَتْح أنّك على صِراط مُستقيم، لأنَّ هذا يقتضي أنّه كان جاهلاً أنّه على صِراط مُستقيم، ولا يخفى فيه مِن النَّقْصِ له، ﷺ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفَتْح:3]، فيه عِزّة ومَنَعَة، أو وصْف بِصِفة المنصور إسنادًا مجازيًّا للمبالغة، أو عزيزًا صاحبُهُ.والمُراد بالعزيز القليل وقوع مِثله لنفاسته. إذ يُقال عزَّ الشيءُ إذا قلَّ وجوده مع الحاجة إليه. وأكّدَ النّصر مع وصْفه بالعِزّة دون إتمام النِّعمة والهِداية إلى الصّراط المُستقيم لِما أنّه أهمّها. إذ به خلّص بيت الله مِن المُشركين. ولذلك أبرزَ الفاعل معه دون سابقَيْه. ثمّ استأنف، تعالى، على جِهة الاستدلال على أنَّ ذلك شأنه، تعالى، مع مَن قام بأمره بين عِباده. وأوضحَ السُّبلَ لعِبادِه فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
14أ | لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفَتْح:4]، أي ولا تستبعد نصرنا لك ولقومك؛ فإنَّ لُطفنا شامل لِمَن آمن وأيقن إذا عُرِفَ ذلك. فالسّكينة، الطمأنينة الحادثة عن اليقين؛ فليست هي اليقين، إلاّ أنّها لمّا كثُر حدوثها عنه، تجوّزَ الإمام الرّازي[73]، رضي الله عنه، وأطلقها عليه. لكنّه لم يلوح بما يُرشد إلى التّجوّز. فإنْ قيل: الطمأنينة مِن قِسم المعاني، إذ هي كيفيّة نفسانيّة؛ فكيف يتعلّق

---

72 الآية كاملة: ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه 114:20].

73 هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التّيميّ البكري، أبو عبد الله فخر الدين الرّازيّ[544–606هـ/1150–1210م]. أَصله من طبرستان، وهو القرشي النسب. هو إمام ومفسّر وفقيه أصولي. له مُصنّفات كثيرة في العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية وكذلك الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. وُلِدَ في الرَّي. انظر: الزِّركليّ: الأعلام 313/6.

الإنزال بها؟ قلتُ: يُجاب بأنّها لمّا كانت أثرًا عن ما أُنْزِلَ على محمّد، ﷺ، من آيات الله، تعالى، تعلّق الإنزال بها أُطلق اسمُها عليه من باب إطلاق اسم الأثر على المُؤثّر على وجهٍ مجازيٍّ مُبالغة.

ثمّ [لمّا][74] كان لفظُ الإنزال ألْطَفُ في إيصال المُراد إلى محلّه من القَذْف استعمله، تعالى، في حقّ المؤمنين. وفي حقّ الكُفّار استعمل القَذْف | بقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[75][الأحزاب 26:33]؛[الحَشْر 2:59]. ثمّ بيّن أنَّ المَحَلّ الواصلة إليه السّكينة هو القلب، والقلبُ له إطلاقات أحدُها: يُطلَق ويُراد به اللحم الصّنوبريّ الشّكل المُودَع في جوف الإنسان من جانب اليسار، الفاني بفناء الجسد، الكائن مِثله في الحيوانات. والثاني: الرّوح الإنسانيّ المُحتَمِل لأمانة الله، تعالى، المُتحلّي بالمعرفة المركوز فيها العِلم بالفِطرة، الناطق بالتوحيد بقوله في عَالَمِ الذَّرّ: ﴿بَلَى﴾[76]؛ فهو أصل الآدميّ ونهاية الكائنات[77] في عالَم المعَاد. قال الله، تعالى:﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[78] [الإسراء 85:17]. وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[79][الرّعد 28:13]. وقال، تعالى، في الحديث القُدُسيّ: (ما وسعتني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلبُ عبدي المؤمن). وهذا الأخير من الإطلاقَيْن هو المُراد بالمَحَلّ الذي نزلت به السّكينة. كيف وقد | فسّرنا السّكينة بالطمأنينة على أنّا لا نُخلي النوع الأول من شَرَف، إذ قال، عليه الصّلاة والسّلام: (ألا إنَّ في الجَسَد مُضغة إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَد كُلّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَد كُلّه، ألا وهي القلبُ)[80].

14ب

15أ

---

74 جاءت في الأصل فوق السّطر مع إشارة بسَهم لموقعها في الجُملة.

75 الآية كاملة: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحَشْر 2:59]. كذلك وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب 26:33].

76 الآية كاملة: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة 3:75–4].

77 جاءت في الأصل في الهامش الأيمن مع إشارة لموقعها في الجُملة، حيث استبدلها المُفسّر بدل كلمة[الكمالات] مشطوبة في الأصل.

78 الآية كاملة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء 85:17].

79 الآية كاملة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرّعد 28:13].

80 أخرجهُ البُخاريّ (52)؛ ومُسلم (1599).

فهذا ظاهر في الأوّل إلاّ أنّه مِن [جهة][81] شدّة تعلّق الثاني به شرف، لأنّه رئيس المملكة البَدَنيّة.

ثمّ إنَّ الثّمرة التي انتجتها السّكينة هي زيادة الإيمان الذي به الفوز بإشراق نور الرّحمن، فقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَٰنِهِم﴾. أي إيقانًا مُضافًا ذلك إلى أصل التوحيد. إذًا أصل الإيمان الذي به يخرج الشّخص عن رتبة الكُفر لا ينقصُ كما هو ظاهر، فبقي القَدر الذي يقبل الزيادة بالأعمال والنّقص بِعَدَمِها، هو القَدر الزائد على ذلك الأصل. ثمّ هل ذلك اليقين الأصليّ يتفاوت بحسب الكيفيّة أو لا؟ الظاهر الأوّل، بدليل قوله، ﷺ: (لَمْ يسبقكم أبو بكر بكثير صلاة ولا بكثيرِ
15ب صومٍ إ، ولكن بِشَيءٍ وَقَرَ في صَدْرِه)[82]. وذلك الشيء قطعًا هو الإيمان الأصليّ لا النّاشيء عن عملٍ بدليل نَفْيه، السّبقُ به اللازم منه نفي السّبق له بما نشأ عن الصّلاة والصّوم مِن الإيمان. وأيضًا لو قُلنا بأنَّ أصل الإيمان بحسب مَحَلّه لا يختلفُ كيفيّة لَلَزِمَ على ذلك أنَّ إيمان أحاد الناس الأصليّ في الكيفيّة، كإيمان الأنبياء، واللازم باطل، فكذا ملزومه. فإنْ قُلتَ: فما وجهُ تسبُّب الزيادة هُنا بإنزال السّكينة؟ قُلتُ: لأنه بالسّكينة اطمأَنّتْ قلوبهم، فصبروا على قتال أعداء الدّين، فنصرهم الله. فبالنّصر علموا أنَّ الله مؤيد هذا الدّين، وماحٍ لآثار الكافرين، فازدادوا إيمانًا. أو أنَّ الله، تعالى، كلّفهم بتكاليف فأتوا بها فازدادوا إيمانًا بسبب ذلك. هكذا قال الإمام الرّازي، رضي الله عنه، خبير بأنَّ هذا بعيد عن ظاهر النّظم بسبب أنَّ زيادة الإيمان جعلها، تعالى، مُسَبَّبة
16أ عن تلك السّكينة. والسّكينةُ ليست بعمل كما قدّمنا. فكيف يُقال | إنَّ المعنى فيه أنّه أَمَرَهم بتكاليف فأتَوا بها، فازدادوا إيمانًا؟ نعم، التكاليف تزيد الإيمان، فهي سبب كما أنَّ السّكينة سبب لزيادة الإيمان. وكلٌّ مِن السّببَيْن له معنى مُستقل. فالأوّل نشأ مِن العبد بتوفيق الرّب. والثاني، وهو السّكينة، مِن الرّب ابتداءً. هذا، والرّازي، رضي الله عنه، فسّر السّكينة باليقين[83]، وهو خلاف العمل. هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

ثمّ لمّا كان الإيمان في العبد فِطريًّا، وكان الكُفر فيه جهلاً أو عِنادًا، قال في حقّ المؤمنين: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَٰنِهِم﴾. وفي حقّ الكُفّار: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[84] [آل عمران 178:3]، ولم يقُلْ مع كُفرهم. إذا عرفتَ هذا، فأَخَذَ الله، تعالى، يظهر لعباده أنَّ إظهار الفَتْح على

---

81 جاءت في الأصل فوق السّطر مع إشارة بسَهم لموقعها في الجُملة.

82 أخرجهُ الأرناؤوط: منهاج القاصدين22؛ والزُّبَيْدِيّ مُرْتَضَى وآخرون: تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين106/1.

83 استبدلها المُفسّر مكان كلمة [بالوقار] التي سبقتها في الأصل مشطوبة.

84 الآية كاملة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران 178:3].

أيديهم ليس إلاّ مِنّة، لا بِمَحْضِ نُصرةِ الرسول فِيمَن حضرَ معه، ﷺ، مِن المؤمنين إذ لهُ، تعالى، جنود السّموات والأرض، فقال، تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفَتْح:7]، فلو
16ب أرادَ نَصْرَ دينَهُ | بغيركم لَفَعَلَ. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الفَتْح:4] بخلْقِه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه، أي لم يزل مُتَّصفًا بذلك. والمُراد بالجنود المذكورة ملائكة السّموات والأرض، أو مَن في السّموات مِن الملائكة، ومَن في الأرض مِن الحيوانات والجِنّ، أو الأسباب السّماويّة والأرضيّة حتى يكون سقوط كِسف مِن السّماء مِن جنوده، تعالى. فَمَن كانت هذه جنوده، وهي مِن مخلوقاته إذا أراد بأحدٍ خيرًا أجْرَى نَصْرة أنبيائه على يده بحكمته، تقدّسَ وتعالى؛ فإنّه حكيم لا يَضَعُ الشيء إلاّ في محلّه، عليم بما يليق بكلّ قابليّة مِن كمال؛ فيفيض ذلك عليها، أو لا يغيب عن عِلمه شيءٌ مِن تلك الجنود. ثمّ أخّرَ ذِكر الحِكمة عن العلوم، لأنَّ العِلم هو الإدراك لحقائق الأشياء سواء وَضَعَ العالمُ الشيءَ في محلّه أو لا. والحِكمةُ هي وَضْعُ الشيءِ في مَحَلّه؛ فهي أخصّ فأُخِّرَت.

ثمّ أخذ اللهُ يُقرّر أنَّ هذا التدبير مِن تسليط المسلمين على الكُفّار وإنزال السّكينة عليهم، إنما هو
17أ عِلّه | لإدخال المؤمنين الجنّة. فقال، تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ [الفَتْح:5] مُتعلّق بمحذوف، أي أمر بالجِهاد. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الفَتْح:5]، علّة مع ما بعده لِما دَلَّ قوله، تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الفَتْح 4:48] مِن معنى التدبير. أي دَبَّرَ ما دَبَّرَ مِن تسليط المؤمنين على الكافرين ليعرفوا نِعمة الله ويشكروها؛ فيدخلوا الجنّة. ويُغيظ الكافرين والمُنافقين لما غاظهم في الحالة الراهنة، أو فتحنا. وأنزلَ جميع ما ذكر ليزدادوا. وقيل: إنّه بَدَل منه، بَدَل اشتمال. فإنْ قُلتَ: لِما ذكر المؤمنين والمؤمنات هُنا ولم يذكر المؤمنات في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[85] [الأحزاب 47:33]، وفي قوله، تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون 1:23]؟ قُلتُ: لمّا كان هذا المَحَل يُوهِم اختصاص المؤمنين بالجزاء لأنه نشأ عن القتال بَيّنَ اللهُ، تعالى، بِذِكر المؤمنات عدم اختصاص بالجزاء بذِكرهم. وليس في قوله، تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما يُوهِم
17ب اختصاصهم دُونَهنَّ لأنَّ بِشارته إ، تعالى، على لسان رسوله وندارته معلوم عمومها بخلاف هذا المقام. فإنه مقام ذِكر الفَتْح وصَبْر المؤمنين على الجِهاد؛ فلو أعقل ذِكْرُهُنّ لتوهَّمَ اختصاصهم دُونهنّ. فإنْ قُلتَ: بماذا نُكِنُّ الثواب مع أنّه لم يظهر فعل لهُنَّ؟ قُلتُ: يكفي اشتغال قلوبهنَّ بالتوجّه إلى الله، تعالى، ونصرة المؤمنين، وأنّهنَّ لو كُنَّ في مرتبة الرجال لَكُنَّ ممّن يُقاتل؟ وهذا العَزم كاف في تحصيل الثواب منه، تعالى.

85 الآية كاملة: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب 47:33].

ثمّ قال، تعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الفَتْح:5]. أي يسترُها ولا يُظهرها. فإنْ قُلتَ: لِمَ ذكرَ التكفير عقب إدخال الجنّة مع أنّ تكفير السّيئات قبل الإدخال؟ فالجواب مِن وَجْهَيْن، أحدُهما: الواو لا تقتضي ترتيبًا. الثاني: تكفير السّيئات والمغفرة وغيرهما لا يكون إلاّ بعد كَوْن المُكَلَّف مِن أهل الجنّة. فقدّمَ الإدخال في الذِّكر للمبالَغة في أنّه مِن أهل الجنّة، ولأنّ الشّخص في الجنّة تُزال
18أ عنه قبائح البَشريّة الجرميّة كالفَضَلات، | والمَعنوية كالغضَب، والشّهوة وهو التّكفير. ويُثبّتُ فيه الصّفات الملكيّة وهي أشرف أنواع الخلْع الرّحمانيّة. وقد يُقالُ: قَدّمَ دخولَ الجنّةِ مع أنّه بعد العفو لأنه أتمّ وأعلى، بل هو المقصود، والعفو لأجله. أو لأنّ السَّتْر الكامل بتكميل الدرجات وأن لا تنقصَ وذلك إنّما يظهر في الجنّة، وظهور التكفير بعد الدخول. ومَن حصل له ذلك فاز عند ربّه فوزًا عظيمًا. فلهذا قال الله، تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾، أي الإدخال والتكفير. ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، إذ هو مُنتهَى ما يطلب العبد مِن ربّه ونهاية دَفع ما يخافه منه، تعالى. و﴿عند﴾ حال مِن ﴿فَوْزًا﴾.

ثمّ زيادة النّعيم للمؤمنين عند ربّهم أنّ الله، تعالى، يتولّى تعذيب مَن عاداهم في الدنيا يوم القيامة، إثر تعذيبهم لهم في الدنيا والقَتْل والسّبْي، فقال، تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ
18ب وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفَتْح:6]، عطفٌ على ﴿يُدْخِل﴾ | إلاّ إذا جُعِل بَدَلاً، فيكون عطفًا على المُبدل منه. إذا عُلِم ذلك فالمُنافق هو مِن أظهر خلاف ما في ضميره. ومنه مَن أظهر الإيمان وأخفى الكُفر، وهذه الحالة أقبح خِصال الكُفْر. فلهذا أخّرَ ذِكر المُشركين وهم عبدةُ الأوثان مع عدم إظهار الإيمان، لأنّ حالةَ مَن أخفى الكُفْر أفْظَع. إذ مَن أظهر الإيمان بالضّرورة يكون حاله مُلتبِسًا على الناس لا يُؤْمَنُ مِن مكروه ويقعُ فيه المؤمنُ، وهو لا يشعر لأنّ صورة إيمانه تنفي التّخَوّف منه بخلاف مُعْلِن الكُفْر. ولهذا كان الخطَر في مُجالسة أهل البِدَع أقوى منه في مُجالسة أهل الكُفْر. ثمّ وصفهم الله، بما هو كالعِلّة في استحقاقهم العذاب بقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. الظنُّ هُنا يحتملُ وُجوهًا، أحدُها: هو الظّنُ الذي ذَكَره الله في هذه السّورة بقوله، تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الفَتْح:12]الآية[86]. ثانيها: ظنُّ المُشركين أنّ معبوداتها مِن
19أ الأوثان | تُقرّبها منه، تعالى. ثالثها: قولهُ، تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[87]

---

86 الآية كاملة: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفَتْح:12].

87 الآية كاملة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النّجم 23:53].

[النّجم 23:53]، إلى قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[88][النّجم 28:53]. رابعُها: ظَنُّهم أنَّ الله لا يعلمُ بأفعالهم جميعًا، كما قال، تعالى: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[89][فُصِّلَت 22:41]، وأوّلُها أقربُها. خامسُها: كلُّ ظنّ وقع منهم كما أرشدَ إليه الألف واللام في السُّوءِ[90] والسَّوْءِ، والسُّوء كالكَرْهِ والكُرْهِ، والضَّعْف والضُّعْفِ. إلاّ أنَّ المفتوح غلب فيما يُراد ذمّهُ من كلّ شيء. وأمّا المضموم؛ فجارٍ مَجْرَى الشَّر الذي هو نقيض الخير. يُقال أرادَ به السُّوء، وأرادَ به الخيْر. ولذلك أُضيف الظنُّ إلى المفتوح لكونه مذمومًا، وكانت الدائرة محمودة؛ فكان حقّها أنْ لا تُضاف إليه إلاّ على التّأويل، وذلك أنَّ الدائرة يذمّونها لكونها عليهم، وإنْ كانت محمودة عند المؤمنين. ثمّ وصفَ ما وقع عليهم بأنّه دائرٌ محيط للدلالة
19ب على أنّه لا نجاة | لهم منه أبدًا، كَمَن يقعُ في مُسَوَّر لا ينفلتُ منه. وهذا الأمرُ والدائرة كانت لظنّهم على المؤمنين؛ فخيّبهم اللهُ وقهرهم وأذلّهم ودَحَرَهُم.

ثمّ بيّن، تعالى، أنَّ هذه الحالة الدّنيويّة غير كافية في نكالهم، بل وراء ذلك العذاب الأُخرويّ الذي هو غضبُ الله، وكفى به عذابًا لو لم يقترن بغيره. كيف وقد اقترن أيضًا باللّعْنِ وهو الطّرْدُ عن رحمة الله واليأس منها؟! وأيضًا إنَّ جهنّم مُهيّأةٌ لهم وساءت[91] مصيرًا وعاقبة؛ فَمِن هُنا قال الله، تبارك وتعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفَتْح:6] وأبعدهم. ولا شّكَّ أنَّ البُعد يستلزم الغضب. وصرّح به للإشعار بأنَّ العذاب ليس للتّظهير بل لغضب مُقْصٍ للبُعد. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفَتْح:6]، أي مرجعًا. كيف لا يحلّ بِمَن عصاهُ قوارع الغضب؟ أمّا بمخلوقاته؛ فلهُ جنودُ السّموات والأرض. وأمّا مِن ذاته؛ فباللّعْنِ والطّرْدِ مِن رحمته. ففي إعادة
20أ قوله، سبحانه وتعالى: | ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفَتْح:7]، معنى غير ما تشهد مِن الأوّل؛ إذ الأوّل – كما قدّمنا – فيه الإشارة إلى أنّه، تعالى، ما جعل الفَتْح على يد مَن ذَكر إلاّ لإرادة الخير بهم لا لانحصار جنود الله فيهم. والثاني فيه ما ذَكرنا؛ فانْظُرْ إلى نور هذه المعاني ما أزهره، وإلى نور هذه المثاني ما أنْوَرهُ. وقال في هذا المَحَلّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلْكِهِ ﴿حَكِيمًا﴾، أي لم يزل مُتّصفًا بذلك. وفي الأوّل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، للتّفاوت بين إيراد ذِكر الجُنون في المَحَلّيْن كما قدّمنا. إذ في هذا المَحَل القصد منها إبراز العَظَمَة في أخْذِ الكافرين؛

---

88 الآية كاملة: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النّجم 28:53].

89 الآية كاملة: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ 22:41].

90 جاءت في الأصل [السؤ]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

91 جاءت في الأصل [سات]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

فناسب أنْ يُعْقِبَ ذِكر الجنود بوصف العِزّة والحِكمة في استحقاقهم للعقاب. وهناك القصد منهم أنّه ما خصّهم بدخول الجنّة، وأنَّ الفَتْح على أيديهم إلاّ لما عَلِمَ من إخلاصهم في طاعة الرسول، بما يجعل الحِكمة في استحقاقهم للثّواب؛ فكان كلٌّ من الآيَتَيْنِ بِمَحَلِّهِ أَلْيَقُ، | وإلى كماله أَسْبَقُ. 20ب

ثمّ لمّا قدّم، تعالى، صِفة العِلم الذي من جُملة ما يتعلّق به أعمالهم؛ فربّما يخطُر في بال أحد من مُعاندي الدّين أنّه لا يحتاجُ الحال إلى تطلّع الرسول لأحوالهم، ولا إلى طلب ما كان من أخبارهم. فبيّنَ، تعالى، أنَّ رسولَهُ وظيفتُهُ الاستشراف على ما كان من حالهم؛ فيُبشّر أهل الإيمان ويُنذِر أهل الكُفران. فقال، تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الفَتْح:8] حال مُقَدَّرَة، أي مُقدّرًا ومزيدًا؛ فإنَّ الشّهادة بعد الإرسال. أو المعنى لأجل كَوْنك شاهدًا. ويُحْتَمَلُ أنَّ المُراد الشّهادة بالوحدانيّة؛ فلا تَكَلُّفَ. ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي شاهدًا على أُمّتكَ بإبلاغهم الرسالة. أي مقبولاً قوله عند الله من غير طلب بيّنة، كما هو شأن الشاهد العَدْل، صَرّحَ به الزَّمَخْشَرِيّ وغيره. فالشّهادة مَجاز، والشّهادة المقبولة من خصائصه، عليه الصّلاة والسّلام. وغيره، وإنْ شهد مُطالبٌ بالبَيِّنَة؛ فلا يَرِدُ أنَّ الاختصاص | يُنافي قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾[92] [النّساء 41:4]. وفي المعالِم أنَّ المُراد الشّهادة للأنبياء بالتّبليغ، وهي أيضًا خاصّة. ولا يخفى أنّه كان الأَوْجَهُ الحَمْلُ على الشّهادة بحال الأُمّة، أو بتزكيتهم، أو على الأمر كما ذَكَرَهُ المُفسّرون لتكون الشّهادة ظاهرًا والاختصاص باهرًا. وقد ثبت له، ﷺ، أنواع الشّهادة. فالتّخصيص ببعض يحتاج إلى مُخَصِّص، وحيث لم يكُنْ؛ فالوَجْهُ التّعميم دفعًا للترجيح بلا مُرَجِّح كما قُدِّر في مَحَلّه. وكمال الاختصاص وعلوّ المرتبة في غاية الكمال. وقيل: شاهدًا لهم بالتوحيد. فالمُراد بالأُمّة المؤمنون، ومُبشّرًا لها بالثّواب على العمل الصّالح قطعًا ولو بعد دخول النّار. وقيل: بالمغفرة لِمَن يشاء، أو بالنّجاة من النّار قطعًا ولو بالآخرة. أو العفو في الجُملة، أو إنْ تابوا؛ فيشمل الكلّ، ومُنذرًا عدوَّهُ بالعذاب، والإنذارُ | التّخويف. ولمّا كان كلّ مؤمن مُبشّرًا، خصَّ الإنذار بالكافر ليكون المُنذر 21ب
غير المُبشّر كما هو المُتبادر، ولتخصيصه به في الكتاب والسُّنّة. وعن قتادة أنّه قال: مُنْذِرًا لِمَن عصى؛ فيعُمُّ الفاسق وهو مُنذَرٌ من وجه ومُبَشَّرٌ من وجه. بل يُمكن أنْ يُقال خوف المُتّقين من الله، تعالى؛ فإنَّ كلّ مُقرّب خائف ولا يأمن مَكْرَ اللهِ إلاّ القوم الخاسرون. ويؤيّده قوله، تعالى: ﴿لِيَكُونَ[93] لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[94] [الفُرقان 1:25]، بل يُحتمَل أنْ يُعدَّ قوله للكافر إنْ تَنْتَه يَغْفِرْ لكَ البِشارة. إذ المُراد بالإنذار ما من شأنه التخويف؛ فكذا البِشارة. فيكون قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلا

92 الآية كاملة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النّساء 41:4].

93 جاءت في الأصل [لتكون]، والصواب ما ورد في الآية الكريمة.

94 الآية كاملة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفُرقان 1:25].

كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[95] [سبأ 28:34]، على الظاهر لا التّوزيع[96]؛ فليُتَدَبّر. وقيل: مُحَذِّرًا من الضّلالات؛ فيشمل الفاسق والمُتّقي أيضًا، قطعًا لثبوت التحذير أو شاهدًا بما شهد الله به. قال، 22أ تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[97] [آل عمران 18:3]، وهم الأنبياء، | صلوات الله وسلامه عليهم. فإنْ قُلْتَ: قال في سورة الأحزاب: ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا[98]* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب 45:33–46]؛ فذكر أوصافًا خمسة ، وهُنا ذكرَ ثلاثة منها. فما الفرق بين المَحَلَّيْن؟ فالجواب: إنَّ الله تعالى في سورة الأحزاب بيّن غالب أحواله، ﷺ، فكان المقام لائقًا[99] بزيادة ألقابه، ﷺ. وهُنا المقصود بيان تعجيب الخَلْقِ من شأن ذلك الفَتْح؛ فاقتصرَ على هذه الأوصاف الثلاثة لأجْلِ التّسارع إلى تفصيل الشؤون التي وقعت للمؤمنين.

ثمّ لمّا أتمَّ له، ﷺ، هذه الأوصاف عقّب ذلك بالعلّة الغائيّة في إرساله مُتّصفًا بهذه الأحوال السُّنيّة، فقال، تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفَتْح:9]. الخطاب لأمّته وله، ﷺ، لأنّه مأمور 22ب بالإيمان بما أُنزِلَ إليه من ربّه. قال، تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ | وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[100] [البقرة 285:2].

والجمعُ بين الإسمَيْن بهذا الحرف المُفيد لمشاركة المعطوف والمعطوف عليه في الحُكم من غير إشعار بالفَرْق، دالٌّ على التعظيم والمُناسبة. ولا إشكال على جَعْل اللام لام العاقبة، نحو: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[101] [القَصَص 8:28]. المعنى: أرسلنا إليكم؛ فالخطاب للأُمّة أو هو التفات عند بعض. وقُرِئَ لِيؤمنوا بياء الغَيبة، وهو مُتعلّق بـ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾. والمعنى: لِيُؤْمِنَنَّ بالله ثمّ بالنبيّ، ﷺ، مَن سبقتْ في العِلم والتقدير له من الله الحُسنَى والسّعادة. والمعنى: لأجل أنْ نأمُرهم؛ فيشمل

---

95 الآية كاملة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ 28:34].

96 أي الارتعاد والارتعاش. انظر: لسان العرب مادّة [و ز غ].

97 الآية كاملة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران 18:3].

98 الآية كاملة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب 45:33].

99 جاءت في الأصل [لايقا]، والصواب ما ثبت أعلاه.

100 الآية كاملة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة 285:2].

101 الآية كاملة: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص 8:28].

أُمّة الدعوة كلّهم. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الفَتْح:9]، أي تُصلُّوا لأجله أو تُنزّهوه أو تقولوا سُبحان الله. ﴿وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾، بالغداة والعَشِيّ. الضمائر جميعًا راجعة إلى الله، تعالى، بدليل
23أ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، إذ التّسبيح له، تعالى، كما ذكرهُ بعضهم | في قوله، تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[102] [الإسراء 1:17]. إنَّ «سُبحان» كلمة اختارها الله لنفسه بجميع مُشتقّاتها. ومِن هُنا، قال العلاّمة الزَّمَخْشَرِيّ: ومَن فرّق الضمائر فقد أبعد.

وقُرِئَ ﴿وَتَعْزُرُوهُ [تَعْزِرُوهُ]﴾ بضمّ الزاي وكسرها. وبالزايَيْنِ المُجتمِعَيْنِ مِن العِزّة، بمعنى القوّة والغَلَبَة والرِّفْعَة والشِّدَّة. وقُرِئَ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ مِن أَوْقَرَهُ بمعنى وقَرَهُ. وما تقدّم مِن أنَّ الضمير في يُعزّروه ويُوقّروه لله، تعالى، هو ما ذهب إليه الزَّمَخْشَرِيّ ومَن بعده، وكثيرٌ مِمَّن سبقه. واختاره كثيرون لِئَلاَّ يلزم تفكيك الضمائر. وقال القاضي عيّاض[103]: الأكثرُ والأظهرُ، أنَّ الضّمير مِن قوله تُعزّروه وتوقّروه، عائدٌ إلى الرسول، ﷺ، لا إلى الله، تعالى، لأنَّ الرسول، عليه الصّلاة والسّلام، أقرب ونِسْبَةُ التّوقير إلى الله، تعالى، قليلة مُتَوَهَّمَة للمُحال؛ فتحتاج إلى التأويل. وقد ورد
23ب ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف 157:7][104]؛ ففي ذلك رعاية اللفظ والمعنى[105] والمناسبة. لكنَّ الزَّمَخْشَرِيّ بالغ في إنكاره جدًا كما سبق، وأيّد المعنى بقوله، تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾[106] [محمّد 7:47]، ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح 13:71]؛ فالأكثريّة والأظهريّة التي ذكرها القاضي في محلّ المَنْع. ولعلّ القاضي يمنع الرّكاكة التي ذكرها الزَّمَخْشَرِيّ، ﴿كُلُّ حِزْبٍ

---

102 الآية كاملة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء 1:17].

103 هو أبو الفضل عيّاض بن موسى بن عيّاض بن عمرو بن موسى بن عيّاض السّبتي اليَحْصُبيّ [476–544 هـ/1083–1149م]. عالم مغربيّ، فقيه، ومؤرخ، وقاض مالكيّ. إمام أهل الحديث في زمانه، كما كان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم.تولّى قضاء سبتة التي وُلِدَ فيها، ثمّ قضاء غِرناطة. تُوُفِّيَ في مرّاكش مسنومًا، وقيل سمّهُ يهوديّ. مِن أهم تصانيفه: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى(ط)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك (ط)، وكتاب مشارق الأنوار(ط). انظر: الزّركليّ الأعلام5/99.

104 الآية كاملة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف 157:7].

105 جاءت بعدها[بقوله تعالى]، فحذفها المُفسّر.

106 الآية كاملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمّد 7:47].

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[107] [المؤمنون 53:23]؛ فاليُتَدَبَّر. والقاضي يقف على ﴿تُوقِرُوهُ﴾، وفيه تخفيف لشناعة الزَّمَخْشَرِيّ. وأمّا قوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، فهو راجع إلى الله، تعالى، وِفاقًا لِعدم ورود اللفظ في حقّ غيره. ثمّ لِيُعْلَمَ أنَّ هذه الأمور الأربعة المسُوقة هُنا مِن الإيمان بالله، فما بعدهُ يُحتمَل أنْ تكون مُرتّبة على ما قبلها. كلّ واحد على واحد. فقوله ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الفَتْح:9] مُرتّب على قوله ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، لأنَّ كونه رسولاً يقتضي الإيمان بالمُرسَل وبما جاء به عنه. وكونهُ شاهدًا مُطلقًا على أحوالهم يقتضي أنْ يقدروا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ، وذلك بتعزيزه وكونه مُبشّرًا يقتضي | أنْ 24أ
يُوقّرَ جانب الرّبوبيّة، لأنَّ البِشارة منه، تعالى. وإذا كانت نعمة يجبُ شُكرها بتوقير الرَّبّ، وكَونه نذيرًا يقتضي أنْ يُخشَى ما خوّفَ منه مِن سخط الرَّبّ، تعالى؛ فيُنَزَّهُ عمّا لا يليق. ويصحُّ أنْ يجعل كلّ واحد مِن الأربعة الأخيرة معلولاً عن كلّ واحد ممّا تَقَدَّمَهُ. فإنْ قيل: ما وجهُ هذا الترتيب مع أنَّ قوله ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ يطلبُ فعلاً. وكلٌّ مِن قوله ﴿مُبَشِّرًا﴾ إلى آخره وصفٌ؟ قُلنا: هذا الترتيب مِن جِهة المعنى كما تقول: بعثتُ إليكَ عالمًا لِتُكْرِمَهُ؛ فجعلتَ الإكرام مُرتّبًا على الوَصْف معنىً، على أنَّ قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾، أي حال كونك مُبشّرًا إلى الآخرة؛ فترتّب قوله على الإرسال، مُعتبرًا فيه هذه الأحوال. فإنْ قُلتَ: كيف كان في حال الإرسال مُتّصفًا بالبِشارة إلى آخره، والبِشارة وما بعدها مُتأخر عن وقت الإرسال؟ قلتُ: ذلك حالٌ له بالقوّة أو هي أحوالٌ مُنتظَرة، والأُولى أوْلَى.

ثمّ لمّا بيّن اللهُ، تعالى، أنّه أرسل رسوله | بعنوان البِشارة والنّذارة لأجل قيام آلاء الرّبوبيّة مِن 24ب
التعزيز والتّوقير والتّنزيه، أخذ يقصّ عليه بعض أحوال طائفة مِمّن كان معه في عام إنزال هذه البِشارة، وبيّن حال ثباتهم وقوّتهم[108] وثباتهم، وأنهم باعوا أنفسهم في ذات الله بتلك المُبايعة وحُسن أداء تلك المُتابعة بما بيّن به شَأْوَ شَأْنِه، ﷺ، بأنَّ مَن بايعهُ فكأنّما بايع ربَّهُ، تبارك وتعالى؛ فبه يزداد الإيمان في قلوب المؤمنين ويَنمو[109] اليقين في باطن الموحّدين؛ فقال، تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفَتْح:10]، يعني بَيْعَة الرّضوان[110]. أرسلَ، ﷺ، في غزوة الحُدَيْبِيَة

---

107 الآية الكاملة: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون 53:23].

108 جاءت في الأصل [وقوة]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة والمعنى.

109 جاءت في الأصل [ينوا]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

110 بَيْعَة الرضوان أو بَيْعَة الشّجرة هي حادثة في التاريخ الإسلامي حدثت في عام 6هـ/628م في منطقة الحُديبية، حيث بايع فيها الصحابة النبيّ محمد، عليه السّلام، على قتال قريش وألاّ يفرُّوا حتى الموت، بسبب ما أشيع من أن عثمان بن عفان قتلته قُريش حين أرسله النبيّ إليهم للمفاوضة، لما منعتهم قريش من دخول مكة وكانوا قد قدموا للعمرة لا للقتال. انظر: ابن حجر العسقلانيّ: فَتْح الباري7/503–523.

سنة ستّ[111]، عثمان، رضي اللهُ عنه[112]، إلى قُريش بكتاب الصُّلح. وقيل للإخبار بأنّه، ﷺ، لمْ يَجِئْ للقتال؛ فسمعَ بأنهم قتلوا عثمان، رضي اللهُ عنه؛ فجلس تحت شجرة وأمر الناس بالبَيْعَة.

25أ فعَن سلمة[113]: بايعناهُ على الموت. | وعن جابر[114]: على أنْ لا نَفِرّ؛ فنزل فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفَتْح:18]، وهم ألفٌ وأربعمائة. وروي: وخمس مائة؛ فَسُمِّيَت «بَيْعَة الرِّضْوان». وأمّا الاختلاف في طريق البَيْعَة؛ فجمع بأنَّ بعضًا وبعضًا، ولمْ يُرِد بالموت إلاّ الصّبر على الجِهاد وإن انجرَّ إلى الموت، وهو المُراد بعدم الفِرار؛ فلا اختلاف في المقصود بين القَوْلَيْنِ. وأمّا اللفظ الواقع؛ فمُحْتَمَل. أي إنّما يُبايعون الله بيعتهم إيّاك. والمُبايعة مِن البَيْع. هم باعوا أنفسهم وأموالهم بالجنّة، واللهُ باع منهم الجنّة. وتُطلَق في العُرف على المُعاهدة على أمر. والظاهر أنَّ القَصْر حقيقيّ على التّشبيه، أي كأنّه بلا واسطة الرسول، ﷺ، مع الله، تعالى؛ فهو آكدٌ في التثبيت. وفيه تعظيم النّبي، ﷺ، أيضًا، إذ النّفي غير مُراد بل الحَصْر مجاز عن تأكيد الحُكم. ويبعُدُ أنْ يكون إضافيًا

---

111 [6هـ/627م].

112 هو عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة، أبو عبد الله، مِن قُريش [47ق.هـ-35هـ/577-656م]. هو أمير المؤمنين، ذو النّورَيْن لأنه تزوّج اثنتين من بنات النبيّ عليه السّلام، حيث تزوج من رقية ثم بعد وفاتها تزوج من أم كلثوم. وهو ثالث الخلفاء الرّاشدين، وأحدُ العشرة المُبَشّرين بالجنّة. وُلِدَ بمكّة وأسلم بعد البِعثة بقليل. كان غنيًّا وشريفًا في الجاهليّة، وكريمًا مُنفقًا في الإسلام، حيثُ جهّزَ نِصف جيش العُسرة. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطّاب عام 23هـ/644م. هو أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحِفظ الإسلام، ثمّ تبعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة. ثمّ هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المُنَوَّرَة. وكان رسول اللّه يثقُ به، ويحبُّهُ ويُكرمه لحيائه وأخلاقه وحُسن عشرته، وما كان يبذله مِن المال لنُصرة المسلمين. في عهده توسّعت الخلاف الإسلاميّة بسبب فتوحاته، وقد أنشأ أول أسطول بحري إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين. كما تمّ جمعُ القرآن الكريم في عهده. في آخر عهد خلافته، حدثت الفِتنة الكُبرى التي أدّت نهايتُها إلى مقتله. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية7/170-177؛ الزِّرِكليّ الأعلام4/210؛ خالد محمّد خالد: رجال حول الرّسول، 233-236.

113 هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلَمَة التّيميّ، مولاهم، المدنيّ، أبو عبد الله [ت 164هـ/780م]. فقيه، من حُفّاظ الحديث الثّقات ورواته. وهو أحد فقهاء أهل المدينة المُنَوَّرَة. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام 22/4.

114 هو جابر بن زيد الأزديّ البصريّ، أبو الشّعثاء [21-93هـ/642-712م]. تابعيّ مِن الأئمّة الأربعة. مِن أهل البصرة. مُحدّث وفقيه، وإمام في التفسير والحديث. وهو مِن أخصّ تلاميذ ابن عبّاس، رضي الله عنه، وممّن روى الحديث عن أُمّ المؤمنين عائشة، رضي الله عنها. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام2/104.

ردًّا لِمَن زعمَ أنّه مع الجِنّ، فليُتأمّل، لأنه لإطاعته، تعالى، ولكونهِ رسولاً منه. | فالمُبايعة له 25ب
مُبايعة لله، تعالى، ولذلك أكّده بقوله ﴿إِنَّمَا﴾ المُفيدة لِحَصْرِ وجوهِ المُبايعة منه، تعالى. ولهذا أكّد ثانيًا بقوله، تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفَتْح:10]، يريد عند البَيْعَة. والآية مِن المُتشابهات، لأنّه، تعالى، مُنَزَّهٌ عن الجارحة. فمنهم مَن آمن بما أراد وسكتَ، ومنهم مَن جعلها مجازًا عن معنى ثابت، ومنهم مَن أثبتَ يدًا غير الجارحة، بمعنى أنَّ له ما يقوم مقام الجارحة لنا؛ فسمّاهُ يدًا حقيقيّة، فليُتدبَّر. والناس في مِثل ذلك، إمّا سَلَف وإمّا خَلَف. فالسَلَف طريقتهم التسليم والتّنزيه، والخلَف طريقتهم التأويل.

وتُرجِّحُ الأُولى[115] الثانية، كما قاله الإمام الرّازي، لأنَّ مَن سَلَّمَ اعتقد تنزيه الحَق عن الجارحة، مع عدم تعطيل اللفظ غايتهُ، أنّه لا يبحث عن معاني اللفظ إذا عُلِمَ ذلك. فاللفظ العربيّ إمّا أنْ يحتمل معنى أو أكثر، فإنْ كان الأوّل فَنَصٌّ، وإنْ كان الثاني، فإمّا أنْ يكون احتماله على
السّواء، فالمُشْتَرَك. وإمّا مع ترجيح، فهو مع الرّاجح ظاهرٌ، | ومع المرجوح مُؤَوَّلٌ. والأصل حَمْلُ 26أ
اللفظ على ظاهره لتبادره إلى الفَهْم أوّلاً. لكنّه قد يمنع العقل مِن الحَمْلِ على الظاهر فيُحمَلُ على الموؤَّل مُحافظة على عدم تعطيل اللفظ ما أمْكَنَ. وليعلم أنَّ الشيء قد يُشبَّه بشيء في النّفس ويُنكر أحد طَرَفَيْ التشبيه، فإنَّ ذُكِرَ المُشبّهَ به وأُريد المشبّهَ، فاستعارة مُصرّحَة، وإنْ ذُكِرَ المُشبَّه وأثبتَ له لازم المُشبّه به، فاستعارة مكنيّة على اختلافٍ في تعيينها، وإثباته استعارة تحقيقيّة بأنْ يُراد باللازم معناهُ الحقيقيّ، والإسناد على التخييل عند الجمهور. فمنهم من ذهب إلى أنَّ في يد الله استعارة تخييلية ومكنيّة بأنْ شبّه الله برسوله. ثمّ ذكرَ المُشبّه مُثبتًا له يد على التخييل والمجاز في الإسناد، وأظهر أنَّ يد رسول الله التي تعلو أيديهم، يدُ الله. وقال بعض المُحقّقين: لله تعالى، يدٌ تليق به. فشبّهَ يدَ الرسول بيده، وأطلقَ عليه يد الله. فهو استعارة مُصرّحة. أو شبَّهَ الحالة التي
لِيَدِهِ، تعالى، مع أيديهم بالتي | لِيَد الرسول معها، يعني الفوقيّة؛ فأطلقت على المُشبَّه استعارة وعلى 26ب
التأويل. فقوله، تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، إمّا أنْ تُعتبَرَ اليَدُ في المحلَّيْن بالمعنى الموؤّل نظرًا للمُشاركة، أو في حقّه، تعالى، فقط. وإذا كان الأوّل، فإمّا أنْ تُغايرَ بين التأولَيْن في المعنى مع الاتحاد في أصل التأويل أو تُوافِقَ.

115 جاء فوقها حرف [إلى] مكتوب بخطٍ يختلف عن الخطّ الأصليّ للمخطوطة، وأظنّ أنَّ ذلك ليس للمُفَسِّر، لذلك لم أُضِفْهُ للنّص المُحَقَّق.

أمّا في حقّه، تعالى، فالتأويل واجب على كلّ حال لِما قدّمنا مِن رجوع التّسليم إليه إذ العقلُ منع مِن إضافة الجارحة إليه، تعالى، لأنّه أحَدٌ لا يقبل القِسْمَةَ لِذاته، ولأنَّ التركيب يستدعي مُرَكِّبًا. وكلُّ ذلك إمارة حدوث مُنزَّه عنها واجب الوجود، تقدَّسَ وتعالى. وأمّا في حقّ المُبايعين، فمعلوم جواز الأمرَيْن يرجعُ إلى بيان اليدِ في حقّه، تعالى. فهي بمعنى القوّة والقُدرة والنُّصرة، أو النّعمة أو الثّواب. فعلى الأوّل كأنّهُ قال: قوّةُ الله وقُدرته على إظهار دينه فوق قُدرتهم وقوّتهم؛
27أ فَثِقْ به، تعالى. وهذه مَجاز شائع | لظهور قوّة القُوي باليد أو نِعمته بالعِزّ والهداية فوق إحسانهم، أو ثوابه فوق بَيْعَتِهم والوفاء بها. إنْ أوَّلْنَا في حقّهم أيضًا لإظهار الاستغناء التّام عن سائر الموجودات، وإنْ أوَّلْنَا في حقّه، تعالى، دونهم؛ فالمعنى: قُدرةُ الله، تعالى، مُؤيّدة لهم في حربهم، أو حِفظه فوق جارحتهم بحِفظهم على البَيْعَة. كما أنّه قد توضَع اليد على يد المُتبايِعين لِيَتمّ عقدهم. ولولا ذلك ما حصل ذلك الأثر مِن ثبات جنانهم ونشاط أركانهم، وقوّة جوارحهم. ولا شُبهة أنّه مَن لم يُجْزَ على ما تُفضيه هذه المُبايعة، يكون حسرة على نفسه. فلذا قال الله، تعالى: ﴿فَمَن[116] نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفَتْح:10]. أي يرجع وبال نَقْضِه على نفسه، إذ بتأويل اليد بالإحسان يكونُ[117] النّاكث مُفَوِّتًا لِما يُنعِم به عليه الرّحمن، أو مُفَوِّتًا لتوجّه القُدرة لِمُعاونته. وبتأويل اليدِ بالحِفْظِ، يكون كَمَنْ يجعل يدهُ فوق يد شخص يُعاهِد شخصًا آخر لأجْل حِفْظِ
27ب | عهدِهما مِن الفَسْخ. فالمعنى: لا يحصل لك كَدَرٌ بِنَكْثِ مِن نَكَثَ. فإنَّ المُبايعة مع رَبّك، ورَبّكَ لا يتضرّر بتقصير عباده، إنّما التقصير يرجع إليهم كما قال، تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[118] [فُصِّلَتْ 46:41]. وإذا ذَكَرَ أنَّ مَن نَكَثَ عاد نَكْثُهُ عليه باللّوم، لزمَ أنْ يُبيّن حال مَن لم ينكُثْ بل بقي على عهده فقال، تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفَتْح:10]. الأجر مأخوذ مِن الأجرة التي تكون في مُقابلة العمل والحقّ مالك لهم، وخالِقٌ لهم. وإذا كان كذلك، فما معنى الأجْر؟ وهلاّ[119] قيلَ يَمُنُّ عليه الله؟ فالجوابُ: إنه لمّا كان الامتنان مِن شأنه أنْ لا يكون مُحقق الحصول، وإن كان بعروض كَوْنِه مِن كريم صدوق يكُن مُحَقَّقُ الحصول. لكنّه ليس بموضوعه مُحقّق حصوله بخلاف الأجر؛ فإنّه بذاته مُحَقّق حصوله لوجود
28أ مُقابله مِن جِهة الآخذ. فأراد الله أنْ يصف ما يُفيضَهُ مِن إحسانه | على[120] عَبِيده بما هو مُحَقَّق

---

116 جاءت في الأصل [وَمن]، والصّواب ما ورد في الآية الكريمة.

117 ذُكِرَت في الأصل مرّتَيْن؛ فشطبَ المُفسّرُ الأولى.

118 الآية كاملة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ 46:41].

119 جاءت في الأصل [هل لا]، والصّواب ما ثبت أعلاه. ويبدو أنّها هكذا كانت تُكتب في عصر المُفسّر.

120 ذُكِرَت في الأصل مرّتَيْن؛ فشطب المُفسّر الأولى.

الحصول؛ فاستعار له معنى الأَجْر وأطلقهُ عليه لِمُشابهته إيّاهُ في تحقّق الحصول. وليُعلمَ أنَّ الخُلْفَ في الوعدِ نقصٌ لا يجوز أنْ يُنْسَب إلى الله، تعالى، بخلاف الخُلْفِ في الوعيد؛ فإنّه كَرَم يجوز إسنادُهُ إلى الله، تعالى. فيجوز أنْ لا يُعاقَب العُصاة. وقد استشكلَ بأنّه إنْ جاز الخُلْفُ في الوعيد لزمَ الكذب، تعالى الله، عن ذلك، ولزمَ تبديل القول مع النّص القاطع بانتفائه. واختلفوا في جواب ذلك. وفي شرح المقاصد: الجوابُ الحقُّ أنَّ مَن تحقّقَ العَفو في حَقِّهِ يكون خارجًا عن عموم اللفظ وإرادة الخصوص مِن العامّ. والتّقييدُ مِن المُطلَق سائغ مِن غير دليل مُتّصلٍ ودليل التّخصيص والتّقييد، وإنْ كان مُتراخيًا بيانٌ لا نسْخٌ، انتهى. وهو في الحقيقة مَنْع للخُلْفِ كما لا يخفى. ولبعضهم الوعدُ إنشاءٌ على الأصحّ. يعني أنشأَ الضمان عند وجود الوصف. والكذب مخصوصٌ بالإخبار.

28ب | قال بعضُ الأئمّة: مُراده أنَّ الوعد والوعيد كلاهُما إنشاء. فالخُلْفُ في الوعيد ليس بكذب، فلا نَقْص. أمَّا في الوعد، فلأنَّ مُقتضى الكرم أنَّ لا يُتَخَلّف عنه. فعدم دور الخُلف في الوعد لا لأنَّه كَذِبٌ بل لأنَّ الكريم إذا وعد وَفَّى، وإذا أَوْعَدَ تجاوز وعفا. والأَوْجهُ في هذه المسألة[121] المُنتشرة أنْ يُقال بامتناع الخُلْفِ حقيقة في كلٍّ مِن الوعدِ والوعيدِ لاستلزام الكذب وتبديل القول. وقد قام القاطعُ على امتناعه بأنَّ كُلاًّ منهما مُعلّق بالمشيئة، وإنْ لم يُصرّح بها لقيام القاطع على تعلّقهما كغيرهما بها. فمعنى الوعيد أُعذّبهم إنْ شئتُ، والوعدُ أنعمهم إنْ شِئتُ. لكنَّ الفَرق بينهما حينئذٍ أنّه بجوده ورحمته لا يشاءُ إلاّ التنعيم. وقد لا يشاءُ التعذيب، بل يشاء عدَمه. وبذلك يظهر جواز الخُلْفِ في كلّ منهما بحسب الظاهر دون الحقيقية. إلاّ أنّه لا يقع في جانب الوَعد

29أ وإنْ كان لو وَقَعَ لم يلزمهُ محذورٌ. وقد يقع في جانب الوعيد | مِن غير لزوم محذور فليُحْفَظ؛ فإنّه بديعٌ نفيسٌ. ونَكَّرَ ذلك الأجر للدلالة على كثرته. ثمّ وصفهُ بالعظمة بقوله ﴿عَظِيمًا﴾، وهو ما اجتمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع والسُّمك الغليظ؛ فيُقال للجبل إذا كان فيه الارتفاع ولم يكُن فيه العرض الواسع، جبل عال أو مُرتَفِع، ولا يُقال عظيم إلاّ إذا حصل فيه ما ذُكِر. فلذا وصفَ الأجرَ بالعظمة لكونِ مآكِل الجنّة مع كثرتها تكون مُمتدّة في أبعادها، تتناواها الأيدي بسهولة مع اللذّة فيها، كما ورد في السُّنَّة في السِّدرة المُنْتَهَى، لو غُطِّيَتْ بورقة منها هذه الأُمّة لَغَطّتهُم. هذا وقد يُستعارُ معنى العظيم لِمَن لا يوجد فيه هذه الأبعاد ولا الجِسميّة، كما في وصفهِ، تعالى، نَفْسَهُ بالعظمة.

---

121 جاءت في الأصل [المسلة]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

ثمّ بيّن، تعالى، حال مَن تخلّفَ عن الذّهاب مع رسول الله، ﷺ، في توجّهه إلى مكّة مِن أهل
29ب النّفاق وهو مع رسول الله، ﷺ، بالمدينة | يُظهر الإيمان ويُخفي الكُفر بقوله، تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الفَتْح:11] حول المدينة، أي الذين خلّفَهم الله عن صُحبتك لمّا طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكّة خوفًا مِن تعرّض قُريش لك عام الحُدَيْبِيَة إذا رجعتَ منها. ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك، ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله مِن تَرْكِ الخُروج معك. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، هُم: أَسْلَمُ[122] وجُهَيْنَة[123] وغِفار[124]، وذلك أنّهم قالوا: أهلُ مكّة يُقاتلونا عند باب المدينة؛ فكيف بهم بمكّة؟! وداخَلَهُم مِن خوف أَهل مكّة ما داخَلَهم. فقالوا: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾، فلم نجد قائمًا عليها، ولم يجعلوا الشّغل سبب التّكسّب لأنَّ جَمْعَ المال لا نهاية له بخلاف حِفْظِ الموجود. فلذلك كان العُذْرُ به دون غيره. ثمّ أبرزوا ذلك في صورة
30أ الذّنْبِ تحقيقًا لِما يُظهِرونه مِن صورة الإيمان لكمال نِفاقهم. فلذلك | قالوا له، ﷺ، ما قَصَّهُ اللهُ بقوله، تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾، أي أُطْلُبْ لنا مِن الله غَفْرَ سيّئة هذا التأخير، وإنْ كان بِعُذْرٍ إظهارًا للتّحسُّرِ على التّخلُّف؛ فَرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيبًا لهم في اعتذارهم، وأنَّ الذي خلَّفَهُم ليس ما زعموه، بل هو الشّكُّ في الله، تعالى، والنِّفاق. ولازمَ ذلك أنْ يكون طلب الاستغفار ليس على حقيقته لأنْ تكون المُخالفةُ سيّئةً عندهم، فَرْعٌ عن التّصديق بما أتى به ذلك المُخالف. فلقَّنَ اللهُ الرسول، ﷺ، ما يُجيبهم به وهو قوله: ﴿قُلْ فَمَن﴾، استفهام بمعنى النّفي، أي لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾. أي مَن يمنع عنكم بأسَه، تعالى، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾، ما يَضُرُّكم كقَتْلٍ وهزيمة وخلَل في المال والأهل، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
30ب نَفْعًا﴾. ما يُضادُّ ذلك مِن النُّصرة | على العدوّ والغنيمة. فلا أحد يمنعكم مِن مَشيئته وقضائه؛ فهو،

---

122 قبيلة أسلم هي إحدى القبائل العربيّة المشهورة. وهي إحدى بطون قبيلة شمّر الثلاث، وتنحدر من أصول القبائل الطائيّة. وشيوخ قبيلة أسلم هم أسرة آل حسّان الآن في العراق. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، 443.

123 قبيلة جُهينة هي قبيلة عربيّة عريقة، تُعَدُّ أكبر قبائل قُضاعة عددًا ومِن أقدمهم ذِكرًا. تنتشر ديارهم ما بين الحِجاز وتهامة، ولهم تواجد في مصر والسُّودان والشام. يعود نسبُ القبيلة إلى جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، 443–445.

124 قبيلة غِفار هي قبيلة من القبائل العربية التاريخية. كان منهم الصحابيّ أبو ذر الغفاريّ. والصحابيّة أميمة بنت قيس الغفاريّة. ويعود نسب القبيلة إلى غِفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، 185–187.

تعالى، الفعّال لِما يُريد. وقدّم ذِكر الضّرَرعلى النّفْع للإيذان بأنّه الأقرب إليهم. قُرِئَ ﴿ضُرًّا﴾ بالضّمّ والفَتْح.

ثمّ بيّن، تعالى، أنَّ الإضراب عن هذا الحال أَوْلَى بهم بقوله: ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ مِن عمل ظاهر أو قلبيّ، فيعلمُ ذلك علمًا لا خفاء[125] معه لأنّه خالق العبد وعمله، أي لم يزلْ مُتّصفًا بذلك. ولمّا كانت هذه الأحوال الصّادرة عنهم جديرة بأنْ تُقَصّ، وعلى منصّات الأفكار تُنَصّ لِتَقِيّ قال: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفَتْح:12]. أي لا يرجعُ الرّسُولُ إلى المدينة ولا أحدٌ مِن المؤمنين لِظَنّكُم أنَّ المُشركين يستأصلونهم بالقَتْل. فلا يرجعون، مَنْفِيًّا رجوعهم على وجهِ التّأْبيد المُستفاد مِن قوله ﴿أَبَدًا﴾. والأبدُ الذي لا آخر له.

31أ | والأهلون، جمعُ أهل. ويُقال: أهْلاتٌ على تقدير تاء التأْنيث، كأرض وأرضات. وقد جاء آهِلُهُ. وأمّا أهَال، فاسمُ جَمْعٍ كَلَيَال. وقُرِئَ إلى أهليهم. ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، أي أنّهم يستأصلونهم بالقَتْلِ، فلا يرجعون، فتُمَكَّن فيها. وقُرِئَ على البِناء للمفعول والمُزَيِّن لهذه الحالة في قلوبهم هو الشّيطان، أو الباري، تعالى، لِحِكْمَة اقتضتْ ذلك كما قال، تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾[126] [النّمل 4:27]. ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ الظّنُّ المذكور وغيره بأنَّ الرسول والمؤمنين لا يرجعون إلى المدينة. والمُراد التّسجيل عليه بالسوء[127]، وهو وسائر ما يظنّون بالله مِن الأمور الزائغة. ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾، هَالِكين عند الله لِفساد عقيدتكم وسوء نِيّتكم، مُستوجبين لِسَخَطه وعِقابه. والبور، من

31ب بَارَ، كَالْهَلَكَ مِن هَلَكَ بِناءً ومعنًى. ولذلك وصف به | الواحد والجَمْع والمُذَكّر والمُؤَنّث. ويجوز أَنْ يكون جمعُ بائر كعائذ وعَوْذ. ويجوز أنْ يكون المعنى: كُنتم قومًا فاسقين في أنفسكم وقلوبكم وثيابكم. ثمّ بيّن، تعالى، أمرًا كُلّيًّا يعمّ مَن كان كُفْرُه كُفْرَ نِفاق، وغيره بأنَّ مَن لم يؤمن تُهيّأُ[128] له السّعير ويكون إليها، له المصير، فقال، تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفَتْح:13]، نارًا شديدة. ومعلوم أنَّ التّنكير هُنا للتّهويل لأمْرِ تلك النّار.

ثمّ بيّن، تعالى، أنَّه المُخترع للعالَم والمُوجِد لِكُلّياته وجُزئيّاته، والمالك لأرضه وسماواته، لأنَّ ذلك أقوى على إنجاز ما وعد به المؤمنين وتحقيق ما أوعد به الكافرين. فقال، سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفَتْح:14]؛ فيُدبّرُ مُلْكَهُ تدبير قادر حكيم، يضعُ الشيءَ في محلّه بأنْ

---

125 جاءت في الأصل [خفأً]، والصواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

126 الآية كاملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النّمل 4:27].

127 جاءت في الأصل [السؤ]، والصواب ما ثبت أعلاه.

128 جاءت في الأصل [تُهئ]، والصواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

32أ يُثبّتَ الطائع ويُعذّب العاصي إنْ شاء. وإنْ لم يُعذّب العاصي، | بل عفا[129]، لا يكون ذلك إلاّ بحِكمة وهي التّفَضُّل التّام، فلا تنظر إلى ما قاله الزَّمَخْشَرِيّ، عفا الله عنه، في هذا المَحَلّ من أنَّ المشيئة تابعة للحِكمة، وحِكمته تعذيب العاصي[130] وثواب الطائع. فالمُقدّمة والنّتيجة غير مُسلّمة لِما قدّمنا من أنّه إذا أثاب العاصي كان بالحِكمة لإشعار ذلك بالفضل التّام. وأيضًا، فلو قُلنا أنّه يفعل للحِكمة، لزم على ذلك أنْ لا يكون فاعلاً مُختارًا. بل الحقّ أنّه في أفعاله جارٍ على الحِكمة لا أنّه لِعِلّة الحِكمة يفعلُ.

ثمّ قال، تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أي لم يزلْ موصوفًا بذلك لا تحجبهُ معصية العاصي عن المغفرة له. بل المغفرةُ والرحمةُ أسبقُ منه إلى عبادِه. فإنْ قُلتَ: هلاّ اكتفى بِذِكر أحد الصِّفَتَيْنِ عن الأخرى؟ قُلتُ: لأنَّ المغفرة، وإنْ كانت معلولة عن الرحمة، لكنَّ الرحمة لا تُفيد 32ب وجود | المغفرة، ولا بُدَّ إذ باستحقاق بعض العُصاة شِدّة من العذاب، فيجعلهُ الله في أخَفّ منه، يكون رحمة. كما هو ظاهر، لا يُقالُ: فإذا ذَكَرَ المغفرة كافٍ، لأنّا نقول، وإنْ كانت المغفرة معلومة عن الرّحمة، فلا شُبهة أنَّ المغفرة تُفيد خلوص العبد عن الذّنب، وذلك لا يُفيده إلاّ السّلامة من العذاب فقط. وأمّا استحقاقه الثّواب، فلا بُدَّ له من شيءٍ، وذلك الشّيء إمّا العمل بطريق التّفَضّل لا الوجوب، كما هو المذهب الحقّ، أو مَحْض الرحمة المخصوصة، كما في قوله، ﷺ: (لنْ يدخلَ أحَدٌ الجنّةَ بعمله. قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا إلاّ أنْ يتغمّدنيَ اللهُ برحمته)[131]. أي فأَدْخُلُ الجنّةَ بعملي إذا اعتبرناهُ مُتّصلاً أو مُنقَطِعًا، فبالرحمة ولا مُنافاة بين النّصوص الدّالة على أنَّ دخولَ الجنّة بالعمل والنّصوص الدّالّة على خلافه، لأنَّ المُراد من الأُولى 33أ أنَّ الدخول بالعمل بطريق التّفَضُّل، ومن الثانية أنَّ الدخولَ ليس لذات العمل، | فعُلِم ممّا قرّرناهُ أنَّ ذِكْرَ إحدى الصِّفَتَيْنِ غير كافٍ. وممّا يشعر هُنا بأنَّ الرحمة تكون مَدْخَلَة للجنّة تأخيرُ ذِكْرِ الرحمة عن المغفرة.

ثمّ أخذ اللهُ يُبيّن أنَّ مَحْض قصد المنافقين الدنيا فقط لا غير. فقال من باب إعلام رسول الله، ﷺ، بالغيب. ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ [الفَتْح:15]، أي اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذُ منها. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، نفيٌ في معنى النّهي. وفائدة إخراج النّهي في صورة النّفي، المُبالغة في النّهي حتى كان المُكلّف امتثل الأمر، فأخبر عنه بنفي ما نهى عنه القائل. ذلك هم المُتخلّفون عن الحُدَيْبِيَة. قوله: ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾، أي

---

129 جاءت في الأصل[عفى]، والصواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

130 جاءت بعدها عبارة [إن شاء وإنْ لم يُعذّب العاصي بل عفا لا يكون ذلك إلاّ بحُكمه]، فحذفها المُفسّر.

131 أخرجهُ مُسلم (2818).

غنائم خَيْبَر التي وعد الله بها أهل بَيْعَة الرِّضْوان مِن بعض الجزاء الدّنيويّ على قوّة يقينهم، وكمال
33ب إيمانهم؛ فازدادوا بذلك القول تبديل ما أخبرَ اللهُ به ووعدَ به مِن أنَّ غنائم | خَيْبَر لأهل الحُدَيْبِيَة، خاصّة بتنزيل وقوع خلاف ما أخبرَ اللهُ به منزلة تبديل اللفظ المُنَزَّل. أو يُريدون أنْ يُبدّلوا قوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَتْح:6]، وذلك أنّهم لو اتّبعوهم لكانوا في حُكم أهل بَيْعَة الرّضوان؛ فيكونوا داخلين في حُكم قوله، تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْح:18]، ولازمَ ذلك كلام الله[132] بالمعنى السّابق. ومعنى الإضراب الأوّل الرّد منهم أنْ يكون حُكم الله أنّهم لا يتّبعونهم، وإثبات الحَسَد. والثاني ردٌّ مِن الله لذلك، وإثباتٌ لجهلهم بأُمور الدّنيا. والكلام، اسمٌ للتكليم غَلَبَ في الجُملة المُفيدة. وقرأ حمزة[133] والكسّائيّ[134]: كَلِمُ الله، وهو جمعُ كلمة على قول ﴿كَذَٰلِكُمْ﴾ [الفَتْح:15]، أي مِثل ما قُلتُم مِن عدم اتّباعِكم أيُّها المُخلّفون. ﴿قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾، تَهيِّئكُم [أي قبل عَوْدِنَا][135] لِيُهيِّئكم للخروج وتبرير ما يتعلّق بالسّفر. ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾، أي المُخلّفون ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ على المُشاركة في الغنائم، فَقُلْتُم ذلك إضرابٌ عمّا
34أ يدلُّ عليه قوله، ﷺ، امتثالاً لقوله، تعالى: ﴿قُل لَّن | تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفَتْح:15] أنْ نمنعكُم عن الاتّباع، وأنَّ ذلك بموجب أمرِ الله، تعالى، لا لشيءٍ مِن عندنا؛ فهم يكذّبون النّبي، ﷺ، والمؤمنين في ذلك، وينسبون إليهم الحَسَد. وهذا القول مُحْتَمَل لِكونهم قاسوا صِفات الأصفياء على صِفاتهم لأنَّ المؤمنين كالمرايا، لهم تنعكس صِفات أنفسهم؛ فَيَرَوْنَ أَنْفُسَهُم[136]؛ فيظُنُّونَ خِلافها. أو أنّه كان عِناداً، لِعلْمِهم بطهارة قلوب المؤمنين مِن الحَسَد.

---

132 جاءت فوق السّطر مع إشارة لموقعها في الجملة.

133 هو حَمْزَة بن حبيب بن عِمَارة بن إسماعيل، التّيميّ، الزّيات، الكُوفيُّ. ويُكنّى بأبي عِمَارة [80–156هـ/700–773م]. أَحد القُرَّاء السَّبعة. كان عالمًا بالقراءات. لُقّب بالزيّات لأنه كان يجلب الزّيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة. انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام 277/2.

134 هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، أَبو الحَسَن الكِسّائِيُّ [119–189هـ/737–805م]. وُلِدَ في إحدى قرى الكوفة ومن أَهلها. كان إمام الكوفيّين في اللغة والنّحو والقراءة، وسابع القُرَّاء السَّبعة. يُعْتَبَر الكِسّائِيُّ المؤسّس الحقيقيّ للمدرسة الكوفيّة في النّحو. له عدّة مُصنّفات منها: معاني القُرآن، القراءات، النّوادر، الحروف وغيرها. انظر: المسعوديّ: مروج الذّهب 354/3؛ الزِّرِكْلِيّ: الأعلام 284/4.

135 جاءت فوق السّطر مع إشارة لموقعها في الجملة.

136 جاءت في الأصل [نفسهم]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة والمعنى.

قال، تعالى: ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾، أي لا يفهمون إلاّ فَهْمًا قليلاً، وهو معرفتهم ببعض الأمور الدّنيويّة الدَّنِيَّة ولاحَظَ لهم في معرفة ما به نجاتهم، كما قال، تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[137] [الرّوم 7:30]؛ فيكون المُستَثْنَى مِن مصدر الفعل المنفي، ونُصِبَ قليلاً على أنّه مفعول مُطْلَق. ويجوز أنْ يكون نَصْبُهُ على المفعول به؛ فيكون المعنى: لا يفهمون شيئًا إلاّ شيئًا قليلاً. ويجوز أنْ يكون المُستَثْنَى منه الواو. | أي لا يفقهون مِن الدّين إلاّ قليلاً منهم. والعِلّة إمّا 34ب باعتبار الكميّة، إذْ عِلْمُ المعاش بالنسبة إلى عِلْمِ المعاد قليلٌ جدًا. ولهذا يتعلّمه أبناءُ الزمان في صِغَرِ سِنِّهِم. وإمّا باعتبار الكيفيّة، وهي المَنفعة. قال اللهُ، تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[138] [النّساء 77:4]. فإنْ قُلْتَ: قد وصف الله، تعالى، أُوتيَهُ النّوع الإنسانيّ مِن العِلم بالقِلّة كما في قوله، تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[139] [الإسراء 85:17]. فأيُّ ذَمٍّ في هذا المَحَلّ لهم على قِلّة علمهم؟ قُلْتُ: الجوابُ عنه أنّ ذلك وَصْفُهُ بالقِلّة بالنّظر إلى عِلْمِ الخالق، وهذا وَصْفُهُ بالقِلّة بالنسبة إلى ما عَلِمَهُ المؤمنون مِن عِلْمَيْ الدّنيا والآخرة؛ فَذُمُّوا على عدم عِلْمٍ تَعَلّم المؤمنين؛ فالفَرْقُ ظاهرٌ. وهذا الإضراب منه، تعالى، رَدٌّ لِما تضمّنهُ إضرابهم مِن علمهم بحسد المؤمنين، وكَوْنِه سببًا يمنعُ الاتّباع بإثبات الجَهْل لهم بما يتعلّق بالدّين، وبما في صُدور المؤمنين مِن النّيات الصّالحة، وبما في نفوسهم 35أ الزكيّة | المُطَهَرة مِن الأوصاف الذّميمة مِن الحَسَد وغيره. فلا يَرِدُ أنّه لا تقابُل بين حَسَد قَوْم وجهالة قَوْم.

ثمّ لمّا بيّن الله، تعالى، ما انْطَوَتْ عليه قلوبُهم مِن النّفاق وَسُوءِ تلك الأخلاق والجَهْل البهيم، وعدم الجَري على النّهج المُستقيم، أخذ، تعالى، يذكر[140] لهم ما يُعجّله لهم مِن العذاب الدُّنيويّ؛ فقال، تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الفَتْح:16]، المُتخلّفين عام الحُدَيْبِيَة اختيارًا. وكرّرَ ذِكْرهم بهذا الاسم مُبالغةً في الذّم بشناعة التّخلُّف. ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ البأس المُجاهدة للعدوّ. وفي القاموس البأس، العذاب والشِّدّة. [ووصفهُ بالشِّدّة][141]

---

137 الآية كاملة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرّوم 7:30].

138 الآية كاملة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النّساء 77:4].

139 الآية كاملة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء 85:17].

140 جاء في الأصل قبلها حرف [ما]، فشطبهُ المُفَسّر لسلامة المعنى.

141 جاءت في الأصل خارج النّص، مِن جهته اليُسرى مع إشارة لموقعها في الجُملة.

لِكثرة المُقاتلين وقوّتهم. ويجوز أنْ يكون صِفة لِقَوْمٍ نظرًا إلى لَفْظِه وتنوينِه للتعظيم. والمُراد بالقوم، هم بَنُو[142]حنيفة[143] قوم مُسَيْلَمَة الذين حاربهم جدُّنا أبو بكر الصّدّيق، رضي الله عنه، لأنَّ مُشركي
35ب العرب والمُرتَدّين هم الذين لا يُقْبَلُ منهم إلاّ الإسلام | أو السّيف. وقيل فارس والروم وهذا دليل على خلافة جدّنا أبي بكر، رضي الله عنه؛ فإنّهم لم يدعوا إلى حرب في زمنه، ﷺ، لقوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾[144][التّوبة 83:9]. وقيل: هم فارس والروم. ومعنى ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، أي: أو ينقادون لأنهم نصارى، وفارس مجوس تُقبَلُ منهم الجِزْيَة. وعن قتادة[145]، رضي الله عنه، أنّهم ثقيف[146] وهوازن[147]. وكان ذلك في أيام رسول الله، ﷺ، فإنْ صَحَّ ما ذُكِر، فمعنى ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ أي ما دُمتم على النّفاق والاضطراب في الدِّين. أو أنّهم، كما قال مُجاهد رضي الله عنه: الموعد أنّهم لا يتّبعون رسول الله، ﷺ، إلاّ مُتطوّعين لا نصيب لهم مِن المَغْنَم. والأوّل عليه الأكثر لاستغنائه عن التأْويل. ولَعَمْري، لقد ثبت الصدّيق في ذلك المَشهد حيث قال له عُمر، رضي الله عنه: أَمَا ترى مِن حَوْلِنَا مِن الأعراب قد ارتدُّوا، فلو أخّرتَ القتال إلى
36أ أنْ يقوى الإسلام، لكان أَوْلى. | فقال: وقد صَكَّهُ صَكَّةً هوى منها إلى الأرض: أَجَبَّارٌ في

---

142 جاء في الأصل [بنوا]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

143 بنو حنيفة هم قبيلة من بكر بن وائل. قبيلة عربيّة قديمة، استقرَّتْ في إقليم اليمامة في الجزيرة العربية ممّا يُسمى اليوم منطقة الرِّياض. يعود نسب القبيلة إلى حنيفة بن لُجَيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب،309–311.

144 الآية كاملة: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التّوبة 83:9].

145 هو قَتادة بن دعامة بن قَتادة بن عُزَير، أبو الخطّاب السّدوسيّ البصريّ [61–118هـ/680–736م]. هو مُفَسّر، حافظ، ضرير وأكمه. قيل أنّه مِن أحفظِ أهل البصرة، ومِن علماء العربيّة ومُفردات اللغة وأيام العرب والنّسَب. أنظر: الزِّرِكليّ: الأعلام189/5.

146 قبيلة ثقيف من القبائل العربية القديمة والعريقة، حيث قامت في مدينة الطائف منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى اليوم. ساهمت في العديد من الفتوحات الإسلامية؛ فكانت لها مكانة عالية، وكلمة مسموعة. وهي إحدى قبائل قَيس عَيلان المعروفة بِالقبائل القَيسيّة. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، 267–269.

147 قبيلة هوازن هي إحدى قبائل العرب. وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمه بن خصفة بن قَيس عَيلان بن مُضر بن نزار بن مَعد بن عدنان من ذرية قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم. وهي القبيلة التي أسترضع فيها النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، من حليمة السَّعديّة، أحد مرضعات النبيّ، عليه السّلام. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، 264–266.

الجاهليّة، خَوَّارٌ في الإسلام؟! والله لو منعوا عَنَيّ عِقال بعير لَقاتلتهم عليه. قال عُمر، رضي الله عنه: فلمّا شرحَ اللهُ صدرَ أبي بكر علمتُ أنّه الحقّ. وعن الصدّيقة[148]، رضي الله عنها، قالت: مَرَحَ حَبْلُ الإسلام[149]، فانتُدِبَ أبي. واللهِ لولا أبي ما عُبِدَ اللهُ في الأرض بعد رسول الله، ﷺ، وذلك جميعًا بِعَزْمِه على قتال أهل الرِّدَّة[150].

ثمّ بيّن، تعالى، أنَّ في طاعته، تعالى، مزيد الثّواب فضلاً عن إسلامه من العقاب، فقال، تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ [الفَتْح:16] إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفَتْح:16]، أي مؤلمًا. المُراد من الأجر الحَسَن، الغنيمة في الدّين والنّعيم الذي في الآخرة. وفي قوله، تعالى: ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾، تأكيد لما سبق من إبطال مَعذِرتهم وفسادها، قال العضُد. فإنْ قُلْتَ: فما معنى سببيّة الفعل للعقاب وأنتم لا توجبون العقاب كما تقول المُعتَزِلة[151]؟ قُلْتُ: | معناهُ أنّه لو عُوقِبَ به وقيل إنّما عُوقِبَ لِذا، لَلاءَمَ العقل ولم يُستقبَح في مجاري 36ب العادات. فإنْ قُلْتَ: قد علمتُ ممّا سبقَ أنَّ المُخلَّفين كانوا من المنافقين، فكيف يُؤْتَوْنَ الأجر الحَسَن بإطاعتهم بالجِهاد؟ قُلْتُ: المُراد طاعة الرسول من حيث هو رسول، فيلزم الإيمان والرجوع عن الكُفْر والنّفاق. ومعلوم أنَّ طاعة الرسول، طاعة لله تعالى. قال، تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

148 هي عائشة، أُمُّ المؤمنين، رضيَ اللهُ عنها.

149 أي ضَعُفَ.

150 هي القبائل العربيّة التي ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة النبيّ، عليه السّلام. وقد عُرِف هذه الفتنة «بحُرُوْبُ الرِّدَّةِ». وهي سلسلةٌ من الحملات العسكريّة التي شنّها المُسلمون على القبائل العربيّة التي ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة الرسول محمّد، عليه السّلام، ومُبايعة أبي بكرٍ الصدّيق بخلافة المُسلمين. خلال الفترة المُمتدّة بين سنتيّ 11–12هـ/632–633م. وقد ارتدّ العرب في كُلِّ قبيلةٍ، باستثناء أهالي مكّة والمدينة المُنوَّرة والطائف. انظر: الطّبريّ: تاريخ الطّبريّ3/249–252.

151 هي فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة في أواخر العصر الأموي، وقد ازدهرت في العصر العباسي. وهي فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء الغزال، تميزت بتقديم العقل على النقل، وبالأصول الخمسة التي تعتبر قاسمًا مشتركًا بين جميع فرقها. من أسمائها القدريّة والوعيديّة والعدليّة. سموا معتزلة لاعتزال مؤسسها مجلس الحسن البصريّ بعد خلافه معه حول حكم الفاسق. لعبت المُعتزلة دوراً رئيسياً سواء على المستوى الدينيّ والسياسيّ، ولقد غلبت عليها النّزعة العقلية، فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السّمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرّها العقل حسب وصفهم، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك. من العلماء الذين كانوا ينتمون للمعتزلة الزَّمَخْشَرِيّ صاحب تفسير الكشاف، والجاحظ، والخليفة المأمون، والقاضي عبد الجبّار. أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني1/341–347.

أَطَاعَ اللَّهَ﴾[152][النّساء 80:4]، لا يُقال الدّاعي أبو بكر الصدّيق، فلا يأتي ما قُلْتُم، لأنّا نقول ما دَعى إليه أبو بكر الصدّيق هو ما [أمرهُ][153] اللّهُ ورسولُهُ بِهِ. والإطاعةُ كالطاعة، الانقياد. والتّولّي قد يجيء بمعنى الإدبار والإعراض، والثاني قد يتعدّى بِعَن.

ثمّ لمّا كان مدلول المُخلّفين يَعُمُّ الصّحيح والسّقيم، أخذ اللّهُ يُبيّن أنّ التّخَلُّفَ المذموم هو الذي
37أ بلا سبب يدعو إليه ليكون ذلك ذمًّا للمنافقين، وقُرَّةَ عَيْنٍ للضُّعفاء من المؤمنين | وجبرًا لهم، حيث لم يدخلوا فيمن ذَمَّ اللّهُ، تعالى، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفَتْح:17] في تَرْكِ الجِهاد، فأفادَ نفي الحَرَج عن مَن عُذر بالتّخَلُّف. فإنْ قُلْتَ: لِمَ لا ذُكِرَ الحَرَج في الأخير فقط، فيكون راجعًا إلى المُتعاطفات جميعًا بأنْ يُقال: ليس على الأعمى ولا على الأعرج ولا على المريض؟ قُلْتُ: إنّما عدلَ عن هذا مع كَوْنِه أخْصَر، لأنَّ كلّ صِنْف انتفى عنه الحَرَج، مُغايرٌ سببه للآخر ومُختلف اختلافًا ظاهرًا، قوّة وضَعْفًا. فكذلك أفردَ كلّ صِنْف بِنَفْي الحَرَج عنه ليفيد تِعداد النِّعَم مع اختلاف أسبابها، ولأنّه أظهر في حضور معنى نَفْي الحَرَج عند العقل في كلّ واحد. وَذِكْرُ هذه الأوصاف الثلاثة مُقتصرًا عليها لأنَّ العُذْر إمّا أنْ يكون لإخلالٍ في عُضوٍ أو باختلالٍ في القوّة. والذي سبّبَ اختلال العضو، إمّا أنْ يكون
37ب الإخْلال في العضو الذي به الوصول إلى العدو والانتقال في مواضع القِتال | أو في العضو الذي تتمّ به فائدة المعركة والوصول إلى العدو. والأوّل هو الرِّجل، والثاني هو العَيْن لأنَّ بالرِّجل يحصل الانتقال وبالعَيْن يحصل التّحفّظ والطّلب والهَرَب. وأمّا الأُذُن والفَم واللّسان، فلا مَدخل لها في شيء مِن الأمرَيْن. والحَرَج، الإثم. يُقال مكانٌ حَرِج، أي ضَيّق كثير الشّجر، فَسُمِّيَ الإثم به، لأنَّ قلب صاحبه ضَيّق بسبب الإثم. قال، تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[154][طه 124:20]. والأعمى الذي ذهب بَصَرُهُ، والأعرج الذي أصابه في إحدى رِجْلَيْه شيء، والمرضُ عامٌّ. فذكرهُ مِن عطف العامّ على الخاصّ، قَدَّمَ الأوّلان الخاصّان لظهور العُذر فيهما.

ثمّ بيّن حال أهل العُذر، أخذ يُبَيِّن حال مَن لا عُذْر له وأطاع، فقال:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفَتْح:16]. قال العلاّمة البيضاويّ[155]: فَصَّلَ

---

152 الآية كاملة: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النّساء 80:4].

153 جاءت فوق السّطر مع إشارة لموقعها في الجملة.

154 الأية كاملة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه 124:20].

155 هو الإمام القاضي المفسّر ناصر الدين أبو سعيد، أو أبو الخير عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن

الوعد، وأجْملَ الوعيد مُبالغة في الوعد لِسَبْقِ رحمته. ثمّ جَبَرَ ذلك بالتّكرير[156] على سبيل التّعميم؛
38أ فقال، | تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. إذ التّرهيب هَا هُنا أنفعُ من التّرغيب. يعني، جَبَرَ النُّقصان الحاصل في جانب الوعيد من جهة إجماله بتكريره على سبيل التّعميم. أمّا تكريرُه، فلأنَّ حاصل [ما جاء في قو]له: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ [الفَتْح:16] إلى آخره. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الفَتْح:17] إلى آخره، ليس إلاّ أنَّ المُتَوَلِّي له عذاب أليم. إلاّ أنّه زيد في الثاني العموم الحاصل من الشّرطيّة. ولا شَكَّ أنَّ التّكرير يُوجِب التأكيد؛ فالتأكيد الحاصل في جانب الوعيد في مُقابلة التفصيل الحاصل في جانب الوعيد في مُقابلته. هذا ما يخلُ إليه كلام العلاّمة البيضاويّ السّابق. لكن قد يُقال مرتبة الوعد بالتفصيل باقٍ[يَة لأنَّ][157] التّكرار في جانب الوعد موجود. والعموم اللاّحق من الشّرطيّة فيهما؛ فعلى هذا الوعد مرتبة باقية. ثمّ عقب ذِكْر [ذلك الوعيد بما أفاضه على المؤمنين][158] من ذلك المزيد، وهو رِضَى الحَقّ، المُنْصَبّ عليهم وَقْ[تَ مُبايعـ]ـة الرّضوان؛ فقال، تعالى، مُذَكِّرًا
38ب بوقتِ تلك المُبايعة، | وحُسن تلك المُتابعة. ﴿قَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْح:18]؛ فالظّرف الأوّل مُتعلّق بِـ﴿رَضِيَ﴾، والثاني بِما أُضيف إليه الأوّل. ويحتمل أنْ يكون حالاً من ضمير المفعول لأنَّ النّبيّ، ﷺ، كان جالسًا في أصيلها. والرِّضَى هُنا بمعنى إظهار النِّعْمة، وهو صِفَة فِعل لا صِفَة ذات. ولذلك قيّدهُ بالزمان، إذ صِفات الذات لا تتقيّد[بِه][159]. ومعنى التّقييد يرجع إلى إظهار ذلك الأثر الذي هو النِّعْمة، والمعنى: سَبق قُدرته الرِّضَى عن المؤمنين، مُقَيَّد ظهوره بوقت المُبايعة، ولكنَّ الأوّل أقربُ.

وأصلُ القِصّة أنَّ النّبيّ، ﷺ، حين نزل بالحُدَيْبِيَة بعث حواس بن أُميّة الخُزاعيّ[160] رسولاً إلى

أبي الحسن علي البيضاويّ الشيرازيّ الشافعيّ [ت 685هـ/1286م]. وُلِد في المدينة البيضاء بالقرب من شيراز. هو علاّمة وقاضٍ ومفسّر. من أشهر مُصنّفاته: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» في تفسير القُرآن. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام 110/4.

156 التّكرير أو التّكرار: وهو إعادة الألفاظ عينها؛ لتقرير المعنى في ذهن السّامع، أو للترغيب، أو للترهيب.

157 جاءت في الأصل ناقصة؛ فأتممتُها بما يتناسب والسّياق العام.

158 جاءت في الأصل خارج النّص، من جهته اليُسرى مع إشارة لموقعها في الجُملة، بعد أن شطب كلمة [ذكر].

159 جاءت فوق السّطر مع إشارة لموقعها في الجملة.

160 هو أميّة بن مخشيّ الخزاعيّ أبو عبد الله. خراش بن أميّة بن الفضل الكعبي الخزاعيّ. شهد مع النبيّ، عليه السّلام الحديبية وخَيْبَر. بعثهُ رسول الله في الحُديبية إلى مكّة؛ فمنعته الأحابيش، فعاد إلى رسول الله؛ فحينئذ بعث رسول الله عثمان بن عفّان. انظر: ابن الأثير: أُسد الغابة في معرفة الصّحابة69/2.

مكّة، فهمُّوا به وقصدوا قَتْلَهُ، فَمَنَعَهُ الأحابيش، جمعُ أحبوش، وهي أفواج مِن قبائل شَتَّ[ى]. فلمّا رجع دعا عُمر، رضي الله عنه، ليبعثهُ فقال: إنّي أخافهم على نفسي لِما أعرفُ مِن عداوتي
39أ إيّاهم، وليس بمكّة مِن بني كعب[161] | مَن يغضبُ لي إنْ أُذيتُ، فأرْسِلْ عثمان بن عفّان، فإنّ عشيرته بها، وأنّه يُبلّغ ذلك لك على ما تُريد. فدعا رسول الله، ﷺ، بعثمان، فأرسله إلى قُريش وقال له: أخْبِرْهُم أنّا لم نأتِ لقتال، وإنّما جِئْنَا عُمّارًا، وادْعُهُم إلى الإسلام. وأمَرَهُ أنْ يأتي رِجالاً بمكّة مؤمنين ونِساء مؤمنات، فيدخُل عليهم ويُبشّرهم بالفَتْح، ويُخبرهم أنّ الله أوشكَ أنْ يُظهر دينه بمكّة حتى لا يُستخفَى فيها بالإيمان. فانطلقَ عثمان إلى قُريش، فارْتَهَنَهُ المُشركون. ودعا رسول الله، ﷺ، إلى البَيْعَة، ونادى مُنادي رسول الله، ﷺ: ألاَ إنّ رُوح القُدُس قد نزلَ على رسول الله، ﷺ، فأمَرَهُ بالبَيْعَة. فاخْرُجوا على اسم الله فبايِعُوهُ، فثارَ المسلمون إلى البَيْعَة إلى رسول الله، ﷺ، وهو تحت الشّجرة، فبايَعُوه على أنْ لا يفرُّوا أبدًا، فَرُعِبُوا مِن ذلك، فأرسلوا مَن كانوا
39ب ارْتَهَنُوهُ مِن المسلمين، | وَدَعُوا إلى المُوادَعة والصُّلح.

وأرخرجَ البَيْهَقِيُّ[162] في الدلائل عن الشّعبيّ[163]، قال: (لمّا دعا النّبيّ، ﷺ، إلى البَيْعَة كان أوّل مِن انتهى إليه، ﷺ، أبو سِنان الأسديّ[164]، فقال: أبْسِطْ يدكَ أبايعكَ. فقال النّبيّ، ﷺ:

---

161 هم بنو كعب بن ربّيعَة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن قالب بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. انظر: ابن الأثير: أُسد الغابة في معرفة الصّحابة2/288.

162 هو أحمد بن الحُسين بن عليّ، أبو بكر [384–458هـ/994–1066م]. مِن أئمّة الحديث الشّريف.وُلِدَ في بَيْهَق [مدينة إيرانيّة، اسمها اليوم سبزوار تقع في محافظة خراسان شمال شرق إيران] ونشأ فيها، ثمّ رحل إلى بغداد ثمّ إلى الكوفة ومكّة المُكرّمة، ثمّ إلى نَيْسَابور إلى أن مات فيها. له تصانيف كثيرة جدًا منها: السُّنَن الكُبرى (ط)، الأسماء والصّفات (ط)، دلائل النّبوّة (ط) وغيرها. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام1/116.

163 هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كِبار الشّعبيّ الحِمْيَريّ، أبو عمر [19–103هـ/640–721م]. هو تابعيّ وراوية من الثّقات للحديث النّبويّ، وُلِد ونشأ ومات في الكوفة. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام3/251.

164 هو وَهْبُ بن عبد الله بن مُحْصِن الأَسَدي، وقيل: وهب بن محصن، وقيل: عبد الله بن وَهْب الأَسَديّ، ويقال: الأُسَيِّدي، نسبة إلى بطن من بني تميم، وقيل: وَهْبُ بن عُبيد الله الأَسديّ، وقيل: أبو سفيان بن وهب بن ربيعَة الأسديّ، ويُكنّى أبا سنان. أوّل مَن بايع بَيْعَة الرّضوان تحت الشّجرة. انظر: ابن الأثير: أُسد الغابة في معرفة الصّحابة2/1247.

[عَلامَ][165] تُبايعني؟ قال: على ما في نفسك)[166]. وعن سَلَمَة[167] بن الأَكْوَع[168]. قال: (بينا نحن قائلون، إذ نادى مُنادي رسول الله، ﷺ، أيّها الناس: البَيْعَة البَيْعَة نزل روح القُدُس، فثُرنا إلى رسول الله، ﷺ وهو تحت الشّجرة، شجرة سمُرة، فبايعنا. فبايع لِعُثمان بإحدى يديه على الأخرى. فقال الناس: هنيئًا لِعُثمان يطوف بالبيت ونحن هُنا. فقال، ﷺ: لو مكثَ كذا وكذا ما طاف حتى أطُوف)[169]. وروَى نافع عن عُمَر رضي الله عنه: بَلَغَ عُمَر أنَّ ناسًا يأتون الشّجرة التي بيعَ تحتها، فأمرَ بها، فَقُطِعَت[170]. لعلّه وقع ذلك منه خشيةً على الناس لقُرب العهد بالجاهليّة، واللهُ أعْلَمُ. | وقيل الشّجرة كانت مِن السّدْر. رُوِيَ أنّه كان مع رسول الله، ﷺ، ألف وأربعمائة في يوم الحُدَيْبِيَة. وقال لهم، ﷺ: (أَنتُمْ خَيرُ أَهْلِ الأَرْضِ)[171]. وقيل: كانوا ألفًا وثلاثمائة. وقيل: وخمسُمائة. 40أ

وأخرج أحمد، وأبو داود، والتّرمِذيّ[172]، ومُسلِم[173] عن أُمّ قَيْس[174] عن النّبيّ، ﷺ، قال: (لا

---

165 جاءت في الأصل [إلى م]. والصّواب ما أثبتُّهُ أعلاه، بحسب القاعدة: إذا دخل حرف الجَر على (ما) الاستفهامية حُذِفَت الألف من (ما).

166 أخرجهُ البَيْهَقِيّ: دلائل النّبُوّة 137/4.

167 جاءت في الأصل [مَسلمة]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

168 هو سَلمة بن عمرو بن سِنان الأكوع الأسلَمِيّ [74هـ/693م]. صحبيّ مِن الذين بايعوا تحت الشّجرة. شارك في عِدّة غزوات مع النّبيّ، عليه السّلام، منها: الحُديبية وخَيبَر وحُنَيْن. روى 77 حديثًا، وكانت وفاته في المدينة. انظر: الزِّرِكلِيّ: الأعلام113/3.

169 أخرجهُ الهَيْثَمِيّ: مجمع الزّوائد87/9؛ وابن جرير21/273–274؛ والسّيوطيّ: الدُّر المنثور479/13.

170 أخرجهُ الألبانيّ: تحذير السّاجد 125؛ وابن أبي شَيْبَة375/2؛ والسّيوطيّ: الدُّر المنثور480/13.

171 أخرجهُ مُسلم (1856)؛ والبُخاريّ (4154)؛ والسّيوطيّ: الدُّر المنثور479/13.

172 هو محمّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى السّلميّ البوغيّ التّرمذيّ، أبو عيسى [209–279هـ/824–892م]. مِن أئمّة علماء الحديث وحُفّاظه. مِن أهل تِرْمِذ الواقعة على نهر جيحون، ومات فيها. تتلمذ على يد البُخاريّ. قام بزيارة خُراسان والعراق والحجاز. فقد بصرهُ في آخر عُمره. مِن تصانيفه: الجامع الكبير – صحيح التّرمذيّ (ط)، والشمائل النّبويّة (ط). انظر: الزِّرِكلِيّ: الأعلام233/6.

173 هو مُسلِم بن الحجّاج بن مُسلم القُشيريّ النّيسابوريّ، أبو الحُسين [204–261هـ/820–875م]. مِن أئمّة المُحدّثين. وُلِدَ في نَيْسابور، وسافر إلى الحجاز ومِصر والشّام والعراق، وتُوفّي في نَيْسابور. مِن أهم مؤلفاته: صحيح مُسلم (ط)، الأفراد والوحدان (ط)، والمُسنَد الكبير (ط) وغيرها. انظر: الزِّرِكلِيّ: الأعلام221/7–222.

174 هي آمنة بنت مُحْصِن بن حرثان الأسديّة، أخت عكاشة بن مُحْصِن. أسلمت بمكّة قديماً، وبايعت النّبيّ، ﷺ، وهاجرت إلى المدينة.انظر: الجزريّ: أُسُد الغابة في معرفة الصّحابة 379/6.

يدخلُ النّارَ أحدٌ مِمّن بايعَ تَحْتَ الشّجرة)[175]. فإنْ قُلْتَ: فأيّ فَضْلٍ للعشرة عليهم؟ قُلْتُ: خَبَرُ دخول العشرة الجَنّة مُتواتر، وهذا آحاد ظنّيّ. وبتسليم أنّ رسول الله، ﷺ، قال ذلك قطعًا في أهل الشّجرة، فهناك مَناقب لهم تقتضي رفعة الدرجات لهم على أهل الشّجرة، ليس هذا مَحَلّ ذكرها. وأخرجَ البُخاريُّ[176] عن الأكْوَع قال: بايعتُ رسول الله، ﷺ، تحت الشّجرة. قيل: على أَي شيء بايعتَ يومئذ؟ قال: على الموت. وعن قَتَادة قال: بايَعُوهُ على أنْ لا يفِرُّوا. وبين الرِّوَايَتَيْنِ تفاوتٌ ظاهر. ويمكنُ أنْ يُجاب بأن عدمِ الفِرار | يلزمُ منه، إمّا الموت وإمّا النَّصر، لظهور أنَّ 40ب
كُلاًّ مِن العُرْفَيْنِ لا يترك الآخر بدون ظهور أحد العُرْفَيْنِ على الآخر، فهو لزوم عُرفيٌّ؛ فكانت المُبايعة عليه مُبايَعَةً على الموت. لا يُقال: كيف يلزم أصحابه الموت مع أنّه يُريد إبقائهم، ومع قوله، تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[177][البقرة 2:195]؟ لأنّا نقول: المُراد حَمْلُهُم على الثّبات في القتال لا حصول الموت، ولا بُدَّ.

وأَخرج الطّبرانيّ[178] عن مالك بن ربيْعَة السُّلُوليّ[179] أنّه شهد مع رسول الله، ﷺ، يوم الشّجرة ويوم ردّ الهَدْي معكوفًا أنْ يبلُغَ محلّه، وأنّ رجلاً مِن المُشركين قال: (يا محمّد! ما حملكَ على أنْ تُدْخِلَ هؤلاء علينا ونحنُ كارهون؟ فقال: هؤلاء خيرٌ منكَ ومِن أجدادكَ، يؤمنونَ باللهِ واليومِ

---

175 أخرجهُ أبو داود (4653)؛ والتِّرْمِذيّ (3860)؛ وأحمد (14778).

176 هو محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة البُخاريّ، أبو عبد الله [194–256هـ/810–870م]. هو حَبْرُ الإسلام والحافظ لحديث رسول الله، عليه السّلام. وُلِدَ في بُخارى ونشأَ يتيمًا. قام برحلة طويلة في طلب الحديث النّبويّ إلى خُراسان والعراق ومِصر والشّام، وتُوفّي في خَرْتَنك. هو أوّل مَن ألّفَ كتابًا في الأحاديث النّبويّة وأشهرها، المعروف باسم «صحيح مُسلم» (ط). انظر: الزِّرِكلِيّ: الأعلام 34/6.

177 الآية كاملة: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة 2:195].

178 هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشّاميّ، أبو القاسم [260–360هـ/873–971م]. مِن كبار المُحدّثين، أصله مِن طبريّة في فلسطين، وإليها نِسبته. وُلِدَ في مدينة عكّا بفلسطين وتُوفّي بأصبهان ببلاد فارس. سافر إلى الحِجاز واليمن والعراق والشّام ومِصر وبلاد فارس والجزيرة العربيّة. له ثلاث معاجم في الحديث الشّريف منها: المُعجَم الصغير (ط). كذلك له كُتُب في «التفسير»، وكتاب «دلائل النّبوّة» وغيرها. انظر الزِّرِكلِيّ: الأعلام121/3.

179 هو مالك بن ربيْعَة السّلوليّ يُكنّى أبا مريم. وهو مِن وُلْدِ مُرَّةَ بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، أخي عَامِر بن صعصعة. شهد الحُديبية، وبايع تحت الشجرة. ابن الأثير: أُسد الغابة في معرفة الصّحابة 1067/2.

الآخِر. والذي نفسي بيدِه، لقد رضيَ اللهُ عنهم)[180]. واللاّم في المؤمنين يُحتمل أنْ تكون للعهد، فترجع إلى أهل الشّجرة. ويُحتمل رجوعها للمؤمنين جميعًا، فتكون للاستغراق، ويكون مَن لم
41أ يحضرْ ذلك الموطن | ببركتهم[181] في حُكم مِن حَضَرَ كرامة لهم، لأنّهم خُلاصة المؤمنين وسراوة[182] الموحّدين[183].

ثمّ بيّن، تعالى، أنَّ ما صدرَ منهم ما صدرَ إلاّ والإيمان في قلوبهم وَقَرَ واسْتَقَرَّ، فقال، تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفَتْح:18]، أي مِن الإخلاص والوفاء بما يُحبُّ الله في قلب عبده المؤمن عند مُبايعة حبيبه، وخير خَلْقِه في أمْرِ دينه. وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾، قال: إنّما أُنْزِلَتْ في أهل الوفاء، فكان نتيجة ذلك، أنْ أنزلَ السّكينة بالمعنى السّابق مِن الطُّمأنينة وسكون النّفس إلى القِتال حتى كأنّها مَطلوبة عليهم. فإنْ قُلْتَ: قال هُنا
41ب ﴿عَلَيْهِمْ﴾، وقال فيما تقدّمَ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾، فهلْ هناك فرقٌ بينهما؟ قُلْتُ: | نعم، وذلك أنَّ السّكينة المُنزلة تَمَّةٌ لِزيادة الإيمان ومَحَلّه القلب، وهُنا للشجاعة والهَيْبَة، فناسبَ أنْ تكون عليهم كالسِّرْبال[184] ليابهُم الكُفّار. فإنْ قُلْتَ: ما معنى تَسَبُّب وجود العِلم عن المُبايعة مع أنَّ علمه قديم؟ قُلْتُ: تَعَلُّقُ علمه بذلك موجودٌ[185] في قلوبهم، وذلك حادثٌ لا يُنافي التّجدُّد. فلا شُبْهة إذًا إنْ تَعَلّقَ العِلمُ بما في نفوسهم مِن الإخلاص بعد تحقّقه بقلوبهم. فإنْ قُلْتَ: إذا كان تعلّقُ علمِ الله بالمعلومات بعد تحقّقها، لزمَ عدَم التعلُّق قبل وجودها، وإذا لم يتعلّق العِلم بها، لزمَ الجَهْل. قُلْتُ: للعِلم تعلُّقان: تعلُّقٌ قبل وجود المعلوم، وهو لازم ذات العِلم، فكان قديمًا، وتعلّقٌ بعد وجود المعلوم فهو درجات. أمّا التّعلُّق الأوّل، فهو عبارة عن الإحاطة بالمعلوم مِن حيث أنّه [سيوجَدُ في الوقت الذي خصّصته الإرادة الأزليّة. وأمّا التّعلُّق الثاني، فهو عبارة عن الإحاطة به مِن حيث أنّه][186] قد تحقّق ودَخَلَ في الوجود.

---

180 أخرجهُ السّيوطيّ: الدُّر المنثور503/13؛ والهَيْثَمِيّ: مجمع الزّوائد 145/6.

181 جاء قبلها حرف الجر [في]مشطوبًا.

182 أي شُرفاء وكُرَماء الموحّدين. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [س ر و].

183 جاءت بعده عبارة [لا حاجة في صِحّة رجوع الضّمير إلى بعض أفراد العام لا يُوجِبُ تخصيصًا كما قرّرهُ الأئمّة إلى استخدام ورجوع الضميرإلى بعض أفراد العام لا يُوجِبُ تخصيصًا كما قرّرهُ الأئمّة]، فشطبهَا المُفسّر.

184 أي القميص.

185 جاءت في الأصل [موجودا]، والصواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

186 جاءت في الأصل خارج النّص، مِن جهته اليُمنى مع إشارة لموقعها في الجُملة.

ثمّ إنَّ تَعَلُّق العِلم نسبة بين العِلم والمعلوم والتعدُّد فيهما، إنّما نشأ من جانب المعلوم لكثرة
42أ المعلومات. | وأمّا باعتبارِ ذات العِلم، فلا يتصوّر التعدّد لأنّه واحد. فإنْ قُلْتَ: لا يُحْسَنُ عطفَ الماضي على المضارع، فكيف عُطِفَ قوله ﴿فَعَلِمَ﴾ على قوله ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾؟ قُلْتُ: هُنا نُكتة، وهي الإشارة إلى تقدُّم العِلم باعتبار ذاته وتعلّقه الأوّل مع قطْع النّظر عن التعلّق الثاني بالجائز. ويُحتمَلُ أنْ يكون قوله، تعالى ﴿فَعَلِمَ﴾ معطوفًا على قوله ﴿رَضِيَ﴾، والفاءُ حينئذٍ كَهَاءٍ في قوله ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ﴾[187] [هود 45:11]، وذلك لأنَّ مَدخول الفاء وما بعدها بيانٌ للرّضى الذي هو إظهار النّعمة، إذا عُلِم ذلك. فإنْ قُلْتَ: فهلْ بين عِلم الخالق والمخلوق تفاوتٌ أو لا؟ قُلْتُ: نعم. بين عِلم الله، تعالى، وعِلم العبد تفاوتٌ، وذلك في خواصّ ثلاث. إحداها: المعلومات في كثرتها. فإنَّ معلومات العبد، وإن اتّسعتْ، فهي محصورة في قلبه، فأنَّى تُناسب ما لا نهاية له؟ الثاني: إنَّ الانكشاف الحاصل للعبد، وإنْ بلغَ النّهاية، لا يصل إلى الانكشاف في جانب عِلم الرّبّ. فإنَّ
42ب مُشاهدة | العبد للأشياء كَمَنْ يرى من سِتْر رقيق، ولا يُنْكِرُ تفاوت رُتَب الانكشاف، فإنَّ للمشاهدات حالات مُختلفة باعتبار الأوقات. ألا ترى إلى الانكشاف الحاصل وقت الضّحْوَة والحاصل وقت الإسفار[188]؟ ولا شُبهة أنَّ البصائر كالأبصار. والثالث: إنَّ عِلم الله بالأشياء غير مُستفاد من شيء، بل الأشياء مُستفادة منه، تعالى. وعِلمُ العبد بالأشياء تابع لها، فإن اغتاص[189] عليك فَهْمُ هذا الأمر، فانْسُبْ عِلمَ مُتعلّم الشّطرنج إلى عِلْم واضعه، فإنَّ عِلْمَ الواضع هو سبب وجود الشّطرنج. ووجود الشّطرنج هو سبب عِلم المُتعلّم. وعِلم الواضع سابقٌ على الشّطرنج، وعِلم المُتعلّم مسبوق ومُتأخّر عن الشّطرنج، فكذلك عِلم الله، سبحانه وتعالى، بالأشياء سابق عليها وسببٌ لها، وعِلمُنا بخلاف ذلك، ولله المَثَلُ الأعلى.

ثمّ أخذَ اللهُ يُبيّن بعض آثار إنزال السّكينة عليهم، فقال، تعالى: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفَتْح:18]
43أ ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفَتْح:19]. في القاموس: أثابهُ اللهُ مَثُوبَةً | أعطاهُ إيّاه، والمَثوبة الخير كالثواب. والمعنى: وأثابهم الله عن عملهم هذا الفَتْح القريب، خَيْبَر ومكّة. وتناوُلُه لِخَيْبَر أقرب لِوقوعه إثْرَ هذه القضيّة، وبيّن أنَّ ذلك الفَتْح اشتمل على مغانم كثيرة، جَمْعُ مَغْنَم، وهو المال المأخوذ من الكُفّار بِقتال أو إيجاف[190]. وتقدّمَ أنَّ الفَتْح أخذُ البلد عُنْوَةً، فلا تلازم بين الفَتْح

187 الأية كاملة: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود 45:11].

188 أي وقت الشّروق.

189 أي صَعُبَ عليك.

190 أي السَّيْرُ بِسُرعة. ومنه نَبْضُ القلبِ بِسُرعة. وهنا بمعنى الخَوْف والهروب. انظر: ابن منظور: لسان العرب: مادّة [و ج ف].

والغَنِيمة؛ فيجوز أنْ تُؤخَذ[191] البلد ولا مال بها. والمغانم التي حَصَلَتْ بِخَيْبَر كانت مِن الأموال والعَقار، قسّمها النّبيّ، ﷺ، بين أصحابه. وقوله ﴿يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفَتْح:19]، إنّما صَرّحَ بالأخذ وإنْ كان مُعتبرًا في مفهوم الغَنِيمة لمزيد الاهتمام بشأنه، ولأنّه مِن جُملة ما خُصَّتْ به أُمّتُه، ﷺ، إذ المَغْنَم في الأُمَم السابقة كان يُجمَع ويُحرَق، وما كان يأْخُذُهُ العسكر.﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، غالبًا على أمْرِهِ جاريًا على الحِكمة، أي لم يزل مُتّصِفًا بذلك،| وكرّرَ ذِكْرَ العِزّة والحِكْمَة في هذه 43ب
السورة كثيرًا، تنبيهًا على أنّ ما هو العُمْدَة في الدلالة على نجاز الوعد مِن الفَتْح والنّصر، إنّما هو لِحِكْمَة بالغة تَسْلِيَةً للمؤمنين.

ثمّ بيّن، تعالى، أنّ ما وعد به لم يتقيّد بما حصل مِن فَتْح خَيْبَر، بل هناك فتوح ومغانم لا تنقضي إلى يوم القيامة؛ فقال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفَتْح:19] مِن الفتوحات. قال مُجاهد: المغانمُ الكثيرة التي وُعِدُوا بها ما يأخذونه إلى الموت ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾، يعني مُغتنم خَيْبَر. يُقال: عجّلَ له، أي أسرع إليه به. وفي القاموس: العَجَل والعَجَلَة، مُحرّكَتَيْن، السُّرعة. ثمّ بيّن النّعمة التي بها الأمن بقوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لـمّا خَرَجْتُم، وهمّتْ بهم اليهود؛ فقذف الله في قلوبهم الرُّعب. قال ابن عبّاس، رضي الله عنهما: يعني أهل مكّة بالصُّلح. وعن ابن جُرَيْج[192] قال: الحليفان، أسد[193] وغطفان[194]، عليهم عُيَيْنَة بن حُصَيْن[195]،

---

191 جاءت بعدها الجُملة التالية مُكرّرة: [البلد عُنْوَةً فلا تلازم بين الفَتْح والغنيمة فيجوز أنْ تُؤخَذ]؛ فأخرجتُها مِن الأصل لسلامة سياق النّص.

192 هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج، أبو الوليد وأبو خالد [80–150هـ/699–767م]. فقيه الحَرَم المكّيّ، وكان إمام أهل الحِجاز في عصره. مكّيّ المولد والوفاة. روميّ الأصل، مِن موالي قُريش. هو أوّل مِن صَنَّفَ التصانيف في العِلم بمكّة المُكرّمة. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام4/160.

193 هم بنو أسد قبيلة خندفية مُضرية عدنانية. تُعَدُّ مِن القبائل العربية القديمة. وهي قبيلة عظيمة من العدنانية تُنسب إلى أسد بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار. كان موطنها في الجاهلية في نجد غربي القصيم وشرقي جبلي طَيء. كانت تجاورها قبائل طَيء وغَطفان وهوازن وكِنانة. انظر: ياقوت الحَمَويّ: مُعجَم البلدان3/44.

194 هم بنو غَطفان من قبائل القَيسيّة المُضريّة العدنانيّة، حيث ينتسبون إلى غَطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معدّ بن عدنان مِن بني إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام. وهي قبيلة عربية كبيرة من قبائل الجاهليّة وصدر الإسلام. سكنت بادية نجد والحِجاز جهة وادي القُرى وبوادي المدينة المُنَوَّرَة. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، 248–252.

195 هو عُيَيْنَة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان الفزاري، يُكَنّى أبا مالك وكان من زعماء العرب وصناديدها. كما كان فظًّا غليظًا جريء اللسان والقَول. ارتدّ عن الإسلام بعد وفاة

44أ معه مالك بن عَوْف[196] وأهلُ خَيْبَر | على بئر معونة[197]. فألقى اللهُ في قلوبهم الرُّعبَ؛ فانهزموا ولم يَلقوا رسول الله، ﷺ. والكَفُّ المَنْعُ، ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكَفَّة أو الغَنيمة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[198]، إمارة يَعرفون بها أنّهم مِن الله بالذّروة العالية، والرُّتبة المُتعالية. وقيل: رأى رسول الله، ﷺ، فَتْحَ مكّة في المَنام، ورُؤيا الأنبياء وحيٌ. فتأخَّرَ ذلك إلى السّنة القابلة؛ فجعل فَتْحَ خَيْبَر علامة لِصِدْقِ رُؤياه. وقيل: إمارةٌ لِصِدْقِ الرسول، ﷺ. والرسول، ﷺ، وعدهم فَتْحَ خَيْبَر حين رجوعهم مِن الحُدَيْبِيَة. والمعنى الأَوّل هو الأظهر. قال العلاّمةُ البيضاويّ: والعطفُ على المحذوف هو عِلّة لِكَفّ أو عَجَل، مِثل لِيُسلِموا أو لِيأخذوا. أو عِلّة لمحذوف، مِثل فعل ذلك. والأَوْلَى أنّه معطوف على محذوف تقديرهُ لِتشكروه ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، هو الثّقةُ بالله والتّوكّل عليه، وأنّه
44ب ناصرٌ لهم أو يُثبّتكم | على الهداية. ويُقرب هذا الأخير ما بيّناهُ سابقًا مِن أنّ بعض المؤمنين اضطّربوا بسبب صَدّهم عن المسجد الحرام، وصَدّ هَدْيِهم أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ. وَرُدَّ بعض المسلمين إلى الكُفر بموجب الصُّلح وعدم حُصول رُؤيا النّبيّ، ﷺ. وما أشبه ذلك حتى أنكرَ بعضُهم الفَتْح، وقال ما قال، وزُلْزِلوا كما قال الله، تعالى، عن الأُمَم الماضية: ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾[199] [البقرة 2:214]. فلمّا ضاقتْ صدورهم وكادت تنزلُ أقدامهم، [أنزلَ اللهُ السّكينة عليهم][200] وأثابهم الفَتْح القريب والمغانِم الكثيرة، وكَفَّ أيدي الناس عنهم. ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ [الفَتْح:21]، أي ومغانِم معطوفة على هذه أو منصوبة بِفعل

الرسول، عليه السّلام، إلّا أنه أَسلم ثانية بعد أن وقع في أَسْر الخليفة أَبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، في حرب الرّدّة. انظر: البلاذريّ: فتوح البلدان،134.

196 هو مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النّصريّ، مِن هوازن. لا يُعْرَف تاريخ ميلاده، وتُوفّي نحو 20هـ/640م. صحابيّ مِن أهل الطائف، وكان رئيس المُشركين يوم حُنَيْن، حيث قاد هوازن كلّها لمحاربة الرسول، عليه السّلام، ثمّ أسلم. شهدَ القادسيّة وفتْح دمشق. كان شاعرًا ورفيع القدر في قومه. انظر: الزِّرِكليّ: الأَعلام5/264.

197 هي بئر تاريخية في أرض الحِجاز، غير معروف مكانها بالتحديد. وهي أرض بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب. ارتبطت بوقعة «بئر معونة» في صَفر4هـ/625م، بعد أربعة أشهر من معركة أُحُد. انظر: الطّبريّ: تاريخ الطّبريّ2/546–547.

198 جاءت خارج النّص في جهته اليُسرى، مع إشارة لموقعها في الجُملة. كما شطبَ[لِتَكُونَ] التي وردت قبلها.

199 الآية كاملة:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة 2:214].

200 جاءت خارج النّص في جهته اليُمنى، مع إشارة لموقعها في الجُملة.

يُفسّرهُ ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ مِثل قَضَى. ويُحتمَل رفعها بالابتداء، لأنّها موصوفةٌ وجرّها بإضمار رُبَّ. والاحتمال الأوّل بعيد مِن حيث اللفظ والمعنى. أمّا مِن حيث اللفظ؛ فللفصل بين
45أ المعطوف والمعطوف عليه بجملة | أجنبيّة لأنَّ قوله: ﴿وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾ معطوف على ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الفَتْح:19]، وقد عَرَفْتَ حال الآخرين. وأمّا مِن حيث المعنى؛ فلأنَّ المُعَجّلَ ضِدَّ المُؤَجّل. والظاهر أنَّ المُراد بقوله ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ [الفَتْح:21] مُؤجّل على ما سيجيءُ بيانه. فكيف يُعطَف على معمول عُجّلَ؟ وعلى الاحتمال الثاني؛ فقوله: ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾، إمّا صِفة بعد صِفة لأخرى، أو حال مِن ضمير عليها. وعلى احتمال الرّفع؛ فالخبَر قوله: ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾. وعلى الجرّ؛ فلمْ يُقَدَّرْ واصفهُ و﴿قَدۡ أَحَاطَ﴾ مُتَعَلّق رُبَّ. وعن ابن عبّاس، رضي الله عنهما، قال: المُراد هذه الفُتوح التي تُفتَحُ اليوم. وقال بعضُهم: غَنِيمةُ الرُّوم. وقيل: هوازن. وقيل: فارس. ﴿لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ [الفَتْح:21] بعد لِعدم تحقّق استعدادها وكَوْنها مرهونة بِوقتها. وقيل المعنى: لمْ تقدروا على عِلم وقتها. وقوله، تعالى: ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾، أي عَلِمَ أنّها ستكون لكم أو استولى؛ فأظفركم
45ب بها، وهي مغانم هوازن. فكأنّه مِن باب | ذِكْر الملزوم وإرادة اللازم، لأنَّ المحيط بالشّيء يكون مُستوليًا عليه عادة، خصوصًا إذا أُضيفتْ الإحاطة إلى مَن له الاستيلاء التّام على سائر المُمَكّنات مِن جميع الجواهر والعرضيّات. وفي الإتيان بـ﴿قَدۡ﴾ في جانب الإحاطة، الإيذان بأنّها كانت في غاية المَنَعة حتى إن ادَّعَا حصول مِثلها مِمَّا يُشكُّ فيه؛ فيحتاج إلى تحقيق لا لأنَّ خبرهُ، تعالى، مِمَّ يقبلُ رَيبًا.

وعن ابن عبّاس، رضي الله عنهما، قال: ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾، قَضَى اللهُ بها أنّها لكم. فإنَّ كلّ ما هو مَقْضِيٌّ مُحاطٌ به لا مَحالة. وعن الزُّبَيْر ابن العوّام[201]: لَمَّا قدِمَ البصرة دَخَلَ بيت المال؛ فإذا هو بِصَفْراء وبيضاء. فقال: يقولُ اللهُ، تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا * وَأُخۡرَىٰ لَمۡ
46أ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ [الفَتْح:20–21]، يعني ما وجدهُ، إذْ ذَاك في بيت المال. وعن مُجاهد: | هي ما كان إلى يوم القيامة. وعن عبد الرّحمن بن أبي ليلى[202]: هي فارس والرُّوم، وقيل: فَتْحُ فارس. وعن قتادة: إنّها مكّة. وقيل غير ذلك. ولمّا كانت المِنَّة بِما سيقع في غاية العَظَمَة والجلال، وأنّه لا

201 هو الزُّبَيْر بن العوّام بن خويلد الأسديّ القُرشيّ، أبو عبد الله [28ق.هـ–36هـ/594–656م]. صحابيّ شُجاع، وأحد العشرة المُبَشّرين بالجنّة، وأوّل مِن سَلَّ سيفهُ في الإسلام. هو ابن عمّة النبيّ، عليه السّلام، شهد معركة بَدْر وأُحُد وغيرهما. أستشهد في معركة الجَمَل. انظر: الذهبيّ: سِيَر أَعلام النّبلاء3/364–380؛ الزِّركليّ: الأعلام3/43.

202 هو الإمام العلامة الحافظ، أبو عيسى الأنصاري الكوفيّ، الفقيه، ويقال هو أبو محمد، من أبناء الأنصار، وُلِدَ في خلافة الصدّيق أو قبل ذلك. انظر: سِيَر أَعلام النّبلاء5/150.

يقد[ر][203] على إيجاد مثلها إلاّ شديد المحال، عقَّب ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرًا﴾ [الفَتْح:21]، مِن المُمكِنات عقلاً بخلاف المُحال العقليّ؛ فإنّه عاجز عن تلقّي فاعليّة الحقّ، تعالى. فالنّقص في القابل لا في الفاعل، هذا إذا أردنا بالشيء ما هو أعمّ مِن الموجود الخارجيّ. أمّا إذا أردنا ما هو موجودٌ خارجًا فقط، كما هو مذهب المُتكلّمين، فلا استثناء؛ فإنَّ المعدوم لا يُسَمَّى شيئًا عندهم. قال العلاّمة البيضاويّ: لأنَّ قُدرته ذاتيّة لا تختصُّ بشيء؛ فهو كالدّليل إلى ما ذَكَرَ قبله مِمّا يتفرّعُ على قُدرته الباهرة. ولذلك أتى بالاسم الظاهر الجامع دون أنْ يأتي بالضّمير. وعَدَلَ
46ب إلى صيغة المُبالغة عن قادر إلى قدير؛ فهذه الحيثيّات تُفيد الإحاطة | التامّة.

ثمّ بيّن، تعالى، أنّهم ولو قاتلوهم أو ناضلوهم، لعجزوا عن مُحاربتهم ولَحصلت الغَلَبة لهم بما يُلقيه الله في قلوبهم مِن الرُّعب الآخذ على أسماعهم وأبصارهم. فقال، تعالى: ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الفَتْح:22] مِن أهل مكّة أو مِن حُلفاء أهل خَيْبَر لَغُلِبوا وانْهَزَموا. اللاّزِمُ ذلك لقوله، تعالى: ﴿لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾، أي لانْهزموا[204] هزيمة شنيعة لأنَّ المُنهزِم يجعل دُبُرَهُ إلى وجهِ العَدوّ عند الفِرار. وفي القاموس: وَلَّى تَوْلِيَةً، أدْبَرَ، فَذَكَرَ الإدبار لِدَفْع تَوَهُّم المجاز وتَحّص قَصْد الحقيقة، كما في قوله، تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[205] [الأنعام 38:6] الآية، ولأنّه محطّ رِحال التّشنيع في الهزيمة.

ثمّ بيّن أنَّ هذا الفِرار لا إلى جِهة ولا مَقصد، فقال، تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾ [الفَتْح:22]. الوليّ معناهُ مُختلف: يُطلَقُ ويُرادُ به القريب والصديق والنصير والسلطان. والظاهر أنَّ المُراد هُنا
47أ الصديق أو القريب، لأنَّ النظير الذي له سلطان | ذَكَرهُ بقوله: ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾. فإنْ قُلْتَ: المُناصرة تكون مِن القريب والصديق والسلطان. قُلْتُ: نعم. هذا مُسَلَّمٌ في أصْلِ المُناصرة. إلاّ أنّه على جهة هذه المُبالغة ظاهرٌ في ذي القوّة والمَنَعَة، كالسلطان وما قَرُبَ منه، لا ما يحصل منه أصل المُناصرة. ولذلك عَطَفَهُ عليه عطفًا يقتضي المُغايرة، كأنّه غير داخل في مفهوم ما سبق. وكلمة ثُمَّ للدّلالة على أنّهم لا يجدون الوليّ في وقتٍ من الأوقات، ولا في حال مِن الحالات. ولو مضى زمن يقتضي التأمُّل والتّدبُّر، وفيه الإيذان بالتفاوت بين زمان الانهزام وعدم وجدان الوليّ والنصير للإيذان بِما دَاخَلَ قلوبهم مِن حرارة الهزيمة. وفي هذا تفظيعٌ لِحالهم، حيث تقطّعت بهم الأسباب. والمُراد مِن الشّرطيّة المذكورة دَفْع توهّمُ وَهْنٍ نشأَ عنه الصّلح، بل هم لو قاتلوا الكُفّار لانْهَزَموا مِن المؤمنين.

---

203 ساقطة في الأصل؛ فأضفتها لاستقامة المعنى والسّياق.

204 جاءت في الأصل [لاانهزموا]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

205 الآية كاملة: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام 38:6].

47ب فإنْ قُلْتَ: | فَهَلاَّ وقعت تلك المُقاتَلَةُ وحصلَ ذلك الانْهزام المُستلزم لِدخول مكّة، لأنَّ ذلك يكون أَبلَغ في صِدْقِ الرسول، ﷺ؟ قُلْتُ: لم يكُنْ ذلك لأمْر وهو أنَّ الله لم يأْذَنْ فيه، وعدم ذلك الإذْن لِيَظهر تفاوت إيمان المؤمنين ومراتب الرّاسخين مِن الصّديقين كما قال، تعالى: ﴿مَّا[206] كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[207][آل عمران 179:3]. لا يُقال: ففي الآية الإيذان بأنَّ ذلك الانهزام لا يحصُل للكُفّار إلاّ بأنْ يبدأ المُشركون بالقِتال لأنّه قال: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفَتْح:22]. ولا يلزم مِن ذلك أنَّ المؤمنين لو قاتلوا الكُفّار ابتداءً لحصلت النُّصرة لهم. فكان حصول الانهزام مُقيّدًا بأنْ يبدأَ الكُفّار في تلك القضيّة بالمُحاربة، نظير ما رُوِيَ أنَّ المؤمنين نزلوا بأُحُد، فاستشارَ رسولُ الله، ﷺ، أصحابه وقد دعا عبد
48أ الله ابن أُبَيّ[208] ولم يَدْعُهُ. قيل: فقال هو والأنصار: ما خَرَجْنا | منها لِعدوّ إلاّ أصابَ مِنّا، وما دخل علينا عدوّ فيها إلاّ أَصَبْنا منه، لأنَّا نقول ليس في الآية إيذان بذلك، إذْ هي دالّة على المُفاعلة، وهي [لا تَدُلُّ][209] على الابتداء. وذلك أنَّ الله ناصر المؤمنين سواء بَدَأوا بقتال الكُفّار، أو بَدَأَهُم بِهِ الكُفّارُ لِحصول البَغْي بأَصْلِ الكُفْرِ منهم المُقتضي للقتال. وقضيّة أُحُد لا شاهد فيها، وذلك أنّهم حَكُوا الحال السّابقة في زمن الجاهليّة. وأمّا ما وقعَ في ذلك اليوم، فَمِن المُخالَفَة له، ﷺ، ولأنَّ عادة الله جرت باستئصال أهل البَغْي والعناد، ومَحْوِ آثار أهل الفساد. وهذه عادة الله مع عباده المُخلَصين، فلذلك قال: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ [الفَتْح:23]، أي طريقته التي مَضَتْ. ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي مِن قبل بِعْثَتِكَ، سَنَّ غَلَبَةَ أنبيائه، سُنَّة قديمة فيمَن مضَى مِن الأُمَم السّالفة،

---

206 جاءت في الأصل [وما]، والصّواب ما ثبت أعلاه في الأية الكريمة.

207 الآية كاملة: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران 179:3].

208 هو عبد الله بن أُبَيّ بن مالك بن الحارث ابن عُبيد الخزرجيّ، أبو الحباب، المشهور بإبن سلول لم يُعْرَف تاريخ ميلاده. مات نحو عام 9هـ/630م. هو رأس المُنافقين في الإسلام، مِن أهل المدينة وسيّد الخزرج في آخر جاهليّتهم. تظاهر بالإسلام بعد معركة بَدْر، تُقيَةً، ولطالما شمتَ بهم وكاد لهم المكائد. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام65/4.

209 جاءت في الأصل فوق السّطر مع إشارة لموقعها في الجُملة بدل كلمة[دالة] المشطوبة.

كما قال، تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[210] [المُجادلة 21:58]. وسُنّة منصوب بفعل منه،
48ب كَسُبْحَان الله. | وأصلُهُ، سَنَّ اللَّهُ سُنّةً، حُذِفَ الفعل وأُضِفَ المصدر إلى الفاعل. وفي إضافته إلى ذاته القديمة الرّد على مَن زعمَ أنَّ النُّصرة تكون بسبب الكواكب واتّصالها وكونها في إقبالها أو عاشرها أو حادي عشرها، إلى غير ذلك.

ثمّ بيّن أنَّ هذه العادة إذا تأمّلها مُتأمّل لا يجدُ لها ناقصًا، فقال، تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً﴾[211] [الأحزاب33 :62]، التّبديل، التغيير. وهذا مع ما قبلهُ تعليلٌ لِمضمون السّابق، وهو غَلَبَة المؤمنين عند مُقاتلة الكُفّار. فإنْ قُلْتَ: قد تُشاهد أنَّ بعض سرايا المؤمنين تُهْزَمُ مِن الكُفّار. قُلْتُ: الجواب عن هذا أنَّ ما يقعُ مِن هزيمة بعض المؤمنين مِن الكُفّار لِعَدم جريهم على ما أمرَ الله في ذلك الحرب، كما في قضيّة أُحُد. فحاصلُها أنَّ السُّنّة إذا راعى المؤمنون الأوامر الإلهيّة،
49أ فامْتَثَلُوا، والنّواهي، فانْكَفُّوا عنها، حصلَ[212] لهم الظَّفَر، وقضوا مِن السّعادة الوَطَر. | ثمّ أخذ اللهُ، تعالى، يُقرّر أمرًا دَالاً على تَصَرُّفِه في القلوب بِما يُلقيه فيها مِن إقدام وإحجام، فقال، تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ [الفَتْح:24]، أي كُفّار مكّة. ﴿عَنكُمۡ﴾ بِما لَحِقهم مِن الخَوْف والرُّعب مِن مُقاتلة المؤمنين. ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾ بِعَدَمِ الإذْنِ في القِتال والرُّجوع إلى الصُّلح ﴿بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾، أي داخلها. ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾، أي أظهركم[213] عليهم.

---

210 الآية كاملة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المُجادلة 21:58].

211 الآية كاملة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب33 :62].

212 جاءت في الأصل [خصل]، والصّواب نا ثبت أعلاه.

213 جاءت في الأصل [اطهركم]، والصّواب نا ثبت أعلاه.

وأخرجَ أحمد والنَّسائيّ[214] والحاكم[215]، وصحّحهُ عن عبد الله ابن مَعقل[216] قال: (كُنَّا مع رسول الله، ﷺ، في أصلِ الشّجرة التي قالها الله، تعالى، في القرآن. وكان يقعُ مِن أغصان تلك الشّجرة على ظَهْرِ رسول الله، ﷺ، وعليّ ابن أبي طالب وسُهَيْل بن عَمْرو[217] بين يديه. وقال رسول الله، ﷺ، لِعَلِيّ أكْتُبْ: بسم الله الرّحمن الرحيم، فأخَذَ سُهَيْلٌ بيده فقال: ما نعرف الرّحمن، ولا الرّحيم. أُكْتُبْ في | قضيّتنا ما نعرف. قال: أَكْتُبْ باسْمِكَ اللّهُمَّ، وكتبَ: هذا ما صالحَ عليه رسول الله أهل مكّة، فأمسكَ بيده وقال: لقد ظلمناكَ إنْ كُنتَ رسوله. أُكْتُبْ هذا ما صالحَ عليه محمّد بن عبد الله. فبينا نحن كذلك، إذ خرجَ علينا ثلاثون شابًّا عليهم السّلاح، فثاروا إلى وجوهنا، فدعا رسول الله، ﷺ، فأخذَ اللهُ بأسماعهم)[218]. ولفظَ الحاكم: بأبصارهم، فأخذناهم. فقال رسول الله، ﷺ: قد جِئْتُم في عهدِ أُحُد، وقد جعلَ لكم أُحُد أمانًا، فقالوا: لا. فخَلَّى سبيلهم، فأنْزَلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾. ورُوِيَ أنَّ عِكرمة بن أبي جَهْل[219] خرج في خمس مائة إلى 49ب

214 هو أحمد بن علي بن شُعيب بن علي بن سِنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النَّسائيّ [215–303هـ/830–915م]. هو القاضي، والحافظ، وشيخ الإسلام. أصله مِن نسا بخراسان. رحل إلى بُلدان كثيرة واستوطن في مِصر، ثمّ ذهب إلى الرّملة بفلسطين ومات فيها، حيث دُفِن في بيت المقدس. وقيل خرج حاجًّا فمات بمكّة. مِن أشهر مُصنّفاته: السُّنَن الكبرى (ط)، المُجتبى – وهو السُّنَن الصُّغرى (ط)، ومُسنَد الإمام مالك (ط). انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام1/171.

215 هو محمّد بن عبد الله بن حَمْدَوَيْه بن نعيم الضّبيّ، الطّهمانيّ النّيسابوريّ، الشهير بالحاكم، ويُعْرَف بابن البيّع، أبو عبد الله [321–405 هـ/933–1014م]. مِن أكابر حُفّاظ الحديث والمُصَنّفين فيه. وُلِدَ ومات في نَيْسابور. هو مِن أعلمِ الناس بصحيح الحديث، وله الكثير مِن المُصَنّفات منها: المُستَدْرَك على الصّحيحَيْن (ط)، المَدخل في أصول الحديث (ط)، وفضائل الشّافعيّ. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام6/227.

216 عبد الله بن مَعْقِل ابن مُقرن الإمام أبو الوليد المزنيّ الكوفيّ. حدث عن أبيه وعن عليّ وابن مسعود وكَعب بن عجرة وجماعة. وعنه أبو إسحاق السبيعيّ، وعبد الملك بن عُمير ويزيد بن أبي زياد، وأبو إسحاق سليمان بن فيروز الشَّيبانيّ وآخرون. ذكره أحمد بن عبد الله العجلي؛ فوصفه بأنّه ثقة من خيار التابعين توفي سنة 88هـ/706م. انظر: ابن حجر العسقلانيّ: تهذيب التهذيب 10/235.

217 هو سُهيل بن عمرو بن عبد شمس، القُرشي العامريّ. تُوفّي عام 18هـ/639م، ولم يُعْرَف تاريخ ميلاده. هو خطيب قُريش، وأحد سادتها في الجاهليّة. هو مَن تولّى أمر الصُلح بالحُديبية. أُسِرَ يوم بَدْر، وأسلمَ يوم فَتْح مكّة. مات بالطّاعون في فلسطين. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام3/144.

218 أخرجهُ البُخاريّ (2698)؛ ومُسلم (1783)؛ والسّيوطيّ: الدُّر المنثور13/501.

219 هو عِكرِمة بن أبي جَهْل عمرو بن هشام المخزوميّ القُرشيّ. مِن صناديد دمشق قُريش في الجاهليّة والإسلام، أسلمَ يوم فَتْح مكّة. لم يُعْرَف تاريخ ميلاده، واستشهد في معركة اليرموك عام 13هـ/634م. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام4/244–245.

الحُدَيْبِيَة، فقال رسول الله، ﷺ، لخالد بن الوليد[220]: هذا ابنُ عمّكَ قد أتاك في الخَيْل. فقال خالد: أنا سيفُ الله، وسيفُ رسوله، فيومئذٍ سُمِّيَ سَيْفُ اللهِ. [يا رسول الله][221]: إرْمِ لِمَنْ أردْتَ إنْ
50أ شِئْتَ. | فبعثهُ على خَيْلٍ قليل لِعكرمة، فهزمهُ حتى أدخلهُ حيطان مكّة. ثمّ عاد في الثانية، فهزمهُ حتى أدخلهُ حيطان مكّة. ثمّ عاد في الثالثة، فهزمهُ حتى أدخلهُ حيطان مكّة. فأنزلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ﴾ الآية. فكَفَّ اللهُ النّبيّ والمؤمنين ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَتْح:24].

قال السيّد مُعين الدّين[222]: وما ذُكِرَ مِن أنَّ ابن أبي جَهْل خرجَ في عسكر يوم الحُدَيْبِيَة إلى آخره، فيه شيءٌ. وذلك أنَّ خالد بن الوليد لم يكُنْ أسلمَ، بل كان طليعة للمُشركين يومئذٍ على ما رواهُ البُخاريّ في حديث طويل. وقيل: كان يومُ الفَتْح. قال الإمامُ البيضاويُّ[223]: وهو ضعيفٌ لأنَّ السّورة نزلت قبلهُ. ولك أنْ تقول كَوْنَ السّورة نزلت قبلهُ لا يُضعِفُهُ، فهو يكون مِن باب الإخبار بالغيب، كَقولهِ، تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ﴾ [الفَتْح:1]، على أنّه يُريد فَتْحَ مكّة ويكون الإخبار به بصيغة الماضي لِتحقيق وقوعه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ[224]﴾ [الفَتْح:24] بالياء والتّاء.
50ب ﴿بَصِيرًا﴾، أي لم يزلْ مُتّصِفًا بذلك. | البصيرُ في جانب الباري هو الذي يُشاهد ويرى حتى لا يَعْزُبُ عنه ما تحت الثّرى. وإبْصَارُهُ، تعالى، مُنَزَّهٌ عن أنْ يكون بجارحة ذات أجفان. وتقدّسَ عن أنْ يرجعَ إلى انطباع الصُّور والألون في خاطره كما ينطبع في حَدَقَة الإنسان، فإنَّ ذلك مِن

---

220 هو خالد بن الوليد بن المُغيرة المخزوميّ القُرشيّ [(30 ق.هـ-21هـ/592-642 م]. أسمَ قبل فَتْح مكّة، وهو صحابيّ وقائد عسكريّ وفارس شُجاع. لقّبه الرسول، عليه السّلام، بسيف الله المسلول. اشتهر بعبقريّة تخطيطه العسكريّ وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الرّدة، وفتح العراق والشام، في عهد خليفتَيْ الرسول، عليه السّلام، أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب. قيل إنه مات في مدينة حِمص، وقيل في المدينة المُنَوَّرَة. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام2/300؛ الذهبيّ: سِيَر أعلام النّبلاء، 1604-1608؛ ابن عساكر: التّهذيب5/117.

221 جاءت في الأصل فوق السّطر مع إشارة إلى موقعها في الجُملة.

222 هو محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله الحُسينيّ الإيجيّ الشّافعيّ [832-905هـ/1429-1500م]. مِن أهل إيج بولاية شيراز. مُفسِّر، وله مُصَنّفات أهمّها: جامع البيان في تفسير القرآن (ط). انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام6/195.

223 هو الإمام القاضي المفسّر ناصر الدين أبو سعيد، أو أبو الخير عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاويّ الشيرازيّ الشافعيّ [ت 685هـ/1286م]. وُلِد في المدينة البيضاء بالقرب من شيراز. هو علاّمة وقاضٍ ومفسّر. مِن أشهر مُصنّفاته: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» في تفسير القُرآن. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام 4/110.

224 جاءت في الأصل [يعملون]، فأثبتُّ ما ورد في الآية كما ثبتَ بالرّسم العثمانيّ للمصحف الشّريف.

التّغيّر والتّأثّر المُقْتَضَى لِلْحَدَثَيْن[225]. وإذا نُزِّهَ عن ذلك، كان البصرُ في حقّه، تعالى، عبارة عن صِفَة ينكشف بها كمال نُعوت المُبصرات. فَصِفةُ العبد مِن الإبصار بالنّسبة إلى صِفَة الرَّبِّ، كالعَمَى بالنّسبة إلى البصر، فإنَّ غاية ما ينشأ عن إبصارِ العبد مُشاهدة ظواهر المَرئيّات لا على وجه الإحاطة والانكشاف التّام بما لا حاجبَ له لِرَبِّ السّموات والأرض. فالمعنى: إنَّ الله لا يخفى عليه مِن أعمالكم شيءٌ أَلْبَتَّة، ففيها البشارة للطّائعين، والنّذارة للعاصين.

51أ ثمّ أخذ اللهُ، تعالى، يُقَدِّرُ[226] شناعة حالهم بما استقرَّ في نفوسهم | مِن كُفْرِهِم بربّهم، وما اقترفوه مِن السّيّئات مُضافًا ذلك، فقال، تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفَتْح:25]، استئناف مُلائم للمَحَلّ، وذلك أنّه، تعالى، لمّا ذَكَرَ أنّه كَفَّ أيديَ المؤمنين عنهم، رُبّما ظَنَّ ظانٌّ أنَّ ذلك لِعَدَمِ إجرامهم وعدم استحقاقهم للقتل، بل ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ﴾ إلى آخره. فاستبان أنَّ تأخير تعذيبهم بأيدي المؤمنين لِحِكْمة، وتلك الحِكْمة أنَّ جماعة مِن المؤمنين والمؤمنات مِن أهل مكّة بقَوا مع المُشركين لِكونهم مُسْتَضْعَفين لا يستطيعون حِيلة ولا يهتدون سبيلاً، لِئَلاَّ تطاهُم الغُزاة مِن غير عِلم، فيصيبهم مَعرّة مِن جهنّم، كما يدلّ عليه قوله، تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ الآية. ﴿والهَدْيَ﴾ منصوبٌ بالعطفِ على معمول ﴿صَدُّوكُمْ﴾، أي وصدُّوا الهدْيَ. ويجوز فيه الرّفعُ على [وصَدَّ][227] والجرّ عطفًا على ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾. بمعنى: وصَدُّوكُم | عن نَحْرِ الهَدْي[228]. و﴿مَعْكُوفًا﴾، حال مِن الهَدْي. و﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾، على تقدير مِن أنْ يبلُغَ. ويجوز أنْ يكون بدلاً مِن الهَدْي، بدل اشتمال. أي صَدُّوا بلوغ الهَدْي. والصَّدُ، المَنْعُ. والمسجد معروفٌ، وفعلهُ مِن باب نَصَرَ، اسمًا كان أو مصدرًا. إلاّ أنّهم ألزموا مَسْجِد ومَطْلِـع ومَشرِق ومَسْقِط ومَغْرِق ومَحْرِز ومَسْكِن ومَرْفِق ومَثْبِت ومَنْسِك، كَسْر 51ب

225 جاءت في الأصل [للحدثان]، والصّواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة.

226 جاء في الأصل بعدها حرف النّصب [ان]مشطوبًا.

227 جاءت في الأصل فوق السّطر مع إشارة إلى موقعها في الجُملة، بدل كلمة [الهدى] المشطوبة.

228 هو ما يُساق إلى البيت الحرام من الأنعام للتّصدُّق بلحمه بعد ذبحه على الفُقراء والمُحتاجين.

عين هذه الصِيَغ. والفَتْح جائزٌ، وإنْ لم يُسْمَع، كما قالهُ صاحب القاموس[229]. والحرام[230]، المَحْرَم. أي مُحَرَّمٌ فيه القِتال، وممنوع عن الظَّلَمَة أنْ يتعرّضوا له. أو منعَ اللهُ فيه أُمورًا، منها الصَّيْد وعدم جواز احتشاش نباته.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص[231] قال: أساس المسجد الحرام الذي وضعهُ إبراهيم من الحرورة، أي مَخرج سَيْل جياد إلى المَسْعَى. وعن عطاء بن أبي رباح[232]: المسجد الحرام، الحَرَم كُلّه، وذكرهُ الأزرقيّ[233]. قال الإمام الرّازي عن ابن عبّاس، رضي الله عنهما، الحَرَم كُلّه مَسجد، | وهذا قولُ الأكثرين، انتهى. وقد يُطلَق ويُراد به الكَعبة. ومنه قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[234] [البقرة 144:2]. وقوله ﴿مَعْكُوفًا﴾، أي محبوسًا. ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾، أي مكانهُ 52أ

229 هو صاحب «القاموس المحيط»، العلاَّمة محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر مَجْد الدّين الشّيرازيّ الفَيْروزآبادي [729–817هـ/1329–1415م]. مِن أئمّة اللغة والأدب. وُلِدَ في كارزين بمنطقة شيراز. سافر إلى العراق ومِصر والشّام، وكذلك بلاد الرّوم والهند، وتُوفّي في زُبَيْد. كان مرجع عصره في اللغة والأدب والحديث والتّفسير. مِن أشهر مُصَنّفاته: القاموس المُحيط (ط)، المغانم المُطابة في معالم طابه (ط)، نُزهة الأذهان في تاريخ أصبهان (ط)، سِفْرُ السّعادة (ط) وغيرها. انظر: الزِرِكْلِيّ: الأعلام7/146–147.

230 جاءت بعدها في الأصل كلمة [المسجد]مشطوبة.

231 هو عبد الله بن عمرو بن العاص، السّهميّ القُرشيّ [27 ق.هـ–65هـ/595–684م]. صحابيّ جليل، مِن النُّساك. مِن أهل مكّة. أحسن اللغة السريانيّة، وكان يكتب في الجاهليّة. أسلم قبل أبيه، وشهد العديد من الحروب والغزوات. روى 700 حديثًا، وتُوفّي مكفوف البصر. انظر: الزِرِكْلِيّ: الأعلام4/111؛ الحنبليّ: تذكرة الحفّاظ وتبصرة الأيقاظ، 134.

232 هو عطاء بن أسلم بن صفوان [27–114هـ/647–732م]. هو تابعيّ، ومِن أجلاّء الفقهاء. كان مولدُهُ في جُند باليمن، ونشأ في مكّة، حيث كان مُفتي أهلها ومُحدّثهم، وفيها تُوفّي. انظر: الزِرِكْلِيّ: الأعلام4/235.

233 هو محمّد بن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن الوليد بن عُقبة بن الأزرق الغسّانيّ. أبو الوليد الأزرقيّ [ت 250 هـ/865م]. مؤرخ يمانيّ الأصْلِ، من أهل مكّة. وُلِدَ في القرن الثّاني للهجرة، لمن لم تُذكر سنة الولادة عند أيّ من المؤرّخين القُدامى. له مُؤلّف شهير باسم أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار (ط). تحقيق: عبد الله بن دهيش 2003. انظر: حاجي خليفة: كَشْف الظّنون 1/306؛ الزِرِكْلِيّ: الأعلام 6/222؛ الأزرقيّ: أخبار مكّة، 9–20.

234 الآية كاملة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة 144:2].

المعهود بالتّحْرُمة، وهو مِنًى، لا مكانهُ الذي لا يجوز أنْ يُنْحَرَ في غيره، وإلاّ لَما نحرهُ النّبيّ، ﷺ، حيث أُحْصِر. وفي هذه الآية، توبيخهم بعدم رعاية حُرمة الحَرَم، لأنَّ مِن حُرْمته أنْ لا يُمْنَعَ قاصدهُ، وأنْ ينحرَ هَدْيَهُ به، وهذا مُعْتَقَدهم. إلاّ أنّه منعتهم أَنَفَة الكِبْر، ودعتهم حَمِيَّة الجاهليّة إلى أنْ فعلوا ما فعلوا مِن خلاف مُعتقدهم، إشعارًا بِعِلَّةٍ أُخرى لكَفِّ المؤمنين عن قتالهم، حيث حفظوا حُرمة الحَرَم، وتركوا المقاتلة به مع أنّهم مجرمون. فإنْ قُلْتَ: ما النُّكتةُ في تعريف المُسنَد إليه والمُسنَد بالضّمير والموصول؟ قُلْتُ: أمّا الإضمار فهو مُقتَضَى الظاهر لِسَبق ذِكْرِ المَرجع، وهو كُفّار مكّة. وأمّا الموصول، فللإشارة إلى إحاطة عِلم الله المُخاطَبين بكونهم | مُستحقّين للعقوبة. 52ب
فلا ينبغي لأحد مِن المؤمنين أنْ يتوهّم أنَّ كَفَّ أيدي المؤمنين عنهم، وتأخير أمْرهم لِمصلحة لهم، بل لِما يدلّ عليه قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفَتْح:25]. لولا، كلمة بنفسها عند البصريّين، والاسم بعدها مُبتدأ خبرهُ محذوف وجوبًا، إذا كان مِن الأفعال العامّة، لأنّه التزمَ في موضعه جواب لولا مع القرينة الدّالة عليه وهي لفظة لولا، إذ هي موضوعة لانتفاء. الثاني وهو مضمون الجواب لوجود الأوّل، وهو مضمون مَدخول لولا؛ فالوجود على سبيل الفَرَض مُعْتَبَر في مَدخولها لاقْتِضائها إيّاه؛ فلا حاجة إلى ذِكره وَلَيْسَتْ لو الداخلة على لا، لأنَّ الفعل بعد لو إذا أُضْمِرَ وجوبًا؛ فلا بُدَّ مِن الإتيان بمُفسّره. وقال الكسّائيُّ: الاسم بعدها فاعل الفعل المُقدَّر. فمعنى ﴿لَوْلَا رِجَالٌ﴾ [الفَتْح:25]، لو لم يُوجَدْ رجال، يعني المُستَضعَفين مِن المؤمنين بمكّة بين الكُفّار، كَمسلمة بن هشام[235] وعبّاس بن أبي ربيعة[236] وأبي جندل بن سُهَيْل[237]، وأشباههم.

وعن أبي جُمعة[238] أنّه قال: قَاتَلْتُ النّبيّ، ﷺ، أوّل النّهار كافرًا، وقاتلتُ معه آخر النّهار مُسلمًا، وفِينا نَزَلَتْ ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾. وكُنَّا تسعة نَفَر: سبعة رجال، وَامْرأَتَيْنِ. وصيغةُ الجَمْع بتأويله بما فوق الواحد، كما قال به بعضهم. ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾، أي لم | 53أ

235 لم يُعْثَر له على ترجمة.

236 لم يُعْثَر له على ترجمة.

237 هو العاص بن سُهيل بن عمرو العامريّ، أبو جندل بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر العامريّ القُرشيّ، واسمه العاص. صحابيّ، أسلم قديمًا، وعذّبهُ أبوه سُهيل بن عمرو وحبسهُ مع أخيه عبد الله بن سُهيل، ثم فرّ وهدّد عِير قريش، ثمّ لحق بفتوح الشّام، ومات في طاعون عمواس سنة 18هـ/639م في الأردن. انظر: الذهبيّ: سِيَر أعلام النّبلاء، 2094.

238 هو جُنَيْد بن سَبع، أبو جمعة. ويقال حبيب بن سباع، وهو أبو جمعة. انظر: الطّبرانيّ: المُعجَم الكبير2/290.

تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمُشركين. والجُملة، صِفة الرجال والنّساء جميعًا. وقولُهُ: ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾[239][الفَتْح:25]، بدا اشتمال مِن رجال ونساء، كأنّه قال: رجال ونساء غير معلومِيّ الوَطِئ، أو مِن ضميرهم في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾، والمُراد تُوقِعُوا بهم. قال الزَّمَخْشَرِيّ: الوَطئ، الدّوس، وهو عبارة عن الإيقاع والإبادة. يُقال: أَوْقَعَ بهم، أي بالغ في قتالهم. والإبادة، الإذهاب والإهلاك. قال رسول الله، ﷺ: (إنَّ آخر وَطْئَةٍ وطأها اللهُ بنوح)[240]. ﴿فَتُصِيبَكُم﴾، خِطابٌ للمؤمنين ﴿مِّنْهُم﴾، مِن جِهتهم ﴿مَّعَرَّةٌ﴾، مَكروه. والمَعَرّة مفعلَة مِن عَرَّهُ، بمعنى عراهُ إذا أدْهَاهُ
53ب ما يكرههُ ويشقّ عليه. وذلك المكروه، كَوجوب الدِّيَة | والكَفّارة والإثم في الهداية، إذا التَقَى الصفَّان مِن المُسلمين والمُشركين؛ فقتلَ مُسلمٌ مُسلمًا ظَنَّ أنّه مُشركٌ؛ فلا قَوَدَ[241] عليه، لأنّه خطأ وعليه الكَفَّارة. هذا أحد أنواع الخطأ، وكذلك عندنا. ولذلك لمّا اختلفَ المسلمون[242] على اليَمان بن أبي حُذَيْفَة[243]، رضي الله عنه، قضى رسولُ الله، ﷺ، بالدِّيَة في حال الاختلاط. أمّا إذا كان في صَفِّ المُشركين؛ فلا دِيَة لتكثير سوادهم.

قال رسول الله، ﷺ: (مَنْ كَثَّرَ سَوادَ قَوْمٍ؛ فهوَ مِنهم)[244]. ويدُلُّ عليه قولهُ، تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[245] [النّساء 4:97]، وقولهُ: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الفَتْح:25]. قال العلاّمة البيضاويّ: مُتعلّقٌ بأنْ تطأوهم، أي تطأوهم غير عالمين بهم. وضَمائرُ الغَيْبَة للصِّنْفَيْنِ بتغليب الذكور. وجواب لولا محذوف لِدلالة الكلام عليه. والمعنى: لولا كَراهة أنْ تُهْلِكُوا ناسًا مؤمنين
54أ بين أظْهُرِ الكافرين | جاهلين بهم؛ فيُصيبكم بإهلاكهم مكروه، لَما كَفَّ أيديكم عنهم. لكن يتّجهُ

---

239 داءت في الأصل تطأوهم]، والصواب ما ثبت في الآية الكريمة.

240 أخرجهُ التِّرمِذِيّ (1910)؛ وأحمد (27314).

241 القَوَدُ: هو القِصاصُ وقتلُ القاتل بدل القتيل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ق و د].

242 جاءت في الأصل [اختلفت المسلمين]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

243 هو حُذيفة بن حِسل [حُسَيْل] بن جابر العبسيّ، أبو عبد الله واليمان لقبُ حِسل. صحبيّ، مِن الوُلاة الشّجعان الفاتحين. كان صاحب سِرّ النّبيّ في المنافقين لم يعلمهم أحدٌ غيره. له في كُتُب الحديث 225 حديثًا. تُوفّي في المدائن عام 36هـ/656م، ولم يُعْرَف تاريخ ميلاده. انظر: الزِّرِكلِيّ: الأعلام2/171.

244 أخرجهُ العسقلانيّ: فَتْح الباري13/41. وفي رواية: مَن كثَّرَ سوادَ قومٍ فَهوَ مِنْهم ومَن رَضِيَ عَمَلَ قَوْمٍ كانَ شَريكَ مَنْ عَمِلَ بِهِ.

245 الآية كاملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّساء 4:97].

عليه أنّه إذا كان ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مُتعلّقًا بـ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ [الفَتْح:25]، وهو بدل اشتمال مِن ضمير﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾. على ما سبق يلزمُ في الكلام التكرار لأنّه يصير المعنى حينئذٍ: لم تعلموا وَطْأَهُم بغير عِلم. لا يُقال: العِلم الأوّل مُتعلّق بِوَطْئِهِم، والثاني بأنفسهم، كأنّه قال: لم تعلموا وَطْأَهُم غير عالمين بهم. لأنّا نقول: ليس المُراد مِن يقي العِلم بِوَطْئِهِم عدم تَعلّق العِلم بذات الوَطْءِ[246] مِن حيث هو، بل من حيث الإضافة إليهم، مِن حيث كَوْنِهِم مؤمنين لا مِن حيث ذاتهم مِن غير مُلازمة وصَفَ المؤمنين؛ فدَلَّ قولهُ: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾ على عدم العِلم بهم مِن حيث كَوْنِهم مؤمنين. ولا شَكَّ أنَّ المُراد مِن قوله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، عدم العِلم بهم مِن حيث أنّهم مؤمنون؛ فيلزم التّكرار. فالواجب أنْ يكون قولهُ ﴿أَن تَطَئُوهُمْ[247]﴾ بدل اشتمال مِن الرجال والنّساء، كما قدّمناهُ لا غير، إلاّ أنْ يتعلّق بغير عِلم بغيره. فإنْ قُلْتَ: هل يجوز | أنْ يتعلّق بغيره؟ قُلْتُ: نعم. 54ب
يجوز أنْ يكون حالاً مِن مفعول ﴿فَتُصِيبَكُم﴾. والمعنى: فيُصيبكم منهم مَكروهُ حالَ كَونكم غير عالمين كما يُوجبهُ لِعدم تعمّدكم إهلاك المؤمنين. ولا شَكَّ أنَّ المُصيبة التي تُصيب الإنسان على عَقْلِهِ لِعدَم تعمّد ما يُوجبها أشدّ وأصعب. وهذا التوجّه أقرب مِن حيث اللفظ لِقُرب المُتعلّق، وأبلغ مِن حيث المعنى، لِما أُشير لهُ. وهذه الآية مُشعرة بعلوّ شأْنِ أصحاب الرسول، وأنّهم نالوا مِن حِفْظ الله لهم مِن المعاصي نهاية السُّؤْلِ، حتى أنَّ الواحد منهم لو أتى معصية لم يكن مُتعمّدًا لتلك المعصية. كيف وهم شاهدوا شمس سماء النُّبوّة، ومَن حَقَّقَ اللهُ مَجْدهُ وسُمُوّه، ﷺ.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفَتْح:25]، قال الزَّمَخْشَرِيّ: عفا الله عنه. وإنْ قُلْتَ: قولهُ تعالى:﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ تعليل، لماذا؟ قُلْتُ: لما دَلّتْ عليه الآية وسيقت له من كَفّ الأيدي عن أهل مكّة والمَنْع عن قَتْلِهِم، صَوْنًا لِمَن بين أظْهُرِهم | مِن المؤمنين، كأنه قال: 55أ
كان الكَفّ ومنْع التعذيب ليُدْخِلَ اللهُ في رحمته، أي في توفيقه لزيادة الخير والطّاعة مؤمنيهم، أو ليُدْخِلَ في الإسلام مَن رغب فيه مِن مُشركيهم. قُلْتُ: ويُحتمل أنْ يُراد به ما هو أعمّ مِن كلّ واحد مِن المعنيّين، لِعُموم الرّحمة وسعته. ويؤيّده كلمةُ ﴿مَن﴾، وهي مِن الألفاظ العامّة. وقد علّق به المَشيئة[248] التي لا تُقيّد بالأسباب والعِلَل، بل يفعلُ اللهُ ما يشاء، ويحكم ما يُريد. وقد سبقت رحمتهُ غضبهُ. وقد دخل خَلْقٌ عظيم في الإسلام بتأخير العذاب عنهم؛ فإخراجهم مِن الغاية المذكورة لا تليق بحكمته الباغلة، والله أعلم. ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، أي لو تفرّقوا وتميّزَ بعضهم مِن بعض بأنْ صارَ المؤمنون فريقًا والكافرون فريقًا. وقُرِئَ

246 جاءت في الأصل [الوَطئ]، والصّواب ما ثبت أعلاه.
247 جاءت في الأصل [تطأُوهم]، والصّواب ما ثبت أعلاه.
248 المَشيئة: الإرادة. والمقصود هُنا مَشيئة الله، أي إرادته.

﴿تَزَايَلُوا﴾، والتّزايل، التّبين. رُوِيَ عن عليّ، رضي الله عنه، أنّه قال: سألتُ النّبيّ، ﷺ، عن
55ب هذه الآية: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. | قال:(همُ المشركون من أجداد نَبِيّ الله، ومَن كان بعدهم في عصرهم، ومَن كان في أصلابهم قومٌ مؤمنون؛ فلو تزيّلَ المؤمنون عن أصلاب الكافرين، لَعَذّبَ اللهُ، تعالى، الكافرين عذابًا أليمًا)[249].

قال ابنُ العربيّ[250]: فقد قال جماعة إنَّ معناهُ لو تزيّلوا عن بطون النّساء وأصلاب الرّجال. وهذا ضعيف لأنَّ مَن في صُلبٍ أو بَطنٍ لا يُوطَأ ولا تصيب منه مَعَرّة. قُلْتُ: وهذا التّضعيف ضعيف، لأنه بهلاك مَن هو في صُلبه والتي هو في بطنها، يهلك هو أيضًا. فإنْ قُلْتَ: كيفَ تلحقُ المَعَرّة؟ قُلْتُ: أمّا في نفس الأمْر، فبالأوّل أو في الظاهر، وذلك بأنَّ قَتْلَ ذوات الأجِنّة وظهور الجَنين منها عار. وقيل: هذه الآية تدُلُّ على مُراعاة الكافرين في حُرمة المؤمنين. نعم، لو تَتَرَّس[251] الكافر بالمؤمن وتعيّن أنّنا نمنع بإرسال السّهام على صُنعهم، جاز بشرط قَصْد الكافر. أمّا إذا لم
56أ يتعيّن بأنْ لم يخشَ المسلمون الهزيمة، لم يَجُزْ. والمُراد بالعذاب الأليم | المؤلِم. ووُصِفَ به مُبالغة قِتال المؤمنين للكافرين [المانع منه في هذه القضيّة عدم تَمَيُّز المؤمنين][252]. أو يُريد بالعذاب الأليم في هذه الآية النّازل من الله، تعالى، بغير القتال، فيكون المعنى: لو مَيَّزْنَا مَن قَدّرْنَا وجوده مُسلمًا من ذُريّة هؤلاء الكافرين لَعذّبنا الكافرين. لكنّا لم نُميّز ونُخرج إلى الوجود مَن كان من ذُريّتهم؛ فلمْ نُعذّبهم. ولذلك قيلَ لرسولِ اللهِ، ﷺ: هَلاَّ دعوتَ عليهم؟ فقال: (أرْجُو أنْ يأْتِيَ من أَصْلابِهِم مَنْ يقولُ لا إلهَ إلاَّ الله)[253]. ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ [الفَتْح:26]، مُقَدَّرٌ

249 أخرجهُ ابن عطيّة: المحرّر الوجيز137/5؛ والقُرطُبيّ: الجامع لأحكام القرآن332/19، حيث أوردَ: هُمُ المشركونَ من أجداد نَبِيّ اللهِ وَمَنْ كانَ بَعْدَهُم وفي عَصْرِهِم كانَ في أَصْلابِهِم قومٌ مؤمنونَ؛ فَلَو تَزَيَّلَ المؤمنونَ عَنْ أَصْلابِ الكَافِرينَ لَعَذَّبَ اللهُ، تَعَالَى الكَافِرينَ عَذَابًا أَلِيمًا.

250 هو محمّد بن عبد الله بن محمّد المعافريّ الإشبيليّ المالكيّ، أبو بكر ابن العربيّ [468-543هـ/1076-1148م]. قاضٍ، من حُفّاظ الحديث. وُلِدَ في إشبيلية ورحل إلى المشرق، حيث برع في الأدب، وبلغ رُتبة الاجتهاد في علوم الدّين. صنّف ابن العربيّ العديد من الكُتب في علوم الحديث والفقه والأصول والتّفسير والأدب والتاريخ.وُلّي قضاء إشبيلية، ومات ودُفن في بلاد فارس.من مؤلّفاته: العواصم من القواصم (ط)، وأحكام القرآن (ط)، والقَبَس في شرح موطّأ ابن أنَس (ط) وغيرها. انظر: الزّركليّ: الأعلام230/6.

251 أي التَّسَتُّر أو التَّوَقِّي. والكلمة مأخوذة من التُّرس وهو: صفحة من الفولاذ مستديرة أو بيضيّة الشكل تُحمل لوقاية الوجه والرأس من الضربات في الحروب. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ت ر س].

252 جاءت خارج النّص في جهته اليُسرى، مع إشارة لموقعها في الجُملة.

253 أخرجهُ مُسلم (1795).

بأُذُكْ أو ظرف ﴿لَعَذَّبْنَا﴾، أو ﴿صَدُّوكُمْ﴾. والثالث أبعد مِن الثاني، والثاني أقرب. والتذكّر للوقت يدخُل ضِمنًا. لا يُقال: لو كان مُتَعَلّق بـ﴿عَذَّبْنَا﴾، لكان ينبغي أنْ يقول إذ جعلوا بدل الظاهر، لأنّه لا معنى للظاهر، لأنّا نقول: لا شُبهة أنَّ المقام مقام تسجيل وإشهار لفضائحهم؛ ففي الظاهر ما ليس في المُضْمَر. وأمّا كَوْن الثالث بعيد، فَلِبُعْد المُتَعَلّق عن المُتَعَلَّق به في اللفظ. والحَمِيّةُ
56ب | تنشأُ عن أريحيّة لسبب تَذَكُّر المناقب والشّرَف العُنصريّ. أمّا الأوّل، فكَقَوْلِ الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[254][البقرة 30:2]. وأمّا الثاني، فكَقَوْلِ إبليس: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[255][ص 76:38]. فلذلك أخذ أهل مكّة ما أخذهم مِن الكِبْرِ المُوقِع في الهَلَكَةِ بسبب اختلاط نَسَبهم بِنَسَبه، ﷺ. فلمّا أعلى الله شأنه عليهم بالنُّبُوّة، حصل لهم مِن الأَنَفَة الناشئة عن جَعْلِ الجهةِ التي حصل له، ﷺ، بها التعظيم. فلذلك، قال الله، تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ [الفَتْح:26]. وأضاف ذلك الجَعْل لهم دون أنْ يقول، إذ قامت كيفيّة الحَمِيّة بقلوبهم لأنهم معهم مِن الدّلائل على تميّزه عنهم ما لو تأمّلوا بعضهُ لَمَا بقي عندهم منها شيء. فهم في قوّة دَفعها بما ذكر، فَنُزِّلَ تَرْك دَفْعِها مَنزلة جعلها في قلوبهم، وبيّن أنَّ ذلك قام بحقيقة رُوحهم، بقوله ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾. فإنَّ القلبَ المُراد به الرُّوح كما قدّمناه.

57أ ثمّ لَمَّا كانت الحَمِيّة تارة تكون محمودة كالحَمِيّة الدّينيّة، كما رُوِيَ أنّه إ، ﷺ، ما كان يغضب لِنفسه ولكن إذا انتُهِكَت حُرُمات الله. وتارة تكون مذمومة كالقيام لِهَوَى النّفس، كما قال، تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، وهي التي تخرج عن الإذعان للحقّ والانقياد للصّدق، وهي بدل مِن الأولى أو منصوبة على الذّم. وذلك أنّهم قالوا: تقتل آباءَنا وإخواننا، وتدخُل لنا في منازلنا! واللاّت والعُزَّى لا يدخلها أبدًا، فكان ما ذَكَّرُوه به يُوجب الغضب منه، ﷺ، لكنَّ الحقَّ ثبّتهُ بما أُنْزِلَ عليه مِن السّكينة، فقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، استئناف ملائم للمحَلّ، لأنّه في قوّة أنْ يُسأل: فماذا كان مِن الرسول، ﷺ، حيث كان مِن المُشركين ما كان. فبيّنَ أنَّ اللهَ أنزلَ السّكينة على رسول الله، ﷺ، وعلى المؤمنين. أي أنزلَ الثّبات والوقار، أو ثبّتَهُم على الرّضى والتّسليم، ولم يدخلْ في قلوبهم شَكٌّ ولا رَيْبٌ في خبر الرسول، ﷺ، ولا هو فيما أَرَاهُ ربّهُ
57ب | ووَعَدَهُ مِن النّصر. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، أي قَوْل، لا إله إلاّ الله، أو الشّهادة، أو بسم الله الرّحمن الرّحيم، أو الوفاء بالعهد. فإنْ قُلْتَ: الكلمةُ مُفردة وما ذكرَ ليس بمُفرد. قُلْتُ:

---

254 الآية كاملة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة 30:2].

255 الآية كاملة: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص 76:38].

معلوم أنّها تُطلَق لُغة على الجُمَل المُفيدة، كما قال رسول الله، ﷺ: أصدقُ كلمة قالها الشّاعرُ لَبِيدُ[256]:

ألاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لا مُحَالةَ زَائلُ[257]

وقال الله، تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[258] [المؤمنون 100:23]، إشارة إلى قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[259] [المؤمنون 99:23–100]. ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾، أي كان النّبيّ، ﷺ والمؤمنون أحَقَّ بكلمة التّقوى مِن غيرهم مِمَّن لم يُلزِمهم اللهُ إيّاها، كَكُفّار مكّة. فإنْ قُلْتَ: إنْ أُريدَ بكلمة التّقوى الشّهادة، فما معنى قولكم مِمَّن لم يُلزِمهم اللهُ إيّاها، كَكُفّار مكّة، مع أنَّ الله أَلْزَمَ مَن على وجه الأرض كلمة الشّهادة؟ قُلْتُ: ليس المُراد بالإلزام هُنا الأمْر، بل المُراد به التّقدير والقضاء؛ | فالمعنى: وقدّرَ وقضَى لِمَن كان مع محمّد، ﷺ، بالدّوام على الإيمان والنُّطق بالشّهادة عند الحاجة. وهذا تعليل لِما دَلَّ عليه ما قبله مِن تخصيصه بكلمة التّقوى دون غيرهم، لأنَّ الحِكمة الإلهيّة اقتضتْ تخصيص طائفة بالهداية، والأُخرى بالضّلالة؛ فكانت قابليّة المؤمنين وحقائقهم في أتمّ ما يكون مَن تلقّى ما أفاضهُ اللهُ مِن الإيمان. وكانت الكُفّار في غاية البُعد عن تَلَقِّي نور الرّحمن، كما قال، تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[260] [البقرة 74:2]. وكما قال، تعالى، مُفيدٌ أنَّ عدم قابليّتهم لِتلقّي الإيمان: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[261] [البقرة 18:2] الآية. ﴿وَأَهْلَهَا﴾ [الفَتْح:26]، معطوف على خبر كان. في القاموس: 58أ

256 هو لبيد بن ربيعَة بن مالك، أبو عقيل العامريّ. أحد الشّعراء الفرسان الأشراف في الجاهليّة وأحد أصحاب المُعلّقات، من أهل نَجْد. أدرك الإسلام، ويُعَدُّ من الصّحابة المؤلّفة قلوبهم. ترك صناعة الشّعر بعد دخوله الإسلام.تُوفّيَ عام 41هـ/661م. انظر: الزركليّ: الأعلام5/240–241.

257 أخرجهُ البُخاريّ (6147)]؛ ومُسلم (2256). والبيت هو مطلع قصيدة رثاء قالها قبل الإسلام في رثاء النعمان ابن المُنذر، وهو على وزن البَحر الطويل.

258 الآية كاملة: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون 100:23].

259 الآيتان كاملتان: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون 99:23–100].

260 الآية كاملة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة 74:2].

261 الآية كاملة: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة 18:2].

أهل لكذا استوجَبَهُ إيّاه، للواحد والجَمْع. أي كانوا مُتأهّلين لتلكَ الكلمة. فإنْ قُلْتَ: أمَا كان ذِكْرُ الأَحَقّيَّة مُغْنٍ عن ذِكْرِ الأهليّة؟ قُلْتُ: لا، لأنَّ الأَحَقّيَّةَ ليست بِلازمٍ للأهليّة. فإنَّ الشّخص يستحقُّ وصفًا مِن الأوصاف باعتبار عملٍ أتى به، فَيُعرَض ذلك العمل استحقّ ذلك الوَصف
58ب | لا مِن ذاته، فأفادَ اللهُ بقولهِ ﴿وَأَهْلَهَا﴾. إنّهم بالذّات أيضًا استوجبوا التأهيل للإيمان، ولذلك أَخَّرَهُ عن سابقه، إذ هو يرجع لِما بالذّات. والأوّل لِما بالعَرض، ولتقدير الحقّ في مَحَلّه، واختيار الراجح على المَرجوح. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾. قال العلاّمة البيضاويّ، رضي الله عنه: فيعلمُ أهل كلّ شيء ويسّره له، انتهى. ومنه قوله، ﷺ: (كلٌّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لهُ)[262]؛ فيعلمُ، تعالى، كُنْهَ الحقائق ويُظْهِرُ على كلّ ذات ما يُناسب حقيقتها، ويُعطيها ما يُناسق قابايّتها. ومنه قوله، تعالى، في الحديث القُدسيّ: (هذهِ لِلجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وهذهِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي)[263].

ثمّ لمّا ذكرَ اللهُ إنزال السّكينة على رسوله، آثر بيان ما كان مِن حَمِيّة الجاهليّة وثوران عُصْبَة الكُفْر، وأنّه أَلْزَمَ المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾، بيّن، تعالى، أنَّ ما أظهرهُ لرسوله، ﷺ، في عالَم النّوم هو الصِّدْقُ الذي لا خُلْفَ فيه، ليكون ذلك مُذَكِّرًا للمؤمنين، ورادًّا على العُصاة مِن المُنافقين،
59أ | فقال، تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الفَتْح:27]، لِيُعْلِمَ أنَّ الله، تعالى، قَسَّمَ حالَ العبدِ في الدّنيا إلى حَالَيْن: يقظة ونوم. وهو في الحَالَيْن بين أَمْرَيْن: إمّا صحيح، وإمّا سَقيم. فالصحّة لها رؤيا تُناسبها، والسَّقَمُ له رؤيا تُناسبه. ورؤيا الصّحيح تختلف باختلاف الأوقات التي تُرَى فيها تلك الرؤيا، والحالة التي يكون عليها الرَّائي[264]؛ فمتى كان الإنسانُ صحيحًا ورأى رُؤيا وقصّها وعُبِرَتْ، وقَعَتْ، لقوله ﷺ: (المنامُ على جَناح طائرٍ إذا قَصَّ وَقَعَ)[265]. وأمّا السّقيم، فينظر إلى عِلّته وسببها، فإنْ كان سببها الدَّم، يرى مَن غلبَ على طبعه الألوان الحُمْر والملاهي والخَمْر والأغذية الحلوة. ومَن كان الغالبُ على مزاجه الصّفراء، فكثيرًا ما يرى الصّواعق والمُعصفرات[266]. ومَن كان الغالب عليه البَلْغَم، فكثيرًا ما يرى البِحار والأمطار والأهوال. ومَن كان الغالب عليه السّوداء، فكثيرًا ما يرى الظُّلُمات والسّواد والمخاوف. والحرارةُ يرى صاحبُها الشّموس والنّار.

---

262 أخرجهُ البُخاريّ (7551).

263 الهَيْثَميّ: مجمع الزّوائد189/7.

264 جاءت في الأصل [الرَّاى]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

265 أخرجهُ أبو داود (5020) مُختصراً، والتِّرْمِذيّ (2278) باختلاف يسير. وفي رواية أُخرى: رؤيا المؤمن جزءٌ مِنْ أربعينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوّة، وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طائرٍ، ما لم يُحَدِّثْ بِها، فإذا تَحَدَّثَ بِها سَقَطَتْ، ولا تُحَدِّثْ بها إلَّا لبيبًا، أوْ حبيبًا.

266 عُصْفُرُ: نَبْتٌ يُهَيِّئُ اللَّحْمَ الغليظَ، وبَزْرُهُ: القُرْطُمُ. عصْفَر الثَّوبَ وغيرَه: صبغه بالعُصْفُرِ وهو نبات يُستخرج منه صبغ أصفر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ع ص ف ر].

59ب | وأمّا اليَبُوسة، فيرى تمزيق الثياب ونَتْفِ الشَّعَر. ومَن غلب عليه الامتلاء، فإنّه يرى كأنّه يحملُ ما لا يطيق. ومَن غلبت عليه العُفُونة، فأكثر ما يَرَى الأشياءَ المُتَغَيِّرةَ الرّائحة. وهذه الأقسام جميعًا أضغاثُ أحلام[267]، لأنّها نشأت عن عدم اعتدال الطبيْعَة. والمُعتدِل هو الصحيح. وأمّا اختلافها باختلاف الأوقات، فَمِن جهة صِدْق الرؤيا، وذلك أنَّ آخر الليل يصفو فيه الدّم، فيرى الأشياء على ما رسمَ له مَلَكُ الرؤيا. ولذلك قال رسول الله، ﷺ: (أَصْدَقُ الرُّؤْيَا بِالأَسْحَارِ)[268]. وقال: (أَصْدَقُ الرُّؤْيَا مَا كَانَ بِالنَّهَارِ)[269]. مُعلّلاً ذلك بأنَّ الله خصّه بالوحي بالنّهار، وهي مِن قسمه، لأنّه ورد أنَّ رؤيا الأنبياء وحي، ولقوله، ﷺ: (ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ المُبَشِّرات)[270]. الرؤيا الصّالحة يراها الرّجل الصّالح وتُرى له، وهذه اختلافها باختلاف الأوقات.

وأصلُ الرؤيا قال فيه نَبِيُّ الله دانيال[271]: (الأرواحُ يُعْرَجُ بها إلى السّماء حتى يُوقَفُ بها بين
60أ يَدَي رَبُّ العِزَّةِ |، فَيُؤْذَنُ لها بالسّجود. فما كان طاهراً سجد تحت العرش وسلى[272] في منامه. وما كان غير طاهر، سجد قاصيًا)[273]. فلذلك يُسْتَحَبُّ للرَّجلِ أن لا ينام إلاّ على طهارة. وقال مُعبّرو[274] المسلمين: الرؤيا يراها الإنسان بالرّوح ويفهمها بالقلب. ومُستَقَرُّ الرّوح في تقطّعات الدّم في القلب، أي مُسْتَنْفِر تعلّقاته ومُسْتَقِر العقل في دُسومة الدّماغ. والعقلُ والرّوحُ مُتعلّقان بالنّفس، فما دام الإنسان حيًّا امْتَدَّ روحهُ مثل السّراج، فيرى بنوره، وقضَى اللهُ ما يُريه مَلَكُ الرؤيا. وذهابهُ ورجوعهُ مثل الشّمس إذا غطّاها السّحاب وانكشفَ عنها. فإذا عادت للحواسِ

---

267 أي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها، فهي أحلام مُختلطة لا تأويل لها. وأضغاث: أي أخلاط. والمُفرّد: ضِغث. وقد ورد ذلك في قوله، تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف 44:12]؛ ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء 5:21].

268 أخرجه التّرمذيّ (2274)؛ وأحمد (11258)؛ والدّارميّ(2146).

269 أخرجهُ الدَّارَقُطْنِيّ: أطراف الغرائب والأفراد330/1.

270 أخرجهُ ابن ماجه (3896)؛ وأحمد (27185).

271 هو أحد أنبياء بني إسرائيل. كان ممّن تمَّ أسرهم ونقلهم إلى العراق سنة 605 ق.م من بيت المقدس، حيث تمَّ تدميرها في زمن نبوخذ نصّر[627–560ق.م]. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية40/2–42.

272 أي أمِنَ واطْمأَنَّ في منامه.

273 أخرجهُ البَيْهَقِيّ: شُعَب الإيمان1068/3.

274 جاءت في الأصل [معبروا]، والصواب ما ثبت أعلاه لسلامة اللغة. ومعنى مُعَبِّرو المسلمين: أي مُفَسِّرو الرؤيا للمسلمين والمُخبِرون بآخِرِ ما يَؤُولُ إليه أمْرُها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [ع ب ر].

بالاستيقاظ تُذكّرُ الرّوح ما أراهُ مَلَك الرؤيا، وما خُيّلَ لها كرؤية العَيْن. وَرَدَ في السُّنّة: (الملوك المُوَكّلون بالرؤيا صِدّيقون، ومِن شحمة أُذُنِ الواحد إلى مَنْكِبَيْه مَسيرة سبعمائة عام. فيُريهم بقضاءِ اللهِ، علمَ غيبِهِ في اللوحِ المحفوظِ ما هو كائنٌ مِن خيرٍ وشرٍّ، لا يشتبهُ عليه شيءٌ مِن ذلك).
60ب | ومَثَلُ ذلك المَلَك، كَمَثَلِ الشّمس إذا وقع ضُوءُها[275] على شيءٍ أبصرَ ذلك الشيءُ به. وكذلك يُعرّفُكَ هذا المَلَكُ [بقضاءِ][276] [اللهِ][277]، كلَّ شيءٍ، ويُبشّرُكَ ويُحذّرُكَ.

ثمّ إنَّ المَلَكُ يُقدّم رؤيا الشّر ويؤخّر رؤيا الخير. قُلتُ: وفائدةُ ذلك أنّه إذا رأى الشّرَ استعاذَ منه، وربّما دفعهُ بصَدَقَة. وإذا لم يندفع، يكونُ ملطوفًا به فيه. وتأخير رؤيا الخير لأنّه إذا خَبَّرَ بها فرحَ، وإنْ تأخّرت، فإنّه ينتظر لها على حدّ قول القائل[278]: عِدِيني بِوَصْلٍ وَامْطُلِي بِنَجَازِهِ[279]. هذا بعض مِن أقسام الرؤيا. ويُؤخَذُ منه التّعبير، فما نحن بِصَدَدِه مِن رؤياه، ﷺ، ورؤيا سائر الأنبياء، يُحتَمَلُ أنّها بِوَحْيٍ مِن المَلَك الذي يضربُ الأمثال. ويُحتَمَلُ أنّه غيرهُ مِن الملائكة. وأيًّا ما كان، فليست رؤيا الأنبياء كغيرهم، فالانكشاف لَهُم أقوى لسلامة طبائعهم، وهي أمْرٌ لهم من الله.
61أ ولذلك كان مِن الخليل ما كان. ولَمّا رأى رسول الله، ﷺ، أنّه دخلَ مكّة | وطاف بالبيت، وأنّه سَعَى وقَصّرَ، توجّهَ، ﷺ، بأصحابه إلى مكّة، فكان ما كان. وأنزل اللهُ عليه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفَتْح:27]، وتأخير تأويلها لقابل امتحانًا للمؤمنين كما قدّمنا. واللام في ﴿لَقَدْ﴾ مُوَطّئة للقَسَم مؤكدة لمضمون جُملة ﴿صَدَقَ﴾، التّقدير: والله لقد صَدَقَ. لكن يُفْهَمُ مِن كلام بعض المُحقّقين أنَّ اللام المُوَطّئة تختصُّ بما إذا كان المُقسَم عليه جواب شرط مُستقبَل. وقيل: ذلك الشّرط قَسَم، نحو قولك: والله إنْ أتيتني لآتينَّكَ. وتُسمّى مُوَطّئة، أي مُمهّدة ومُعيّنة.

---

275 جاءت في الأصل [ضوُها].

276 جاءت في الأصل مُشَوَّشَةٌ جدًا ولا يمكن قراءتها. وقياسًا على ما ذكرهُ المُفَسّرُ في الحديث النَّبَويّ الذي استشهد به في الجُملة التي سبقت هذه الكلمة، ولضرورة تناسب السّياق قدَّرْتُ ما ثبت أعلاه بأنها الأنسب للسّياق.

277 جاءت في الأصل فوق السّطر مع إشارة لموقعها في الجملة.

278 هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ البِلَنْسيّ، أبو عبد الله، المعروف بابن الأبّار [595–658هـ/1199–1260م]. مؤرخ وشاعر أندلسي وُلِدَ في بِلَنْسيَة بالأندلس لأسرة ذات نفوذ مِن قرية أُوندا. قتلهُ الخليفة المُستَنصِر لازدراءه له في مجالسه. لقب بإبن الأبّار لأن والده إشتغل بصناعة وبيع الإبَر، وكان والده بجانب ذلك من شعراء وفقهاء بِلَنْسيَة البارزين. مِن كتبه: التّكملة لكتاب الصِّلة (ط)، والمُعجم (ط)، الحُلّة السيراء(ط)، إعتاب الكتّاب (ط) وغيرها. انظر: الزّرِكْليّ: الأعلام233/6.

279 البيتُ كاملاً، وهو على وزن البحر الطويل:
عِدِيني بِوَصْلٍ وَامْطُلِي بِنَجَازِهِ فَعِنْدِي إِذا صَحَّ الهَوَى حَسُنَ المَطْل

والصّدق بالكَسرة والفَتْح ضدَّ الكذب. أو بالفَتْح مَصدر وبالكَسْر اسم. يُقالُ: صَدَقَ في الحديث. وصَدَقَ فُلانًا الحديث. والرؤيا، مصدرٌ كالبُشرى. إلاّ أنّه لمّا صار اسمًا للمُتخيّل في المنام، جرى مَجْرَى الأسماء. وقال صاحب الكَشّاف[280]: الرؤيا، بمعنى الرُّؤية، إلاّ أنّها مُختَصّة بما
61ب كان منها في المنام دون اليقظة؛ فلا جَرَم فُرِّق | بينهما بِحَرْفَيْ التأنيث. وبالحقّ يجوز أنْ يكون حالاً مِن الرؤيا. أي صَدّقَ الرؤيا مُلْتبِسَة بالحقّ على معنى أنّها لم تكن أضغاث أحلام. والحقُّ ضِدَّ الباطل، والأضغاثُ باطلٌ لا وجود لها، بل مُجرّد وَهْم، وأنْ يكون صِفة مصدر محذوف، وأنْ يكون قَسَمًا بٱسم الله، تعالى، أو بنقيض الباطل، وجوابه ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفَتْح:27]، وعلى الأوّلَين جواب قَسَم محذوف.

ثمّ أخذ الله يُعلِّمُ عبادهُ أنّهم لا يجزمون في أمْرٍ إلاّ بمشيئة تبعيدًا عن أمْنِ المكرِ ما أمكن، فقال، تعالى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، جُملة شرطيّة إنشائية مُتعلّقة بقوله ﴿صَدَقَ﴾، مفيدة مضمونها جوابها محذوف لدلالة الجُملة الأولى عليه. ومِن هُنا، أي مِن جِهة أنّها تُفيد معنى الجُملة السّابقة، استدلَّ بعضهم على جواز تعليق الإيمان بالمشيئة لِظهور أنّه لو اعتبِر المُعلّق في المُستقبَل لها، ضاع الاستدلال؛ فإنّه مِن المعلوم أنّه لا يعلمُ المُستقبَل إلاّ الله، وما الكلام إلاّ في الماضي. والحالُ
62أ والجُملةُ | السّابقة، أنت خبير، بأنّها بصيغة الماضي. لكنْ لنا أنْ نقول: الصيغة السّابقة، وإنْ كانت بصورة الماضي، إلاّ أنّها مُرادٌ بها الوعد بحصول شيء مُستقبَل، وإنّما عَدَلَ عن المضارع لِمَا قدّمناهُ مِن إرادة تُحقّق الوُقوع. لكنْ يُؤخذ مِن هذا أنَّ قِران المشيئة لأمْرٍ[281] بالحَتْم اللازم، أمرٌ شائعٌ، وإنْ صَرّحنَا بأنَّ المُراد بِما حكَى بالماضي الاستقبال، لأنَّ في وضْع الماضي مَوضِع المُضارع الإيذان بتحقّق الوقوع، كيف وقد اقترن بالتأكيد بالقَسَم في ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾؟ وما يُفهَم أيضًا مِن معنى الصّدق على أنَّ أدوات الشّك منه، تعالى، ليست على بابها، بل هو لِمَحْض القطع، فإنَّ جناب علمه الإلاهيّ مُحال عليه أنْ يقبل الشّك. ومنه قول إمامنا الشّافعيّ، رضي الله عنه: أنا مؤمنٌ، إنْ شاء اللهُ. فإنّهُ حين قوله: أنا مؤمنٌ، لو كان شاكًّا ما كان مؤمنًا، بل هو عند قَوْلِها قاطعٌ بالإيمان.

62ب ومِمّا قدّمناهُ عُلِم، أنَّ اقتران القَطْع بالمشيئة لا يقتضي الشّك | أصلاً. ومِن هُنا قال الدَّوْيَانيّ[282]: اختلف أصحابُنا في قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، هل هو استثناء يمنع مِن انعقاد اليمين أوّلاً وظاهر

---

280 هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزميّ الزَّمَخْشَرِيّ، جار الله، أبو القاسم [467–538 هـ /1075–1144 م]. وقد جاء ذِكرُهُ في هوامش هذا الكتاب آنفًا.

281 جاءت مكتوبة فوق السّطر مع إشارة إلى موقعها في الجملة.

282 هو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن الحسين بن إبراهيم ابن محمد بن علي الدَّوْيَانيّ. انظر: السَّرْخَسِيّ: المبسوط في الفِقه الحنفيّ (كتاب الصّلاة) 365/1.

المذهب أنّه استثناء؟ وجزمَ الرافعيّ[283] به في كتاب الطّلاق. وقال إمام الحَرَمَيْن[284]: لا يبعدُ عن اللغة تسمية كلّ تعليق استثناء. وإذا قُلنا بأنّه استثناء، فهل هو حقيقة أو مجاز؟ وصرّح بأنّه مجاز فقال: سَمّاهُ أئمّتُنا استثناء تجوّزًا إلى أنْ قال: لكنْ سَمّاهُ النّبيُّ استثناءً تجوّزًا فقال: مَن أعتقَ أو طلّقَ، ثمّ استثنى، فلهُ، وهو عامٌّ في قوله ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

قال الأستاذ الأعظم، الوالد، رضي الله عنه. قُلتُ: وأنتَ خبير بأنّ النّبيّ، ﷺ، ليس في كلامه الشّريف هذا تَعَرُّضٌ لتسمية ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء ألبتّة، فعجيب مِن الإمام قولهُ: لكن إلى آخره، ودعوى أنّ كلامهُ الشّريف يتناول ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ على تسميتها استثناء في محلّ النّزاع، فليُتأمّل، انتهى. قُلْتُ: وأيًّا ما كان، فقد اختلف العُلماءُ، رضي الله عنهم، في قول القائل: أنا | مؤمن إن شاء الله، فمنهم مِن قال بعدم الجواز، ونقل ذلك عن الإمام الأعظم أبي 63أ
حنيفة[285]، رضي الله عنه، وجماعة. وعلّلوهُ بأنّهُ شَكٌّ، والشّكُّ في الإيمان كُفْرٌ. ومنهم مَن قال بالوجوب، وحَرَّرَ ذلك السّعد، رضي الله عنه، نظرًا إلى المُوافاة عند الخاتمة، وهي مجهولة. قُلْتُ: هذا مِن قسم المُستقبَل وليس الكلام فيه. ومنهم مِن قال بالجواز، وهو قول أكثر السّلف، رضي الله عنهم.

---

283 هو عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرّافعيّ القزوينيّ [557–623هـ/1162–1226م]. أحد فقهاء الشّافعيّة الكبار، وكان له مجلس في قزوين للتّفسير والحديث، حيث عاش هناك حتى وفاته. له العديد من المؤلّفات منها: سواد العَيْنَيْن (ط) في مناقب أحمد الرّافعيّ، وفتح العزيز في شرح الوجيز للغزاليّ (ط)، وشرح مُسنَد الشّافعيّ (ط) وغيرها. انظر: الزّركليّ: الأعلام4/55.

284 هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمّد الجُوَيْنِيّ، أبو المعالي، رُكن الدين، المُلَقّب بإمام الحَرَمَيْن [419–478هـ/1028–1085م]. وُلِدَ في جُوَيْن من قضاء نَيسابور وسافر إلى بغداد، فمكّة حيث جاور البيت الحرام أربع سنوات، ثمّ إلى المدينة المُنَوَّرَة، ثمّ عاد إلى نَيسابور. له مُصَنّفات كثيرة منها: العقيدة النظاميّة في الأركان الإسلاميّة (ط)، والإرشاد في أصول الدين (ط)، ومُغيث الخلْق (ط) وغيرها. انظر: الزّركليّ: الأعلام4/160.

285 هو النّعمان بن ثابت، التّيميّ بالولاء، الكوفيّ، أبو حنيفة [80–150هـ/699–767م]. إمام الحنفيّة، الفقيه المجتهد المُحقّق، أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السّنّة. أصله من فارس، وُلِدَ ونشأ في الكوفة. له مُصنّفات منها: مُسند في الحديث (ط)، الفِقه الأكبر (ط)، والمخارج (خ). كُتبت عنه الكثير من الكُتب والأبحاث العِلميّة. انظر: ابن كثير: البداية والنّهاية 10/107–108؛ الزّركليّ: الأعلام 8/36.

وحُكِيَ عن عمر وابن مسعود[286]، رضي الله عنهما، وعليه الشّافعيّ ومالك[287] وأحمد وسفيان والثّوريّ[288] وأهل الحديث، وقال بِما قال به أصحابُنا: الإمام أبو منصور الماتُريديّ[289] مِن الحنفيّة. والكُلُّ مُتَّفِقُون، كما سبقت الإشارة إليه، على أنَّ هذه الأداة ليس الإتيان بها للشّكّ والتردّدِ في الماضي[290] ولا في الحال، ولا في الاستقبال. وذكروا لها محامل مِن أحسنها، رجاء دوام ذلك الى
63ب الخاتمة، وليس هذا | مِمَّا يقدحُ في تصحيح إيمان العبد، ولا في وَسْمِه به، بل كأنّه يقول: لا أدري ما يُرادُ بي بعد، فجعل ذلك وسيلة إلى رجاء السّلامة مِن المَكْرِ به ما أمكنَ، مع تصميمه على بقائه على الإيمان. فعُلِمَ أنَّ مُراد مَن مَنَعَ إذا فهمَ الشّك، ومُراد مِن أجَازَ إذا أراد التّبرُّك. وتُرجى المُوافاة مع التصميم. فالحلْفُ لفظيّ، إذ مِن المعلوم أنّها بجوهرها لا تدُلُّ على الشّك، وإنّما هو مِن مدلولاتها؛ فَمَنَعَ الإمامُ الأعظم لِمَن أراد بها الشّكَ. والمُدَّعَى هُنا الإتيان بها مع اليقين الجازم. هذا ما يظهرُ لي في هذا المقام الذي طال ما اصطكّتْ فيه الأقلام، والله المرجو لِحُسْنِ الخِتام.

وقوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، حال مِن فاعل ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾. والمعنى: آمنين مِن العدو ومِن العذاب يوم القيامة، أو مِن كلّ ما يُخاف. وهو أوْلى لِحَذْفِ المعمول. فكأنّهُ جعل الجزاء على الصّبر على بعض المخاوف إلاّ مِن الكُلّيّ، وهو معنى حَسَنٌ. وقوله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾، حالان

---

286 هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذلي، أَبو عبد الرحمن [ت32هـ/653م]. من أَجِلاّء صحابة رسول الله عليه السّلام، وأَكابرهم فضلًا وعقلًا وقُربًا من النّبيّ عليه السّلام، وخادمه. له 848 حديثًا نبويًّا. انظر: البلخيّ: البدْء والتأريخ 2/159–160؛ الزِّرِكلِيّ: الأَعلام4/137.

287 هو مالك بن أَنَس بن مالك الأصمعيّ الحِمْيَريّ، أبو عبد الله [93–179هـ/712–795م]. إمام دار الهجرة، وأحد الأَئمّة الأربعة عند أهل السُّنة، وإليه يُنْسَب المذهب المالكيّ. مولده ووفاته في المدينة المُنَوَّرَة. مِن أشهر مُصَنّفاته: كتاب الموَطّأ (ط)، وكتاب الوَعْظ (ط)، وتفسير غريب القرآن. انظر: الزِّرِكلِيّ: الأعلام5/257–258؛ الحنبليّ: شذرات الذهب1/289–290؛ الذهبيّ: سِيَر أعلام النُّبلاء، 3154–3166.

288 هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثّوريّ، مِن بني ثور بن عباد مناة، مِن مُضَر، أبو عبد الله [97–161هـ/716–778م]. أحد أعلام الحُفّاظ وأمير المؤمنين في الحديث. وُلِدَ ونشأ في الكوفة، وسكن كذلك في مكّة والمدينة، وكان وفاته في البصرة. مِن أشهر كُتُبه في الحديث: الجامع الكبير، والجامع الصغير. انظر: الزِّرِكلِيّ: الأَعلام3/104–105؛ الحَنبلِيّ: تذكرة الحُفّاظ،107.

289 هو محمّد بن محمّد بن محمود، أبو منصور الماتُريديّ. نسبته إلى مَاتُرِيد محلّة بِسَمَرْقَند، مُتكلم أصولي. وُلِدَ في سَمَرْقَند ، ولم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته، ولكنه من علماء القرن الرابع الهجري. مِن أشهر كُتبه: كتاب التّوحيد، وأوهام المُعتزلة، والرّد على القرامطة. مات في سَمَرْقَند عام 312 هـ/944م. انظر: الزِّرِكلِيّ: الأَعلام7/19.

290 جاءت بعدها كلمة [والحال] مشطوبة.

64أ آخران مِن الضمير | المُتقدّم. فهي أحوال مُترادفة، إلاّ أنّهما حالان مُنتظران كما في قوله، تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[291] [الزُّمَر 73:39]، أو على التّوسعة في زمان الحال بأنْ يشمل ما هو قريبٌ منه. والمُراد مُحَلِّقٍ بعض ومُقَصِّر بعض. والحَلْقُ أفضلُ مِن التقصير. عن ابن عُمَر[292]، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله، ﷺ: (رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقينَ. قال: والمُقَصِّرين [يا رسول الله؟ قال: رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقينَ والمُقَصِّرين][293])[294]. وأحدهما عندنا رُكْنٌ، وعند الحنفيّة واجبٌ لأنّهُ أخبرَ بأنّهم يدخلون مُحَلِّقين ومُقَصِّرين؛ فلا بُدَّ مِن الوُجُوب ليكون حاملاً ليوجَد المُخبر به. وهذا التأويل ظنّيٌّ؛ فليس بقطعيّ. فَعُلِمَ أنّهُ واجبٌ عندهم فقط.

ثمّ أكّدَ اللهُ الأمنَ السّابقَ بقوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾، فهي حال مؤكّدة أو استئناف. والأوّل يُحتَمَل أنْ يكون حالاً مِن الضمير؛ فتكونُ أحوالاً مُترادفة، أو مِن ضمير مُحَلِّقين ومُقَصِّرين؛ 64ب فتكون مِن الأحوال المُتداخِلة. وفي ذِكْرِ الحَلْقِ | والتّقصير، إشارة إلى التوفيق لأداء المناسك مِن أوّلها إلى آخِرها. أمّا في العُمرة فظاهرٌ، وأمّا في الحَجّ؛ فالحَلْقُ إنّما يقع بعد مُعظم الأركان. ويأمَنُ بعد ذلك فَوْتَ الحَجّ في ذلك العام لِسعَة وقت الطّواف، وفي إزالة الشَّعَر بالحَلْق أو التّقصير إلى مَحْوِ الذنوب وتطهير الباطن والظاهر، والفَوْز باستغراق القلب في مُشاهدة امتثال أمر الرَّبّ. وهذا هو المَقْصَدُ الأعظم، والغَيْضُ الغَطَمْطَم[295]. فالمُراد: لا تخافون بعد الحَلْقِ مِن عذاب الله، كما قال، تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس 10: 62].

---

291 الآية كاملة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزُّمَر 73:39].

292 هو عبد الله بن عمر بن الخطّاب العَدَويّ، أبو عبد الرحمن [10ق.هـ-73هـ/613-692م]. صحابيّ جليل مِن أعزّ بيوتات قُريش في الجاهليّة. كان يُكنّى بأبي عبد الرحمن، وأمّه هي زينب بنت مظعون، وُلِد عبد الله بعد بعثة النّبيّ بعامَيْن، وقد أسلم صغيراً مع والده عمر - رضي الله عنهما - في مكّة التي وُلِدَ ومات فيها، وشاهد فتحها. هاجر معه وعمره عشر سنين، وقيل: إنّهُ هاجر قبل والده. روى عن النبيّ، عليه السّلام،2630 حديثًا، وقيل:2210 حديثًا. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام4/108؛ الحَنبليّ: تذكرة الحُفّاظ،133؛ ابن الأثير: أُسد الغابة3/336.

293 ما بين المعقوفَتَيْن جاء في الأصل مُكَرَّرًا مَرّتَيْن سهوًا مِن المُفسِر.

294 أخرجهُ البُخاريّ (1727).

295 الغَطَمْطَم: البحر العظيم الكثير الماء. كثير الالتطام إذا تلاطمت أمواجُهُ. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [غ ط م].

فإنْ قُلْتَ: هذا وعدٌ صادقٌ بأَمْنِهم وعدم خَوْفِهم، فهل مع هذا الوعد يجبُ عليهم الخَوف لئلاَّ يدخلوا في قوله، تعالى:﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[296] [الأعراف 99:7]. قُلْتُ: نعم، إذ المُراد البشارة بأَنَّ لهم الأمن من عند الله. ولا يلزم من ذلك عَدَم الخَوف خشيةً من أنْ تكون مُعلّقة على شيء، كما قيل لِعُمَر، رضي الله عنه: ما هذه الخشية والرسولُ قطعَ لك
65أ بالجنّة؟ قال: أخشى | أنْ يكون مُعلّقًا. وكما في قوله، تعالى، للملائكة وهم في غاية الخَوف[297]: ما هذا وقد عَصَمْتُكُم؟ قالوا: لا نأمنُ مَكرك. قال: هكذا فكونوا. فَعُلِم أنّه لا تلازم بين التأمين وعَدَمِه والخَوف، لِمَا ذكرنا. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ [الفَتْح:27]، أي عَلِمَ اللهُ ما لم تعلّم المؤمنون من الحِكَم البالغة في تأخير دخول المسجد الحَرام، وفَتْح مكّة إلى غير ذلك. قال العلاّمة الزَّمَخْشَرِيّ: من الحِكمة والصّواب في تأخير فَتْح مكّة إلى العام القابل. وأوردَ عليه أنّه لم يكُنْ فَتْح مكّة العام القابل، إنّما كان بعد ذلك بأكثر من عام، لأنَّ مكّة فُتِحَتْ سنة ثمان من الهِجرة[298]. وكان خروجهُ من المدينة عام الحُدَيْبِيَة سنة ستّ من الهِجرة[299]. رُوِيَ أنّه، ﷺ، لمّا رجع مَضَى إلى خَيْبَر، وأخذَ من العُدّة والقوّة أضعاف ما كان فيه من ذلك العام، وأقبل إلى مكّة على هيئةٍ وقوّةٍ وعِزّةٍ بأضعاف ذلك. وقيل: عَلِمَ أنَّ بمكّة رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات. والأظهر أنّه من جُملة
65ب ما يدخل في قوله، تعالى: | ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ لا أنّه المُراد فقط. فإنْ قُلْتَ: أصلُ الفاء تدلّ على الترتيب الزمانيّ[300]، فَهَلْ هُنا كذلك أم لا؟ قُلْتُ: ليست للترتيب الزمانيّ، بل هي للترتيب الذِّكْرِيّ، كما في قوله، تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[301] [الزُّمَر 74:39].

ثمّ لَمّا أشار الله، تعالى، إلى الحِكمة المعلومة من القرينة المقاميّة في قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ﴾ [الفَتْح:27]، لأنَّ العُدول عن تصديقه بالفعل إلى القول يتضمّن أنَّ التأخير لِحِكْمَةٍ يُشارُ إليها بقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾، الذي من جُملة قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، فإنّه تعالى، لَمّا ذكرَ أنَّ له في تأخير مُوجِب الرؤيا حِكمة تَتَرَقّبُ، وأزمانُ عناية من رسوله تتقرّبُ

---

296 الآية كاملة: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف 99:7].

297 جاءت بعدها كلمة[منه]مشطوبة.

298 [8هـ/629م].

299 [7هـ/628م].

300 جاءت بعدها جُملة [بل هي للترتيب الذكري]، مشطوبة.

301 الآية كاملة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزُّمَر 74:39].

ناسات، يذكر بعد ذلك ما يَسْتَرِوحُ[302] إليه المؤمنون ليكون ذلك مُسلّيًا إلى حصول المَرام. وقال في القاموس دُونَ بالضّمِّ نقيض فوق، ويكون ظرفًا بمعنى أمام ووراء وفوق، وبمعنى غير. ومن
66أ الأخير (ليسَ فيما دُون خمس أَوَاق صَدَقَة)[303]. أي في غير خمس أواق، | انتهى. وهُنا مُستعمل بمعنى أمام ووراء. فعلى الأوّل مِن قبل دخولكم المسجد أو فَتْح مكّة، واختار هذا الإمام البيضاويّ. والثاني مِن بعد رؤيا رسول الله، ﷺ. والمُراد مِن الفَتْح القريب، خَيْبَر. وقيل: فَتْح مكّة. وقيل: صُلْحُ الحُدَيْبِيَة. وتقدّم توجيه تسميتِه فتحًا. وأيضًا سبب ذلك الصُّلح، وقعت الخُلْطَةُ والمُناظرةُ بين المُسلمين والكُفّار حتى دخل في الإسلام بسبب ذلك مثل مَن آمَن. قيل: أو أكثر. يدُلُّ على ذلك أنّهم كانوا عام الحُدَيْبِيَة ألفًا وأربعمائة، وكانوا في سنة ثمان، عشرة آلاف. واعْلَمْ أنَّ لفظ ﴿جَعَلَ﴾ مِن الأفعال العامّة، يجيء على ثلاثة أوجهٍ بمعنى: صارَ وطَفِقَ، فلا يتعدّى، وبمعنى أَوْجَدَ، فيتعدَّى لمفعول واحد، كَقَوْلِه، تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[304] [الأنعام 1:6]. وبمعنى صَيَّرَ، فيتعدَّى إلى مفعولَيْن. والظاهر أنّه هُنا بمعنى الأخير،
66ب ومفعوله الأوّل فَتْحًا والثاني الظّرف، تقدّم لأجلِ خَتْمِ الكلام بقوله: | ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

ثمّ أخذَ اللهُ يستظهر على تحقيق حصول ذلك الوعد بأنّه المُرسِلُ لذلك الرسول، اللازم منهُ نُصرته له ولأتباعه. فإنَّ مُخالفة الرسول فيما أُرسِلَ به مُخالَفَة لِمُرسِله، فقال، تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ [الفَتْح:28]. ففيه تحقيق لِما وعد به غير خافٍ، وأنَّ هذا الرسول لا يحتاج إلى شهادة أحد، فإنّهُ شهدَ برسالته الأحَدُ، كما في قوله، تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ﴾[305] [النّساء 166:4]. ثمّ عبَّرَ عن الذّات المُقدَّس بالضمير جريًا على الظاهر، مُخبِرًا عنه بالموصول، إشارة إلى أنّه المُوصِل لرسوله جميع المآرب[306] المُبلِّـغ له ما يُريد مِن المطالب مع ما في مرجع

---

302 أي يَسْكُنُ وَيَطْمَئِنُّ.

303 حديث نَبَوِيّ. والحديث كاملاً: ليسَ فيما دُونَ خَمْسِ أواقٍ صَدَقَةٌ، وليسَ فِيما دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ، وليسَ فِيما دُونَ خَمْسِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ. أخرجه البُخاريّ (6216). وأَوَاقٍ: جمعُ أُوقِيّة. والأُوقِيَّةُ: أربعونَ درهمًا. والذَّودُ هو أَوَّلُ اسمٍ جَماعاتِ الإبلِ وهو ما بيْنَ الثَّلاثِ إلى العَشرِ. والوَسْقُ: ستُّونَ صاعًا (653 كيلو غرام تقريبًا). فهذا الحَديثُ أصلٌ في بيانِ مَقاديرِ أَنصِبةِ الأموالِ الَّتي تجبُ فيها الزَّكاةُ.

304 الآية كاملة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام 1:6].

305 الآية كاملة: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النّساء 166:4].

306 جاءت في الأصل [المارب]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

الضّمير مِن التّهويل الظاهر مِن الصِّلة. والمُراد برسوله، هو محمّد، ﷺ؛ فالإضافة عهديّة. ثمّ بيّن ما يُلْبَسُ به، فقال: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾، أي مُلتبِسًا به أو بسببه أو لأجله. فعلى الأوّل ظرف مُستقر حال
67أ مِن رسوله، وتَلبُّسُه به باعتبار أنَّ الدلالة على ما يُوصِل إلى الحقّ، وَصْفٌ قائمٌ به |. وعلى الثاني والثالث ظرف لَغو مُتعلّق بأرسل. والتاء للسّببيّة، لكن على وَجْهَيْن: أحدهُما، أنَّ مدخول الباء باعتبار وجوده في الخارج علّة لِمَا قبلها، وهو المعنى الثاني؛ فإنَّ الهداية مِن صفات الله، تعالى، لأنه الهادي. فوجودهُ في نفس الأمْر اقتضى إرسال الرسول.

فإنْ قُلْتَ: الهدايةُ مِن الصّفات الفعليّة وتحقّقها مع تحقيق الاهتداء والاقتداء بعد الرسالة؛ فكيف يُتصَوَّرُ تقدّمه على الإرسال؟ فالجواب مِن وَجْهَيْن: أحدُهما، أنَّ الحادث المقرون بالاهتداء إنَّما هو التّعلّق. وأمّا نفس الهداية القائمة بذات القديم، فهي قديمة. وثانيهما، أنَّ مدخول الباء باعتبار وجوده العلميّ سببٌ لِما قبلها، وباعتبار وجوده الخارجيّ مُتأخّر عنه كالرّبْح مُتأخّرٌ عن التّجارة، وهو سببٌ لها، ويُقال له العلّة الغائيّة[307]. وقد عرفتَ أنَّ أفعال الله، تعالى، لا تُعَلَّلُ،
67ب أي لا يفعل لأجل العِلَّة سواء كانت عاديّة | أو غيرها. فما ذُكِرَ، وإنْ كان على صورة العِلَّة؛ فهو لِتنبيه الفكر للحِكَم والمَصَالح. وقوله: ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾، المُراد به دين الإسلام. قال الله، تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[308] [آل عِمْران 19:3]، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفَتْح:28]، لِيُعْلِيَ شأنُهُ على ما يُدانُ به، لأنّه الحقّ حينئذٍ. وما سِواهُ في زمانه باطلٌ، سواء كان حقًّا قبل أو لا، لأنّه نَسَخَ سائر الأديان أو بأنّه سَلّطَ المؤمنين على الكافرين، إذ ما مِن أهل دين إلاّ وقد قَهَرهم المسلمون. والدِّينُ بالكَسْرِ، المِلَّة؛ مِن دانَ له، إذا أطاعه. سُمِّيَتْ به لِكَوْنِها مُطاعةً لأهلها. ويجوز أنْ يكون مِن دَانَهُ، بمعنى جازاهُ، لأنّ أهل كلّ دِين مجزيّون به.

وفي تفسير القُرطبيّ[309]، الدِّينُ اسم بمعنى المَصْدَر، باعتبار الأصل وإلاَّ فمعناهُ المِلَّة[310]، وهي

---

307 جاءت في الأصل [الغائبية]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

308 الآية كاملة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عِمْران 19:3].

309 هو محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاريّ الخزرجيّ الأندلسيّ، أبو عبد الله القُرْطُبيّ [ت671هـ/1273م]. وُلِدَ بقُرْطُبة بالأندلس، حيث تعلّم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربيّة وتوسّع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها. كما تعلّم الشّعر أيضًا. انتقل إلى مصر وفيها تُوُفّيَ. يُعتبر القُرْطُبيّ من كِبار المفسّرين، كما كان فقيهًا ومحدّثًا وَرِعًا وزاهدًا مُتَعَبِّدًا.من كُتُبه: الجامع لأحكام القرآن والمعروف بتفسيرالقُرْطُبيّ (ط)، التّذكار في أفضل الأذكار(ط) والتّذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة (ط). انظر: الزِّرِكْلِيّ: الأعلام5/322.

310 المِلَّةُ هي الشريعةُ أو الدِّينُ، كِلَّةِ الإسلام والنصرانيّة. وهي أيضًا: طريقة في الدين، أو طائفة، أو

الطريقة المَسلوكة. وما عَمَّ إرسال أحد ابتداء الأنبياء، محمّد رسول الله، ﷺ. وأمّا نوح[311]، فلطول عُمْرِه واستئصال مَن على وَجْهِ البسيطة. ولقد حُقِّقَ إظهار دين الإسلام؛ | فإنّك لا ترى دينا إلاّ 68أ والإسلام أعلى منه وأظهر. وقيل: يكون ذلك بإنزال عيسى[312] حين لا يبقى على وَجْهِ الأرضِ كافرٌ. وقيل: بالحجج والبراهين. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالة نبيّه، أو على ما وَعَدَهُ به مِن النّصر وإظهار الدّين، لأنَّ الكُفّار أبَوْا وَصْفَهُ بالرسالة في كتاب عهد الحُدَيْبِيَة. وهو تمييزٌ عن الفاعل، أي كَفَى بالله شاهدًا به. وقال الزّجّاج[313]: دَخَلَت الباءُ لتضْمين ﴿كَفَىٰ﴾ معنى اكتفى. وحسّنهُ ابن مالك وصحَّحَ ذلك بقوله: اتّقَى اللهَ امرؤٌ فعلَ خيرًا، يُثَبْ. أي لِيَتّقِ اللهَ وليَفْعَلْ، بدليل جَزْمِ يُثَبْ. والمعنى: اكْتَفِ بالله؛ فالخبر بمعنى الأمْر. وقال ابنُ السرَّاج[314]: الفاعل ضمير الاكتفاء،

مذهب والجمعُ مِلَلٌ. وهي اسم لما شَرَعَ اللهُ لعباده بوساطة أَنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة. ومِلّةُ إبراهيم أو محمّد، عليهما السّلام، أي دين إبراهيم أو دين محمّد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة [م ل ل].

311 هو نَبِيُّ الله، نوح عليه السّلام، يُقال هو آدم الأخير. سُمّيَ نوح لكثرة نَوْحِه على نفسه وعلى قومه. وقد بعثه الله إلى قومه ليُعيدهم إلى عبادة الله وترك الشّرك والوثنيّة. فكان أوّل رسول يرسله الله، تعالى، إلى الناس في الأرض. ومعجزة النّبيّ نوح، هي السّفينة التي أمره الله، تعالى، ببنائها لِينُجيه ومَن آمن معه من الطوّفان. جاء ذِكْرُ النبيّ نوح في القرآن الكريم، حيث أنزل اللهُ سورة كاملة، هي سورة نوح [سورة 71: عدد آياتها28]. انظر: ابن كثير: البداية والنّهاية1/97–100؛ البَلَخِيّ: البَدْء والتاريخ 1/217–225.

312 هو نبيّ الله، تعالى، عيسى ابن مريم، عليها السّلام. ويُعرف أيضاً بيشوع بالعبرية، وبيسوع في العهد الجديد. هو رسول الله والمسيح في الإسلام، ويعتبر من أُولي العَزم مِن الرُّسل، أُرسل في بني إسرائيل ليدعوهم لبادة الله وحده؛ فكَذّبوه. وعيسى، عليه السلام، معجزة بحدّ ذاته، منذ أن حملت به والدته البتول مريم، عليها السلام، إلى ولادته إلى حياته كاملة، فقد جاء المَلَك جبريل إلى السّيدة مريم وهي تتعبد، حيث بشرها بأنّها ستلد ابناً له قُدسيّة، وأنه سيكون رسولاً مِن رُسل الله ونبيًّا مِن أنبيائه دون أن يكون له والد. جاء ذِكْرُهُ في القرآن الكريم في سورة مريم [سورة 19: عدد آياتها98]. انظر: ابن كثير: البداية والنّهاية2/56–77؛ البَلَخِيّ: البَدْء والتاريخ1/271–272.

313 هو إبراهيم بن السّريّ بن سهل، أبو إسحاق الزَّجّاج البغدادي نحويّ من العصر العباسيّ [241–311 هـ/855ظ–923م]. من أَهل العلم بالأدب والدين. وُلِدَ في بغداد ومات فيها. صنَّف العديد من الكُتب، أشهرها: كتاب معاني القرآن في التفسير، وكتاب الأمالي في اللغة والأدب وكتاب تفسير أَسماء الله الحسنى. انظر: الزِّرِكليّ: الأعلام1/40.

314 هو محمّد بن السّريّ بن سهل، أبو بكر. أحد أئمّة الأدب واللغة العربيّة. كذلك كان عارفًا بالموسيقى. مِن أهل بغداد، ولم يُعرَف تاريخ ميلاده. مِن مؤلفاته: كتاب الأصول في النّحو (ط)، وشَرْح كتاب

أي كَفَى الاكتفاءُ باللهِ حالَ كَوْنه شهيدًا. وصحّة قوله موقوف على جواز تَعَلُّقِ الجار بضمير المَصدر، وهو قولُ الفارسيّ[315]: أجار مُرُوري بِزيدٍ حَسَنٌ وهو بِعَمروٍ. فتحَ وأجازَ الكوفيّون إعمالهُ في الظرف وغيره. ومنعَ جمهور البصريّين إعمالهُ مُطلقًا.

68ب ثمّ لَمّا كان في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾[316] [الصّف 9:61]، | نوع إبهام، وإنْ كانت القرينة المقاميّة تُرشِدُ إلى أنّه محمّد، لكن في الإتيان بالعلميّة من حُصور ذاته بأوصاف كماله ما ليس في العلم به من القرائن؛ فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح:29]، استئناف بيانيّ في هذا المَحَل للرسول المشهود له، سواءً اعْتُبِر خبرًا لمُبتدأ محذوف أو مُبتدأ خبرهُ رسول الله. وعلى الأوّل، فيكون رسول الله صفة لمحمّد. ويجوز أنْ يكون قولهُ محمّد مُبتدأ[317]. ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾، معطوف على قوله ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، والخبر قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، إذ وَصْفُ الشّدّة والرّحمة وُجِدَ في الجميع. أمّا في حقّ الرسول، فكما في قوله: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[318][التّوبة 73:9]. وقال، تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[319] [التّوبة 128:9]. وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[320][آل عمران 159:3]. فإنْ قُلْتَ: إذا وُصِفَ بالشّدّة على الكُفّار، فأيُّ مُلاءَمَة ومناسَبَة بين هذا وقوله، تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء 107:21].

69أ قُلْتُ: لأنَّ جِهة رحمته بالعلمين لا تُنافي الشّدّة على الكُفّار بما يجُرُّهم إلى الانقياد إلى | أمْرِ الله،

سيبويه (ط)، والموجز في النّحو (ط). كانت وفاته عام 316هـ/929م. انظر: الزّركليّ: الأعلام6/136.

315 هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسيّ الأصل، أبو عليّ [288–377هـ/900–987م]. أحد مشاهير أئمّة اللغة العربيّة. وُلِدَ في مدينة (فسا) في بلاد فارس. سافر إلى بغداد وتوفّي فيها. تجوّل في كثير من البُلدان، ومنها مدينة حَلَب. من تصانيفه: التذكرة (ط)، الحجّة (ط)، والشّعر (ط) وغيرها. انظر: الزّركليّ: الأعلام2/179–180.

316 الآية كاملة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصّف 9:61].

317 جاءت في الأصل فوق السّطر مع إشارة إلى موقعها في الجُملة.

318 الآية كاملة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التّوبة 73:9].

319 الآية كاملة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبة 128:9].

320 الآية كاملة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران 159:3].

تعالى؛ فهي رحمة بهم أيضًا على حدّ قوله، عليه السّلام: (عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إلى الجَنَّةِ بالسَّلاسِلِ)[321]. وأمّا وَصْفُ المؤمنين بالشّدّة على الكافرين؛ فكما في قوله، تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[322][المائدة 54:5]. وناهيك ما كانوا عليه من الشّدّة على الكافرين أنّهم كانوا يحترزون من ثيابهم أنْ تلصقَ بثيابِهم، ومن أيديهم أنْ تمسَّ أيديَهم، مع أنَّ المؤمنَ منهم لا يجدُ مؤمنًا إلاّ صافحَهُ وعانقهُ؛ فلازم للمؤمنين أَنْ يجرؤوا[323] على هذه الشّدّة على الكافرين، والرّحمة بالمؤمنين؛ لِمَدْحِ اللهِ مَن جَرَى على ذلك، إلاّ أنْ تقتضي مصلحة عامّة تُعظّمهم كتعظيم بعض رُسُل مُلُوك الكُفّار، لأجلِ عدم إضرارهم بالأسارَى ببلادهم، ورجاء انقيادهم لطاعة الإمام؛ فيجوز المقدار الذي يُحصل هذا القَدْر بشرطِ هذه النِّيَّة، وهي أنْ لا يقصدَ تعظيم الكافر لذاته.

69ب ومن هُنا، وَرَدَ في السُّنَّة أنّه، ﷺ، بَسَطَ بَعْضَ رِدائه لرسولِ بَعْضِ مُلُوكِ الكُفَّارِ، | وقال: (إذا جَاءَكُم كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ)[324]. فإنْ قُلْتَ: لِما ذكرَ على، في جانب الشّدّة دون الرّحمة؟ قُلْتُ: لِما فيها من الاستعلاء والإيذان بالقوّة والغَلَبَة، وللإشعار بأنَّ رحمة المؤمن للمؤمن ليس على وجه الاستعلاء، بل على وجه التّواضع. قال، تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[325][الحِجْر 88:15]. وقرأَ الحسَنُ ﴿أَشِدَّآءَ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح:29] بالنّصب على المَدْح، أو على الحال. وأَصْلُ ﴿بَيْنَ﴾ يكونُ مصدرًا بمعنى الفُراق، فتقديرُ [جلستُ][326] بينكما، أي مكان فِراقكُما. فالمعنى أنّه لا دَخْلَ بين أجسامهم إلاّ التّراحم. ﴿تَرَىٰهُمْ﴾، خِطابٌ عامٌّ كما في قوله، تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[327][السّجدة 12:32]، وكما في قوله، تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾[328][الكَهف 18:18]،

---

321 أخرجهُ أحمد (22148)؛ والطَّبَرانيّ (340/8) (8087).

322 الآية كاملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة 54:5].

323 جاءت في الأصل [يجروا]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

324 أخرجهُ ابن ماجه (3712)؛ والبزّار (5846).

325 الآية كاملة: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحِجْر 88:15].

326 جاءت مكتوبة خارج النّص في جهته اليُمنى، مع إشارة لموقعها في الجُملة.

327 الآية كاملة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السّجدة 12:32].

328 الآية كاملة: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ

أي لو رأيتَ يا مَن يتأتّى منه الرؤية. ﴿رُكَّعًا﴾، جَمْعُ راكع و﴿سُجَّدًا﴾، جَمْعُ ساجد. والمعنى: تراهم راكعين ساجدين. أي متى أردْتَ النَّظرَ إليهم لا تجدهم إلاّ على هذه الحالة الكاملة، مُبالغَة في قِيامهم بأمْرِ ربّهم. والجملةُ خبر المُبتدأ على تقدير نصب ﴿أَشِدَّآءُ﴾ [الفَتْح:29]. وخبرٌ بعدَ خبر
70أ على تقديرِ رَفْعِه، | أو استئنافٍ لبَيَان مُعاملتهم فيما بينهم؛ فإنَّ الصلاة أعظمُ العبادات الدّينيّة التي بها يظهر مزيد انقياد العبد لربّه، إذ فيها اشتغال الجوارح كُلّها بالعبادة، والقَلب بالخُشوع، واللسان بالمُناجاة. وخصَّ الركوع والسّجود بالذِّكْر لما أنّهما اشتملا على خشوع لا يُوجَد في غيرهما. ولا يخفى ما في المُضارع هُنا مِن الاستمرار التجدُّديّ. أي تراهم دائمًا على هذه الصِّفة الكاملة.

ثمّ لَمّا بيّنَ اللهُ حالهم في العِبادة ومُداومتهم على الطّاعة، بيّنَ، تعالى، ما عبدوا مِن أجله؛ فقال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفَتْح:29]. قال العلاّمة البيضاويّ: الثّوابُ والرّضى، والابتغاء هو الطلب، والفضلُ هو ضِدُّ النّقص. والمعنى: يطلبون الزيادة بكمال حقائقهم حتى يصلوا إلى مرتبة الرِّضى. واعلمْ أنَّ الناس في عبادتهم على أقسام: فَمِنْهُم مَن عبدَ لأجل الثّواب، ومنهم مَن عبدَ للخَوف مِن العِقاب، ومنهم مَن عبدَ لأنّه، تعالى، المُستحِقّ للعبادة طالبًا لِرضاه.
70ب فَالأَوَّلانِ بِئْسَتْ عبادتهما، وَبِئْ بِئْ للأخير. | وهذه الرّتبة هي مقام العبد الكامل الحُر مِن الأغيار، النّاظر إليه به، في سائر الأدوار. فَإِنْ قُلْتَ: كيف تقول فيمَن عبدَ رجاء الجنّة وللخَوف مِن النّار، بِئْسَتْ عِبادتهما، مع أنّه، تعالى، قال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾[329] [المائدة 2:5]، وهو الثّواب؟ قُلْتُ: المذموم مَن عَبَدَهُ مِن حيثُ الثّواب فقط. أمّا مَن عبدَهُ مِن حيث أنّهُ المعبود ورجا منه الثّواب؛ فجدير بأنْ يُثنَى عليه، بل ينبغي للعبد أنْ يرجو[330]ما وَعَدَهُ به سيّدُهُ، ويخافُ ممّا خوّفهُ منه. وَرَدَ في السُّنّة: (مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)[331]. وقال، تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[332] [غافر 60:40].

ثمّ بيّن، تعالى، أنَّ الظاهر عنوان الباطن. فإذا أشرق نور الرّب على القَلب ظهر أثرُهُ على

بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف 18:18].

329 الآية كاملة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة 2:5].

330 جاءت في الأصل [يرجوا]، والصّواب ما ثبت أعلاهُ لسلامة اللغة.

331 أخرجهُ التِّرْمِذيّ (3373؛ وابن ماجه (3827)؛ وأحمد (9719).

332 الآية كاملة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر 60:40].

الظاهر، فقال، تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفَتْح:29]، فيه وَجْهَانِ: أحدُهُما، أنَّ ذلك يوم القيامة، كما قال، تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[333] [آل عمران 106:3]. وقال، تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾[334] [التّحريم 8:66]. وثانيهما، أنَّ ذلك يقعُ في الدّنيا، وفيه وَجْهَانِ: أحدُهُما، ما يظهرُ في الحياة بسبب كثرة السّجود. والثاني، ما يُظهِرهُ الله
71أ | في وجوه السّاجدين مِن الحُسْنِ، لا سيّما مِن صلاة الليل؛ فإنّه وَرَدَ في السُّنّة أنّها تُحسِنُ الوَجه.

ثمّ بيّن، تعالى، أنّه ضربَ لهم في كُتُبه السّابقة الأمثال؛ فقال، تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ [الفَتْح:29]، إشارة إلى الوصفِ المذكور، أو إشارة مُبْهَمَةٌ يُفَسِّرُها ﴿كَزَرْعٍ﴾، واسم الإشارة مُبتدأ[335]، و﴿مَثَلُهُمْ﴾ خبره. ومعناهُ، وَصْفُهُم العجيبُ الشّأنِ الجاري في غرابة، مَثَلُهُ مجرى الأمثال. و﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، حال مِن ﴿مَثَلُهُمْ﴾، والعامل فيه معنى الإشارة. ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾، عطفٌ على ﴿مَثَلُهُمْ﴾ الأوّل. وقوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ[336]﴾ إلى آخره، تمثيلٌ مُستأنَفٌ. أي، هُم كَزَرعٍ. والمُرادُ تشبيهُ ما انطوتْ عليه قُلوبهم مِن الإيمان لا الذّات الجسديّة، وإنّما عَدَلَ عن ذِكْرِ الإيمان إلى ذِكْرِ تشبيه ذواتهم، للإيذان بأنَّ الإيمان استقرَّ في جميع جُزئيّات قُلوبهم. ولا يزالُ يَنمو كما يَنمو الزّرعُ بما يُنزِلُهُ اللهُ على رسوله، ضِمن الآيات والأخبار والوعْد والوعيد المُلزِمات بالتكاليف والأحكام؛ فإنَّ الحاصل للعبدِ أوّلاً هو أصْلُ التّوحيد.

71ب ثمّ إذا أتَى بالطاعات البدنيّة كالصّلاة والصّيام. | والنّفسيّة كالتفكّر في آيات الله، وفي مَصنوعاته، وهي عجائب مخلوقاته، ازدادَ يقينهُ وإيمانهُ شيئًا فشيئًا، ضرورة أنّه لا يُمكن حصول ذلك دُفعة واحدة، كَحَالِ الزَّرعِ. فإنَّ الإيمان كالبَذْرِ، فإذا سُقِيَ البَذْرُ أوّلاً، ثمّ لا يزال يَنمو[337] إلى أنْ يحصلَ المُرادُ منهُ. وكذلك الإيمانُ، لا يزال ينمو بالتقرّب إلى الله بالعبادات إلى أنْ يُشرقَ في القلب نورُ الرَّبّ؛ فيصل إلى قوله، ﷺ، حكاية عن رَبّه: (أفضلُ ما تَقَرَّبَ إليَّ به المُتقرّبون أداءَ ما افترضْتُهُ عليهم. ثمّ لا يزال العبد يتقرّبُ إليَّ بالنّوافلِ حتى أُحِبَّهُ؛ فإذا أحببتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به

---

333 الآية كاملة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران 106:3].

334 الآية كاملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التّحريم 8:66].

335 جاءت في الأصل [مبتداء]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

336 جاءت في الأصل [شَطْاءَهُ]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

337 جاءت في الأصل [ينموا]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

وبصرهُ الذي يُبصِرُ به ويدَهُ التي يبطُشُ بِها)[338]. فهذهِ مِن عَيْنِ قولهِ، تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ﴾ إلى آخره. ويدُلُّ على هذه الحالة ونموّ الإيمان، نموّ الزّرع، قولهُ عليه السّلام: (جالسوا العُلماء وزاحموهم بالرُّكَبِ؛ فإنَّ الله يُحيي القلوبَ بِوابلِ الحِكمة، كما يُحيي الأرضَ بِوابلِ المَطَر، وإحياء الأرضَ | بِنَمَاء زَرعِها، كما هو ظاهر)[339]. فأوّلُ بِدْءُ الزّرع كأصْلِ الإيمان، وذلك قولهُ: 72أ
﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ﴾، أي فراخهُ. والمَرتَبة الثانية، قُوّة الإيمان بالدّليل والبُرهان. وذلك قولهُ: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾، أي قَوَّاهُ. وكذلك الزّرع يقوى بعد نموّهِ بالحرارة الأرضيّة، وكذلك الإيمان بالحرارة الشّوقيّة. والمَرتَبة الثالثة[340] الإشارة إلى أنّه زادت كَمِّيتُهُ، كما يزيد الزّرع بعد بَدْوِهِ، وذلك قولهُ: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾. والمَرتبة الرّابعة، هي اعتدالهُ في الأحوال، ومنهُ قولهُ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، جمعُ ساق، وهو القضيبُ. ومنه قولهُ عليه الصّلاةُ والسّلامُ: (المؤمنُ كَنَكَامَةِ الزّرعِ)[341].

ثمّ لا شُبْهَةَ أنَّ مَن كانت هذه صِفتُهُ، ﴿فإنّهُ يُعجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾، فكذلك حال المؤمن يقع مِن اللهِ المَوْقع العظيم. ومِن هُنا قال، ﷺ: (فإنّي مُباهٍ بِكُم الأُمَمَ يومَ القيامة)[342]. ثمّ بيّن السّبب المُقْتَضَى لهذا التّشبيه المُحيِّر للأفكار، | الرّاقي للبلاغة، إلى ما دونه الفَلَك الدَّوّار، بأنَّ ذلك ﴿لِيَغِيظَ 72ب
بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، وهو مُتعلّق بمحذوف دَلَّ عليه ما قبلهُ. ثمّ بيّن الله، تعالى، حصول أمْر يقتضي زيادة غيظ الكُفّار بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفَتْح:29]، فإنَّ الكُفّار لَمّا سمعوا الأمثال الدّالّة على عُلوّ شأْن المؤمنين، وكمال رسوخ اليقين في قلوب الموحّدين، غاظهم فزادهم غَيظًا بحصول المَغفرة لذنوب المؤمنين، والأجر بالجَنَّة للموحّدين.

اللَّهُمَّ، كما أهَّلْتَ هذا العَبد لِبَيَانِ معاني كتابك، وأظهرتَ على أسَلَةِ لسانه[343] بيّنات خطابك، إغْفِرْ ما قَصَّرَ في فَهْمِهِ فِكْرُ مخلوق مِن مخلوقاتك، ومصنوع مِن مصنوعاتك. وأيّدْ سلطان الإسلام وظِلّكَ السّابغ[344] على الأنام، أمير المؤمنين وسيّد خُلفاء الموحّدين، سلطان | أهل السُّنَّة والجماعة، 73أ
الذي جعلتَ به للدّين عِزَّة وارتِفاعة، أمير المؤمنين مُراد. وبلِّغْهُ مِن العُمْرِ ما لا تُحصيه الأعداد؛

338 أخرجهُ البُخَارِيّ (6502).
339 أخرجهُ الطبرانيّ (125/22) (324)؛ والبَيْهَقِيّ (442).
340 جاءت في الأصل [الثانية]، والصّواب كما ثبت أعلاه لسلامة التّرتيب والمنطِق.
341 أخرجهُ البُخاريّ (7466)؛ ومُسلم (2809).
342 أخرجهُ الألبانيّ: إرواء الغليل (1784)، وفي رواية أخرى: تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ.
343 أي طرفُ لسانه.
344 أي التّام والشّامل.

فأنتَ المسؤول[345] مِن حيثُ رحمتِكَ، والاّ فَمَنْ يتأهّل لسُؤْلِكَ[346] لولا ما سَبَقَتْ به إرادتُك. وأنْ تُصلّيَ وتُسَلِّمَ على نور الأنوار، وسِرِّ الأسرارِ، محمّد النَّبِيِّ المُختار، صلاةً وسلامًا دائِمَيْنِ إلى يوم القِرار.

قال المؤلِّفُ، رضيَ اللهُ تعالى، عنه: تَمَّ تأليفُها على يد هذا العَبد الضّعيف الذي حَقّقْتَ له بهذه المُقَدّمَة مِن عِنايتِكَ التّشريف، محمّد أبي السُّرور بن محمّد أبي الحسَن الصدّيقيّ، سِبْط آل الحسَن. وذلك في يوم الأربعاء، العشرين مِن جُمادى الآخرة، سنة ثمان وتسعين وتسعمائة[347].أحسنَ اللهُ عافيتها في خَير، وَصَلَّى اللهُ على سيّدنا محمّد وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا. وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ، العَلِيِّ العَظِيمُ.

---

345 جاءت في الأصل [المسَوُل].

346 جاءت في الأصل [لسولك]، والصّواب ما ثبت أعلاه.

347 [20 جُمادى،998هـ/26 نيسان، 1590م].

مُلْحَق

سورة الفَتْح بالرّسم العُثمانيّ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿1﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿2﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿3﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
﴿4﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿5﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿6﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿7﴾ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿8﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿9﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿10﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ
اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿11﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ
لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
بُورًا ﴿12﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿13﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿14﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا
انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ
قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿15﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ
الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا
حَسَنًا ۖ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿16﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

© KONINKLIJKE BRILL NV, LEIDEN, 2024 | DOI:10.1163/9789004682795_004

الْأَنْهَارُ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿17﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿18﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ
اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿19﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿20﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ
أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿21﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا
يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿22﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿23﴾
وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿24﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ
مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ
لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿25﴾ إِذْ جَعَلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ
كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿26﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ
الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿27﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿28﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿29﴾

ثَبْتُ المراجع والمصادر

القرآن الكريم: مصحف المدينة النبويّة [على قراءة عاصم بن أبي النَّجُود الكوفيّ الأسديّ (745/127) برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأَسديّ (90–180/709–796)]. المدينة المُنوّرة: مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1411هـ/[1990م].

أبو العرب، التّميميّ: طبقات عُلماء أفريقية. تحقيق: بيروت: دار الكتّاب اللبنانيّ، [د.ت.].

البروسَوِيّ، محمّد بن عليّ ابن سباهي زاده: أَوضحُ المسالك إلى معرفة البُلدان والممالك. تحقيق: المهدي عيد الرّواضية. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ط1، 2006م.

ابن أَبي الدّنيا، أَبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قَيْس البغداديّ الأُمويّ القُرَشيّ: التَّواضع والخُمول. تحقيق: محمّد عبد القادر أَحمد عطا. بيروت: دار الكُتُب العِلميّة، ط1، 1409هـ/1988م.

ابن الأَثير، أَبو الحسن عزّ الدين عليّ بن محمّد الجزريّ: أُسُد الغابة في تمييز الصّحابة. تحقيق وتعليق: عليّ محمّد معوّض وعادل أَحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكُتُب العِلميّة، ط1، 1994م، 7 ج/7مج.

ابن الجَزَريّ، أَبو الخير شمس الدّين محمّد بن محمّد الشافعيّ: غاية النّهاية في طبقات القُرّاء. تحقيق: ج. برجستراسر. بيروت: دالا الكُتُب العِلميّة، ط1، 2006م، 2ج.

ابن العربيّ، أَبو بكر محمّد بن عبد الله: العواصم مِن القواصم. تحقيق: عمّار طالبيّ، القاهرة: دار التُّراث، [د.ت.].

ابن العماد الحنبليّ، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحيّ بن أحمد بن محمّد العكريّ الدمشقيّ: شذرات الذّهب في أخبار مَن ذهب. أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. حقّقه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط. دمشق /بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1986–1993م، 10مج.

ابن إِياس، محمّد بن أَحمد الحنفيّ: بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمّد مصطفى، القاهرة: مطابع الشّعب، [1379–1382هـ/1960–1963م].

ابن حنبل، أَحمد بن محمد بن حنبل، أَبو عبد الله الشّيباني الوائليّ: المُسْنَد. تحقيق: أَحمد شاكر وحمزة الزّين. القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416هـ/1995م، 20مج.

ابن خلدون، عبد الرّحمن: مُقدّمة ابن خلدون. القاهرة: دار الفكر، [د.ت.].

ابن خلكّان، أَبو العبّاس أَحمد بن محمّد: وَفَيَات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزّمان. تحقيق: إِحسان عبّاس. بيروت: دار صادر، 1994م، 8ج.

ابن سعد، أَبو عبد الله محمّد بن سعد بن مَنيع الزّهريّ: الطّبقات الكُبرى. بيروت: دار صادر/دار بيروت، 1957–1968، 8مج.

ابن سعد، أَبو عبد الله محمّد بن سعد بن مَنيع الزّهريّ: الطّبقات الكُبرى – القِسم المُتمّم لتابعي أَهل المدينة ومَن بعدهم. تحقيق: زياد محمّد منصور. ط2، 1987م.

ابن عساكر، أَبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشّافعيّ: تهذيب تاريخ ابن عساكر. اعتنى بترتيبه وتصحيحه: الشّيخ عبد القادر أَفندي بدران. دمشق: مطبعة روضة الشام، 1329–1351هـ/

© KONINKLIJKE BRILL NV, LEIDEN, 2024 | DOI:10.1163/9789004682795_005

[1911–1932م]، 7ج.
ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمدانيّ المصريّ: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك. بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاريّ، طبعة جديدة ومنقّحة، 1995م، 2ج.
ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقيّ: البداية والنّهاية. بيروت: مكتبة المعارف، ط2، 1990، 14مج.
ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقيّ: تفسيرُ القُرآن العظيم. بيروت: دار ابن حَزْم، ط1، 1420هـ/2000م، 9مج.
ابن معصوم، عليّ صَدْرُ الدّين المدنيّ الحَسَنيّ: سُلافة العصر في محاسن الشُّعراء بِكُلِّ مِصر. القاهرة: مَحَل أحمد ناجي الجماليّ ومحمّد الخانجيّ الكُتُبيّ، ط1، 1324هـ/[1906م].
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرّم بن عليّ بن أحمد الرّويفعيّ الأفريقيّ: لسان العرب. تنسيق: عليّ شيري. بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، 1993م. 18ج.
ابن هشام، أبو محمّد جمال الدين عبد المَلك بن هشام بن أيوب الحِمْيَريّ المعفاريّ: السّيرة النّبويّة. تحقيق وضَبْط وشَرح: مُصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ شلبيّ. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1955م، 2ج.
ابن الأثير، أبو الحسن عزّ الدين عليّ بن محمّد الجزريّ: أُسُد الغابة في معرفة الصّحابة. تحقيق وتعليق: عليّ محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2012م.
ابن أبي شَيْبَة، عبد الله بن محمد إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتي العَبْسِي مولاهم الكوفيّ: المُصَنَّف. تحقيق: عامر العُمَريّ الأعظميّ. بومباي: الدار السّلفيّة، ط1، [د.ت.].
ابن أبي شَيْبَة، عبد الله بن محمد إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتي العَبْسِي مولاهم الكوفيّ: المُصَنَّف. تحقيق: أسامة بن إبراهيم بن محمد. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1428هـ/2008م، 15مج.
ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله بن محمد، أبو عمر المالكي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكُتب العلميّة، ط1، 1415هـ/[1994م].
ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكِنَانيّ العسقلانيّ، أبو الفضل، شهاب الدّين: لسان الميزان. تحقيق: عبد الفتاح أبي غدّة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلاميّة، ط1، 1423هـ/2002م، 10مج.
ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكِنَانيّ العسقلانيّ، أبو الفضل، شهاب الدّين: تهذيب التّهذيب. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض. بيرون – الرّياض: دار الكُتُب العلميّة، ط1، 1425هـ/2004م،7ج.
ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكِنَانيّ العسقلانيّ، أبو الفضل، شهاب الدّين: فَتْحُ البَاري بِشَرْح صَحِيح البُخَارِيّ. تحقيق: مُحِبّ الدّين الخطيب. القاهرة: دار الرّيّان للتّراث، ط1/1407هـ/1986م، 13مج.
ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسيّ: جمهرة أنساب العرب. بيروت: دار الكُتُب العلميّة، ط1، 1983م، 2مج.
ابن عطيّة، عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرّحمن: المُحَرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.تحقيق: عبد السّلام

عبد الشّافي محمّد. بيروت: دار الكُتُب العلميّة، ط1، 1422هـ/2001م.
أبو الفَرَج الأصبهانيّ، عليّ بن الحسين بن محمّد الأمويّ: كتاب الأغانيّ. تحقيق: إحسان عبّاس وإبراهيم السّعافين وبكر عبّاس. بيروت: دار صادر، ط3، 2008م، 25مج.
أبو جابر، سليم عطيّة: البكري الصّدّيقيّ وأثره في تأريخ مصر العُثمانيّة. لندن: مؤسّسة الرّافد، ط1، 2005م.
أبو نُعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد الشافعيّ: دلائل النّبوّة. تحقيق: محمّد روّاس قلعه جي وعبد البر عبّاس. بيروت: دار النّفائس، ط2، 1986م، 2ج.
الأَزْرَقيّ، أبو الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد: أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار. دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. الرّياض: مكتبة الأسديّ، ط1، 2003م.
إسماعيل باشا البغداديّ، إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم البابانيّ: هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين. عُني بصححه: Kilisli Rifat Bilge [مج1]، A«ni Aktuç [مج2]، İbnülemin Mahmud Kemal İnal [مج1–2]. إستانبول: مطبعة وكالة المعارف، مج 1:1951، مج 2:1955م، 2مج.
آصاف، عزتلو يوسف بك: تاريخ سلاطين بني عثمان مِن أوّل نشأتهم حتى الآن. القاهرة: مؤسّسة هنداويّ للتّعليم والثّقافة، ط1، 2014م.
الألبانيّ، أبو عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل. دمشق – بيروت: المكتب الإسلاميّ، ط1، 1399هـ/1979م، 9مج.
الألبانيّ، أبو عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد. الرّياض: مكتبة المعارف، ط1، 1422هـ/2001م.
الألبانيّ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريّين والكوفيّين. بيروت، المكتبة العصريّة، [د.س.].
أَنيس، إبراهيم وآخرون: المُعجم الوسيط. القاهرة: مجمع اللغة العربيّة القاهرة، ط 3، 1985م. 2ج.
البُخاريّ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل: صحيح البُخاريّ. تحقيق: مُحِبّ الدّين الخطيب. القاهرة: المكتبة السّلفيّة، ط1، 1414هـ/[1993م].
البَكريّ، محمّد بن أبي السُّرور الصِّدّيقيّ: الرّوضة الزّهيّة في ذِكْر وُلاة مصر والقاهرة المُعزّيّة (خ). القاهرة: دار الكُتُب المصريّة، رقم (5227 تاريخ)، عدد صفحاتها (238).
البَكريّ، محمّد بن أبي السُّرور الصِّدّيقيّ: نُصْرَةُ أهل الإيمان بدولة آل عُثمان. تقديم وتحقيق وتعليق: سليم أبو جابر. باقة الغربيّة: مَجْمَع القاسميّ للغة العربيّة ودار الهُدى، ط1، 2012م.
البَكريّ، محمّد بن أبي السُّرور الصِّدّيقيّ: المِنَح الرّحمانيّة في الدّولة العثمانيّة – ويليه ذيل: اللطائف الرّبانيّة على المِنَح الرّحمانيّة. تقديم وتحقيق وتعليق: ليلى الصّباغ. دمشق: دار البشائر، ط1، 1995م.
البكريّ، محمّد أبو السُّرور الصّديقيّ: سورة الكَهْف. تحقيق وتعليق ودراسة: سليم أبو جابر. عمّان: دار الشّروق، ط1، 1442هـ/2021م.
البلاذريّ، أبو العبّاس أحمد بن يحي بن جابر: فُتوح البُلدان. تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الله وعمر أنيس الطبّاع. بيروت: مؤسّسة المعارف، 1987م.

البلخيّ، أَبو زيد أَحمد بن سهل: البدء والتأْريخ. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1997م، 2ج.
البُورِينيّ، بدر الدين الحسن بن محمّد الصَّفُّوريّ: تراجم الأَعيان مِن أَبناء الزّمان. تحقيق: صلاح الدين المُنجّد. دمشق: المجمع العِلميّ العربيّ، ج 1:1959؛ ج 2:1963م.
البَيْهَقِيّ، أَبو بكر أَحمد بن الحسين الخُراسانيّ: دلائل النّبُوّة. بيروت: دار الكُتُب العِلميّة، ط 1، 1405هـ/ [1984م]، 7ج.
البَيْهَقِيّ، أَبو بكر أَحمد بن الحسين الخُراسانيّ: شُعَب الإِيمان. تحقيق: أَبو هاجر السّعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكُتُب العِلميّة، ط1، 1410هـ/[1989م].
التّوحيديّ، أَبو حيّان: الإِمتاع والمُؤانسة. صحّحهُ وضبطهُ وشرحَ غريبهُ: أَحمد أَمين وأَحمد الزّين. القاهرة: دار مكتبة الحياة، [د.ت.]، 3ج.
الجَبَرتيّ، عبد الرّحمن: تاريخ عجائب الآثار في التّراجم والأَخبار. بيروت: دار الجيل، [د.ت.]، 3مج.
الجَوْزِيّ، أَبو الفَرَج جمال الدّين عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد القُرَشيّ البغداديّ: زادُ المسير في عِلم التّفسير. بيروت: المكتب الإِسلاميّ ودار ابن حَزْم، ط1، 1423هـ/2002م.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي: كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 2مج. [تصوير طبعة إستانبول: مطبعة وكالة المعارف، 1360–1362هـ/1941–1943م، 2مج].
حَرب، محمّد: العُثمانيّون في التّاريخ والحضارة. القاهرة: مركز المصريّ للدّراسات العُثمانيّة وبحوث العالَم التّركيّ، 1994م.
حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السّياسيّ والدّينيّ والثّقافيّ والاجتماعيّ. بيروت: دار الجيل؛ القاهرة: مكتبة النّهضة الحُصَريّة، ط 13، 1991م، 4مج.
الحنبليّ، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسيّ الدِّمشقيّ: تذكرة الحُفّاظ وتبصرة الأيقاظ. دمشق – بيروت – الكويت: دار الأنوار، ط1، 2011م.
خالد، محمّد خالد: رجال حول الرّسول. القاهرة: دار ثابت/دار الرّيان للتّراث، ط1، 1984م.
الخطيب البغداديّ، أَبو بكر أَحمد بن عليّ بن ثابت: تاريخ بغداد، بيروت: دار الكُتُب العِلميّة، [د.ت.]، 14مج.
الخطيب، محمّد عجاج: أُصول الحديث – علومه ومُصطلحه. بيروت: دار الفكر، 1989م.
الخفاجيُّ، شهاب الدّين أَحمد بن محمّد بن عمر: رَيْحَانَةُ الأَلِبَّا وزهرةُ الحياةُ الدُّنيا. تحقيق: عبد الفتّاح محمّد الحلو، القاهرة: مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، ط1، 1386هـ/1967م، 2ج.
دائرة المعارف الإسلاميّة. تعريب: محمد ثابت وآخرون. مصر، 1975.
الذّهبيّ، أَبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن أَحمد بن عثمان بن قايماز: سِيَر أَعلام النّبلاء. رتّبه وزاده فوائد وعنِيَ به: حسّان عبد المنّان. بيروت: بيت الأَفكار الدّوليّة، 2004م، 3مج.
الذّهبيّ، أَبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن أَحمد بن عثمان بن قايماز: معرفة القُرّاء الكِبار على الطّبقات والأَعصَار. تحقيق: طيّار آلتي قولاچ. إستانبول: مركز البحوث الإسلاميّة، ط1، 1995م، 4مج.

الذّهبيّ، شمس الدين أَبو عبد الله محمّد بن أَحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي: مِيزان الاعتدال في نقد الرِّجال. تحقيق: علي محمّد البجّاويّ. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، 1963م، 4مج.
الزَّبِيْديّ مُرْتَضى، محمد بن محمد بن عبد الرزَّاق الحُسَيْني، وآخرون: تخريج أحاديث إحياء علوم الدِّين. الرِّياض: دار العاصمة، ط1، 1408هـ/1987م، 7ج.
الزّرقانيّ، محمّد بن عبد الباقي: مُخْتَصَرُ المقاصد الحسنة في بيان الأَحاديث المُشتهرة على الأَلسنة. تحقيق: محمّد الصبَّاغ، بيروت: المكتب الإسلاميّ، ط4، 1409هـ/[1989م].
الزِّرِكْلِيّ، خير الدين بن محمود بن عليّ: الأَعلام قاموس تراجِم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمُستعربين والمُستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، ط9، 1990م، 8مج.
الزّيلعيّ، جمال الدّين أَبو محمّد عبد الله بن يوسف بن محمّد. تخريج الأَحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشّاف. تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السّعد. الرّياض: دار ابن خُزَيْمَة، ط1، 1414هـ/[1993م]، 4ج.
سالم، محمّد إبراهيم محمّد: التّراث الثريّ في البيت البكريّ – تراجم وعلوم وأوراد السّادة البكريّة. [د. م.]: الشّركة المُتّحدة للطباعة والنشر والتوزيع،1997م.
السّخاويُّ، محمّد بن عبد الرّحمن: المقاصدُ الحَسنة في بيان كثير من الأَحاديث المُشْتَهِرة على الأَلسِنة. تحقيق: محمّد عُثمان الخشت، بيروت: دار الكتاب العربيّ، ط2، 1414هـ/[1993م].
السَّرْخَسِيّ: محمّد بن أحمد بن أبي سهل: كتاب المبسوط في الفِقه الحنفيّ. تحقيق: محمّد حسن إسماعيل الشّافعيّ. بيروت: دار الكُتُب العِلميّة، ط1، 1414هـ/1993م، 13مج.
السّيوطيّ، جلال الدّين: الدُّر المنثور في التّفسير بالمأثور. تحقيق: عبد الله بن عبد المُحسِن التُّركيّ. القاهرة: مركز هَجْر للبحوث والدّراسات العربيّة والإسلاميّة، ط1، 1424هـ/2003م، 17مج.
شُرَّاب، محمّد بن محمّد حَسَن: شَرْحُ الشّواهِد الشّعريّة في أُمَّات الكُتَب النَّحويّة. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1427هـ/2007م، 3مج.
شلبيّ، أَحمد عبد الغنيّ: أَوضح الإشارات فِيمَن تولّى مصر القاهرة مِن الوزراء والباشات المُلَقّب بالتّاريخ العَيْنيّ. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرّحمن عبد الرّحيم. القاهرة: دار الكتاب الجامعيّ، ط1، 1994م.
الشّملان، نورة: أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره. الرّياض: جامعة الرّياض، ط1، 1980م.
الشّوكانيّ، أَبو عبد الله محمّد بن علي بن محمَّد: تُحفة الذّاكرين بِعُدّة الحِصن الحَصين مِن كلام سيّد المُرْسَلِين. بيروت: مُؤسّسة الكُتب الثّقافيّة، ط1، 1408هـ/1988م.
الصَّابونيُّ، محمّد عليّ: صَفْوَةُ التَّفاسير. القاهرة: دار الصَّابونيّ، ط9، 1396هـ/1976م، 3مج.
الصّالح، صُبحي: علوم الحديث ومُصطلحه. بيروت: دار العِلم للملايين، ط18، 1991م.
الصّلابيّ، عليّ محمّد محمّد: الدّولة العُثمانيّة – عوامل النّهوض وأَسباب السّقوط. بيروت/عمّان: دار البيارق، ط1، 1999م.
الصّوفيّ، عبد الرّحمن بن عمر: صُوَر الكواكب الثابتة (خ). لندن: المكتبة البريطانيّة تحت عنوان: مخطوطات شرقيّة، رقم [Or 5323 – النّسخة الأَصليّة]، ونُسخة مُصَوّرة بمكتبة قطر الرّقميّة.

الطّبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مطير اللخميّ الشّاميّ: المُعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيدار. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، [د.ت.]، 25ج.

الطّبريّ، محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير: جامع البيان في تأويل القرآن [= بتفسير الطبريّ]. تحقيق: أحمد محمّد شاكر. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1420هـ/2000م، 24ج.

الطّبريّ، محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير: تاريخ الطّبريّ. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ط6، 1967م، 10مج ومجلّد ذيول تاريخ الطّبريّ.

طَقُّوش، محمّد سُهيل: تاريخ العُثمانيّين من قيام الدّولة إلى الانقلاب على الخِلافة. بيروت: دار النّفائس، ط3، 2013م.

عبد الله، يُسري عبد الغني: مُعْجَم المؤرّخين المسلمين. بيروت: دار الكُتُب العلميّة، ط1، 1991م.

العراقيّ، عبد الرحيم بن الحُسين: المُغني عن حَمْلِ الأسفارِ في تخريج ما في الأحياءِ مِن الأخبار. بيروت: دار صادر، ط1، 2000م.

علي باشا مبارك، عليّ بن مبارك بن سليمان الروجيّ: الخطط التوفيقيّة الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشّهيرة. بولاق مصر: المطبعة الكبرى الأميريّة، ط1، 1304–1306هـ/1886–1888م، 20ج/4مج.

الغزّيّ، أبو المكارم نجم الدين محمّد بن محمّد بن محمّد العامريّ الدّمشقيّ: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. وضع حواشيه: خليل المنصور. بيروت: دار الكُتُب العِلميّة، ط1، 1997، 3ج/3مج.

فريد، محمّد: تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة. بيروت: دار الجيل، 1977 م.

فَرْغَل، أحمد عبد النّبي: السُّلالة البكريّة الصدّيقيّة – التاريخ والأنساب والمشاهير. القاهرة: مؤسّسة الأُمّة العربيّة للنّشر والتّوزيع، ط1، 2014م، 2مج.

القرمانيّ، أبو العبّاس أحمد بن يوسف بن أحمد الدّمشقيّ: أخبار الدّول وآثار الأوَل في التّاريخ. دراسة وتحقيق: فهمي سعد وأحمد حطيط. بيروت: عالم الكُتُب، 1992م، 3مج.

القلقشنديّ، أحمد بن عليّ بن عبد الله. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب. بغداد: مطبعة النّجاح، 1958م.

الكَاندَهْلَويّ، محمّد يوسف: حياة الصّحابة. تحقيق: محمّد شحاته إبراهيم ومحمّد رِزق. القاهرة: دار المنار، ط1، 1997م، 4مج.

كَحَّالَة، عمر بن رضا بن محمّد رغب بن عبد الغنيّ الدّمشقيّ: مُعْجَم قبائل العرب القديمة والحديثة. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط7، 1994م، 7ج.

متولّي، فؤاد أحمد وفهمي، هويدا محمّد: تاريخ الدّولة العُثمانيّة منذ نشأتها حتى نهاية العَصر الذّهبيّ. القاهرة: إيتراك للنّشر والتّوزيع، 2005م.

المُحِبّي، محمّد الأمين: خلاصة الأثر في أعيان القَرن الحادي عشر. القاهرة، 1869م، 4ج.

المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ: مروج الذّهب ومعادن الجوهر. تحقيق: عبد الحميد محمّد مُحيي الدّين، بيروت: المكتبة الإسلاميّة، [د.ت.]، 4ج.

مُنظّمة المُؤتمر الإسلاميّ: الدولة العُثمانيّة – تاريخ وحضارة. إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أُوغلى. نقله إلى العربيّة: صالح سعداويّ. إستانبول: مركز الأبحاث للتّاريخ والفنون والثّقافة الإسلاميّة (إرسيكا)، 1999م، 1مج.

المنوفيّ، محمّد عبد المُعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد المُغنيّ بن عليّ الإسحاقيّ: لطائف أخبار الأوّل فيمَن تصرّف في مصر من أرباب الدُّوَل. تحقيق ودراسة: عبد الرّحيم عبد الرّحمن عبد الرّحيم. القاهرة: دار الكتّاب الجامعيّ، ط1، 2002م.

المَهْدَويّ، أبو العبّاس أحمد بن عمّار: شَرْح الهداية. تحقيق ودراسة: حازم سعيد حَيْدَر. الرّياض: مكتبة الرّشيد، 1415هـ/[1995م]، 2ج.

المَقْدِسي، أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن بن قدامة: مُخْتَصَر منهاج القاصدين. تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط. دمشق: دار البيان،1398هـ/1978م.

المَقْدِسيّ، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الشيباني: أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام. تحقيق: جابر بن عبد الله السريّع. الرّياض: دار التّدمُريّة، ط1، 1428هـ/2007م، 2ج.

المزّيّ، جمال الدّين: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق وتعليق: بشّار عوّاد معروف. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط1، 1983–1992م، 34مج.

النّهروانيّ، قُطب الدّين: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدّينيّة، ط1، 2004م.

النسّائيّ، أبو عبد الرّحمن أحمد بن علي بن شُعَيب بن علي بن سِنان بن بحر بن دينار: صحيح سُنن النسّائيّ. تحقيق: محمّد ناصر الدّين الألبانيّ. القاهرة: مكتبة المعارف، ط1، 1419هـ/1998م، 4مج.

النّيسابوريّ، أبو الحسين مُسلم بن الحجّاج: صحيح مُسلِم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، [د. ت.].

الهَيْثَمِيّ، أبو الحسن نور الدّين علي بن أبي بكر بن سليمان: مجمع الزّوائد ومَنبع الفوائد. تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني. بيروت: دار المأمون للتراث، [د. ت.]، 2مج.

ولد أباه، محمّد: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب. بيروت: دار الكُتب العِلميّة، ط2، 2008م.

ياغي، أحمد إسماعيل: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلاميّ الحديث. الرّياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1996م.

ياقوت الحَمَويّ، شهاب الدّين أبي عبد الله الرّوميّ البغداديّ: مُعجم البُلدان. بيروت: دار صادر، 1977م، 5مج.

فهرس الآيات

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة 285:2] 49

﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف 44:12] 87

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف 99:7] 93

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء 1:21] 40

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس 62:10] 92

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النّساء 77:4] 60

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة 214:2] 71

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عِمْران 19: 3] 95

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبة 40:9] 30

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّساء 97:4] 81

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النّجم 23:53] 46

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة 4:75] 43

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام 1:6] 94
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرّعد 28:13] 43
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف 157:7] 50
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح 1:48] 37، 103
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النّمل 4:27] 57
﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح 12:48] 46
﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء 5:21] 87
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفُرقان 1:25] 48
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة 74:2] 85
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون 99:23] 85
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون 100-99:23] 85
﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة 144:2] 79
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة 3:5] 41

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء 1:17] 50

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب 62:33] 75

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران 18:3] 49

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة 18:2] 85

﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التّوبة 83:9] 61

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القَصص 8:28] 49

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران 159:3] 97

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه 114:20] 42

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون 53:23] 51

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النّساء 41:4] 48

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص 76:38] 84

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون 1:23] 45

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المُجادلة 21:58] 75

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة 256:2] 32

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحِجر 88:15] 98

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون 100:23] 85

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبة 128:9] 97

﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النّساء 166:4] 94

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفَتْح 2:48] 103
﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عِمران 179:3] 74
﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح 13:71] 50
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ 46:41] 54
﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النّساء 80:4] 62، 63
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصّف 9:61] 97
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحَشْر 2:59] 43
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة 30:2] 84
﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب 26:33] 43
﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة 195:2] 67
﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب 46:33] 49
﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب 47:33] 45
﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكَهف 18:18] 95
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزُّمر 73:39] 92

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر 60:40] 99
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزُّمر 74:39] 93
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السّجدة 12:32] 98
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء 107:21] 97
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ 28:34] 49
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ 22:41] 47
﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النّجم 28:53] 47
﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام 38:6] 73
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه 124:20] 63
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحجّ 11:22] 35
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران 178:3] 44
﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود 45:11] 69
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء 85:17] 60
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ﴾ [التّحريم 8:66] 100
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب 45:33] 49

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التّوبة 73:9] 97

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمّد 7:47] 50

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة 54:5] 98

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرّوم 7:30] 60

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران 106:3] 100

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة 2:5] 99

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران 106:3] 100

فهرس الأحاديث النبويّة

(أبْسِطْ يدكَ أبايعكَ. فقال النّبيّ، ﷺ: عَلاَمَ تُبايعني؟ قال: على ما في نفسك) 65
(إذا جاءكم كريمُ قومٍ فَأَكْرِمُوهُ) 98
(أرجو أنْ يأتي مِن أصلابهم مَن يقولُ لا إله إلاّ الله) 83
(أصدقُ الرؤيا بالأسحار) 87
(أصدقُ الرؤيا ما كان بالنّهار) 87
(أصدقُ كلمة قالها الشّاعرُ لبيد) 85
(أفضلُ عبادة أُمّتي القرآن) 33
(أفضلُ ما تَقَرَّبَ إليّ به المُتقرّبون أداءَ ما افترضْتُهُ عليهم. ثمّ لا يزال العبد يتقرّبُ إليّ بالنّوافلِ حتى أُحِبَّهُ؛ فإذا أحببتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به وبصرهُ الذي يُبصِرُ به ويدَهُ التي يبطُشُ بها) 101
(فأخَذَ سُهَيْلُ بيده فقال: ما نعرف الرّحمن، ولا الرّحيم. أُكْتُبْ في قضيّتنا ما نعرف. قال: أَكْتُبْ باسْمِكَ اللّهُمّ، وكتبَ: هذا ما صالحَ عليه رسول الله أهل مكّة؛ فأمسكَ بيده وقال: لقد ظلمناكَ إنْ كُنْتَ رسوله. أُكْتُبْ هذا ما صالحَ عليه محمّد بن عبد الله. فبينا نحن كذلك، إذ خرجَ علينا ثلاثون شابًّا عليهم السّلاح؛ فثاروا إلى وجوهنا؛ فدعا رسول الله، ﷺ؛ فأخذَ اللهُ بأسماعهم) 75
(ألا إنّ في الجَسَد مُضغة إذا صلُحَت صَلُحَ الجَسَد كُلّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَد كُلّه، ألا وهي القلبُ) 43
(الأرواحُ يُعرَجُ بها إلى السّماء حتى يُوقَفُ بها بين يدي ربّ العِزّة فَيُؤْذَنُ لها بالسّجود. فما كان طاهرًا سجد تحت العرش وَسَلَى في منامه. وما كان غير طاهر، سجد قاصيًا) 87
(المؤمنُ نَكَامَةِ الزّرع) 101
(المنامُ على جناح طائر إذا قَصّ وقَعَ) 86
(إنّ آخر وَطْئَةٍ وطأها اللهُ بنوح) 81
(أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ) 66
(أُنْزِلَتْ عليّ سورة هي أحبُّ إليّ مِن الدّنيا وما فيها) 36
(تَزَوّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإِنّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ) 101
(جالِسوا العُلماء وزاحِموهم بالرُّكَبِ؛ فإنّ الله يُحيي القلوبَ بِوابلِ الحِكمة، كما يُحيي الأرضَ بِوابلِ المَطَرِ، وإحياء الأرضَ بِنَمَاء زَرعِها، كما هو ظاهر) 101
(ذهبت النُّبوّةُ وبقيت المُبَشّرات) 87
(رؤيا المؤمنِ جزءٌ مِنْ أربعينَ جُزْءًا مِنَ النبوَةِ، وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طائرٍ، ما لم يُحَدّثْ بِها، فإذا تَحَدّثَ بِها سقَطَتْ، ولا تُحَدّثْ بها إلّا لبيبًا، أوْ حبيبًا) 86

(عَجِبتُ مِن قومٍ يُقادُون إلى الجنّة بالسّلاسل) 98
(فإنّي مُباهٍ بِكُمُ الأُمَمَ يومَ القيامةِ) 101
(كلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له) 86
(لا يدخل النارَ أحدٌ مِمّن بايع تحت الشّجرة) 66
(لَمْ يسبقكم أبو بكر بكثير صلاة ولا بكثيرِ صومٍ ، ولكن بِشَيءٍ وَقَرَ في صَدْرِه) 44
(لَنْ يدخلَ أحَدٌ الجنّةَ بعملِه. قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا إلاّ أنْ يتغمّدنيَ اللهُ برحمته) 58
(لو مكثَ كذا وكذا ما طاف حتى أطُوف) 66
(مَنْ كَثَّرَ سَوادَ قَوْمٍ؛ فهوَ مِنهم) 81
(مَن لَمْ يسأل اللهَ يغضبْ عليه) 99
(هؤلاء خيرٌ منك ومِن أجدادك، يؤمنون بالله واليوم الآخِر. والذي نفسي بيده، لقد رضيَ اللهُ عنهم) 67
(هذه لِلجَنّةِ وَلا أُبَالِي، وهذه لِلنّارِ وَلا أُبَالِي) 86
(هُمُ المشركونَ مِن أجدادِ نَبِيِّ اللهِ وَمَنْ كانَ بَعْدَهُم وفِي عَصْرِهِم كانَ في أَصْلابِهِم قومٌ مؤمنونَ؛ فَلَو تَزَيَّلَ المؤمنونَ عَنْ أَصْلابِ الكَافِرِينَ لَعَذَّبَ اللهُ، تَعَالَى الكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) 83

فهرس السُوَر القرآنيّة

اسم السُّورة	رقم السُّورة في المصحف	عدد آيات السُّورة	مكيّة/مدنيّة	رقم الصّفحة في هذا الكتاب
البَقَرة	2	286	مدنيّة	9، 32، 49، 67، 71، 79، 84، 85
آل عِمْران	3	200	مدنيّة	95
النّساء	4	176	مدنيّة	48، 60، 63، 81، 83، 94
المائِدة	5	120	مدنيّة	48، 60، 63، 81، 83، 94
الأنعام	6	165	مكيّة	ط، 73، 78، 94
الأعراف	7	206	مكيّة	50، 93
التّوْبَة	9	129	مدنيّة	11، 13، 27، 30، 61، 97
يُونس	10	109	مكيّة	92
هود	11	123	مكيّة	69
يُوسُف	12	111	مكيّة	87
الرّعد	13	43	مدنيّة	43
الحِجْر	15	99	مكيّة	98
الإسراء	17	111	مكيّة	43، 50، 60
الكَهْف	18	110	مكيّة	9، 12، 13، 14، 16، 17، 19، 107
طـه	20	135	مكيّة	42، 63
الأنبياء	21	112	مكيّة	ط، 39، 40، 44، 49، 71، 87، 88، 96، 97
الحَجّ	22	78	مدنيّة	35، 92
المؤمنون	23	118	مكيّة	27، 42، 45، 48، 51، 60، 75، 82، 83، 85، 93، 94
الفُرقان	25	77	مكيّة	11، 30، 48
النّمْل	27	93	مكيّة	57
الرُّوم	30	60	مكيّة	72

السّجْدَة	32	30	مكيّة	98
الأَحْزاب	33	73	مدنيّة	43،45،49
سَبَأ	34	54	مكيّة	49
ص	38	88	مكيّة	5، 6، 7، 16، 29، 31، 84، 86
الزُّمَر	39	75	مكية	92، 93
غَافِر	40	85	مكيّة	99
فُصِّلَتْ	41	54	مكيّة	47، 54
محمّد	47	38	مدنيّة	ج، ز، ط، ك، 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 19، 27، 31، 32، 33، 35، 36، 37، 38، 41، 43، 50، 52، 66، 67، 76، 77، 79، 83، 85، 90، 91، 95، 96، 97، 102، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111
الفَتْح	48	29	مدنيّة	27، 37، 40،42، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 56، 57، 58، 60، 62، 63، 64، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 77، 78، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 88، 89، 93، 94، 95، 97، 98، 99، 100، 101
النّجم	53	62	مكيّة	46، 47
المُجادلة	58	22	مدنيّة	75
الحَشْر	59	24	مدنيّة	43
الصّف	61	14	مدنيّة	27، 97
التّحْريم	66	12	مدنيّة	100
نُوح	71	28	مكيّة	50
القِيامة	75	40	مكيّة	43

فهرس الدول

أرمينية 37
الأردن 80
الأندلس 88، 95
الحَبَشَة 52
الخلافة الإسلاميّة 13
الدّولة العثمانيّة 13، 15، 17، 19، 107
الرّوم 37، 60، 79
السّعودية 37
السُّودان 56
العراق 37، 56، 77، 79، 87
المغرب 2
الهِند 79
اليمن 67
إيران 65
تركمانستان 40
خراسان 65
سجستان 38
فارس 37، 61، 67، 72، 83، 90، 97
فلسطين 67، 76
ليبيا 37
مصر 2، 3، 4، 7، 8، 15، 16، 17، 19، 20، 56، 95، 107، 108، 109، 110، 111

فهرس الأشعار

ألاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلا اللهُ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لا مُحَالةَ زَائلُ 85

عِدِينِي بِوَصْلٍ وَامْطُلِي بِنَجَازِهِ فَعِنْدِي إِذا صَحَّ الهَوَى حَسُنَ المَطْل 88

فهرس الأعلام

آصاف 107

آل البكريّ 1، 12، 14، 15

آل الصدّيق 31

آل عثمان ط، 12، 16، 17، 19، 31

آل عِمْران 95

آمنة بنت مُحْصِن 66

إبراهيم 61، 62، 67، 70، 79، 89، 96، 106، 108، 109

إبراهيم حسن 62، 108

ابن أَبي الدّنيا 105

ابن أبي شَيْبَة 106

ابن الأبّار 88

ابن الأثير 64، 65، 67، 92

ابن الجَزَرِيّ 20، 66، 106

ابن الجَزَّيّ 105

ابنُ السرّاج 96

ابن العربيّ 83، 105

ابن العماد 105

ابن إِياس 105

ابن جُرَيج 70

ابن جرير 100

ابن حجر 33، 51، 76، 106

ابن حزم 56، 61، 70، 106

ابن حنبل 105

ابن خلدون 105

ابن خلّكان 105

ابن سعد 105

ابن سلول 74

ابن شهاب 35

ابن عبّاس 34، 52، 68، 70، 72، 79

ابن عبد البِرّ 106

ابن عساكر 77، 105

ابن عطيّة 33، 35، 83، 106

ابن عقيل 106

ابن غانم 4

ابن كثير 35، 52، 87، 90، 96، 105، 106

ابن كعب 39

ابن ماجه 87، 98

ابن مالك 96

ابن مسعود 34

ابن معصوم 3، 106

ابن منظور 29، 30، 31، 68، 69، 81، 83، 86، 87، 92، 96، 106

ابن هشام 37، 106

أبو الحباب 74

أبو الحُسين 66

أبو السّرور 1، 3، 4، 6، 7، 31

أبو الشّعثاء 52

أبو الطيّب 35
أَبو الفَرَج 107، 108
أبو القاسم 40، 67، 89، 90
أبو المعالي 90
أَبو المكارم 20،110
أَبو المواهب 3
أبو الوفاء 3
أبو الوليد 70، 76
أَبو بكر 35، 36، 105، 108
أبو بكر الصدّيق 61، 63
أبو جابر ج، ط، ك، 2، 3، 13، 16، 17، 107
أبو جمعة 80
أبو جندل 80
أبو حفص 37
أَبو حنيفة 90
أَبو حيّان 108
أبو خالد 70
أبو داود 38، 66، 86
أبو سعيد 40، 63، 77
أبو سفيان 65
أبو سنان الأسديّ 65
أبو عبد الله 38، 42، 52، 64، 67، 72، 76، 81، 88، 91، 95 ، 105، 107، 108، 109
أبو عقيل 85
أبو عليّ 97
أبو محمّد 33، 35، 106
أبو منصور 91
أَبو نُعيم 107
أبيض الوجه 1، 3
إحسان 105، 107، 111
أحمد عبد الغنيّ 109
إسرائيل 87، 96
أسلم بن صفوان 79
إسماعيل 31، 59، 61، 67، 70، 107، 109، 111
إسماعيل باشا 107
الأحابيش 64، 65
الأرناؤوط 36، 44، 105، 111
الأزرقيّ 79
الأستاذ الأعظم 90
الأستاذ الوالد 41
الإسحاقيّ 111
الإسلام 6، 8، 10، 11، 13، 30، 37، 52، 61، 62، 65، 67، 70، 72، 74، 76، 82، 85، 94، 95، 96، 101، 108
الأصبهانيّ 107
الأصمعيّ 91
الأَطروشيّ 4
الأعراب 27، 61
الأَكْوَع 66، 67
الألبانيّ 66، 101، 107
أُم المؤمنين 67، 78، 99
إمام 38، 42، 50، 70، 90، 91
الإمام الأعظم 90
الإمام مالك 50، 76
إمام الحَرَمَيْن 90
أُمّ قَيْس 66
أم كلثوم 52
أمير المؤمنين 2، 4، 10، 12، 13، 30، 31، 52، 101
أَنَسُ بنُ مالك 32
الأندلسيّ 95، 106
الأنصار 72
الأَنصاريّ 95، 106

أَنيس 107
باشا 3، 6، 107، 110
البُخاريّ 32، 36، 38، 43، 66، 67، 76، 77، 85، 86، 92، 94، 101، 107
البَدْر 32
البكريّ ز، ط، ك، 1، 2، 3، 4، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 19، 31، 41، 107، 109
البلاذريّ 71، 107
البلخيّ 34،96، 91، 108
البُورِينيّ 108
البيضاويّ 63، 64، 71، 73، 77، 81، 86، 94، 99
البَيْعَة 52، 53، 54، 65، 66
البَيْهَقِيّ 66، 87، 108
تاج العارفين ط، 3، 8
التِّرْمِذيّ 99
التَّمِيمِيّ 3، 105
التّوحيديّ 108
ثقيف 61
جابر ج، ط، ك، 2، 3، 13، 16، 17، 52، 81، 107، 111
جابر بن زيد 52
جار الله 40، 89
جَبْر 36
جبريل 33، 34، 96
جُبَيْر 36
جعفر الصّادق 33
جلال الدين 5
جمال الدّين 106، 108، 109، 111
جندل بن سُهَيْل 80
جُنَيْد بن سَبع 80
جهاد 27
الجاهليّة 52، 62، 70، 74، 76، 79، 80، 85، 86، 92
الجَبَرتيّ 108
الجزريّ 66، 105، 106
الجَوْزِيّ 108
حاجي خليفة 79، 108
الحافظ 72
الحاكم 76
حبيب الهُذلي 34، 91
حبيب بن سباع 80
الحجّاج 66، 111
الحجّاج بن مُسلم 66
حُذيفة بن حِسل 81
حَرب 108
الحسن بن أحمد 97
حسن ه، 2، 3، 62، 108، 109
حليمة السّعديّة 61
حمزة 7، 59
حُمَيْد بن سعيد 33
الحِمْيَريّ 65، 91، 106
الحنبليّ 4، 38، 41، 79، 91،92، 105، 108
حنيفة 18، 61، 90
حواس بن أُميّة 64
خادم الحَرَمَيْنِ الشّرِيفَيْنِ 12، 31
الخفاجيّ 2، 4، 108
الخاقان 12، 31
خضر 3
الخرّاز 40
الخُزاعيّ 64
الخزرجيّ 4، 32، 74، 95
الخطيب البغداديّ 35، 108

خالد 52، 70، 77، 108
خالد بن الوليد 77
الخوارزميّ 89
خليفة 12، 13، 31، 79، 108
خليفة الله 12، 13، 31
خير الدين 109
دانيال 87
الدنيا 42، 46، 58، 96
الدّوْيَانيّ 89
الذّهبيّ 108، 109، 110
ذو النّورَيْن 52
الرّازي 41، 42، 44، 53، 79
الرافعيّ 90
ربيعَة بن مالك 85
رقية 52
الرسول 27، 34، 37، 39، 45، 48، 50، 52، 53، 56، 57، 62، 71، 74، 77، 82، 84، 94، 97،95
روح القُدُس 66
الزُّبيْر ابن العوّام 72
الزّجّاج 96
الزّرقانيّ 109
الزِّرِكْليّ 4، 5، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 52، 77، 79، 95
الزّمَخْشَرِيّ 40، 48، 50، 51، 58، 62، 81، 82، 89، 93
الزُّهْرِيّ 35، 36
الزّيات 59
الزّيلعيّ 109
زين العابدين 3، 8
سالم 109
السّبتي 50
السّجستانيّ 38
السّخاويُّ 109
السّرْخَسِيّ 89، 109
السّرور ج، ز، ك، 1، 3، 4، 6، 7، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 31
السّريّ بن سهل 96
سعداويّ 111
السّعدي 2
سفيان الثّوريّ 91
سفيان بن سعيد 91
السّلطان 9
سلطان 2، 10، 11، 12، 13، 30، 73، 101
سَلَمَة بن الأكْوَح 52، 66
السُّلُوليّ 67
سُهيل بن عمرو 76، 80
سُورة 16، 17، 19، 27، 28
سليم ج، ط، ي، ك، 2، 3، 12، 13، 16، 17، 71، 107، 111
سليمان 4، 38، 67، 76، 105، 110، 111
السّيوطيّ 67، 109
الشّافعيّ 3، 4، 7، 76، 77، 89، 90، 91، 105، 109
شجرة سُمرة 66
شُرّاب 109
شلبي 3، 16، 20، 106، 109
شمس الدّين 105، 108
الشّعبيّ 65
الشّملان 109
الشّهاب بن القاسم 4
شهاب الدّين 2، 4، 108، 111
الشّوكانيّ 109
الشّيبانيّ 38

الصّابونيّ 27
الصّالح 48، 87، 109
الصبّاغ 1، 2، 3، 4، 8، 9، 12، 16، 17
صُبحي 109
الصدّيق 1، 6، 31، 37، 39، 61، 63، 71، 72، 77
الصدّيقيّ ز، ط، 1، 4، 5، 6، 7، 10، 12، 13، 15، 16، 19
صعصعة بن معاوية 65، 67
الصّلابيّ 109
الصّوفيّ 109
طائفة 33، 51، 85، 95
الطّبرانيّ 67، 80، 110
الطّبَريّ 37، 62، 71، 110
طَقُوش 110
عائشة 17، 33، 39، 52، 62
عامر 14، 39، 65، 71، 80، 106
عبّاس بن أبي ربيعَة 80
عبد الباقي 109، 111
عبد الحق 35
عبد الرحمن 2، 3، 5، 34، 35، 76، 77، 91، 92، 107، 109، 111
عبد الرّحمن بن أبي ليلى 72
عبد الرحيم 3، 6، 16، 109، 110
عبد العزيز 52، 70
عبد الغفّار 97
عبد الغنيّ ي، 20، 109، 110
عبد القادر 4، 5، 105، 111
عبد الكريم 90
عبد الله 1، 2، 4، 34، 35، 36، 38، 39، 42، 52، 59، 63، 64، 65، 67، 72، 74، 76، 77، 79، 80، 81، 83، 88، 89، 90، 91، 92، 95، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111
عبد الله ابن أُبَيَ 74
عبد الله بن عبّاس 34
عبد الله بن عمر 92
عبد الله بن عمرو 79
عبد الله بن مَعقل 76
عبد الملك 4، 70، 90، 107
عثمان ط، 9، 12، 16، 17، 19، 31، 39، 51، 52، 64، 65، 106، 107، 108، 109
عثمان بن عفّان 52، 64، 65
عدنان 56، 61، 65، 70
العراقيّ 33، 110
العرب 29، 30، 31، 39، 49، 50، 56، 61، 62، 68، 69، 70، 81، 83، 86، 87، 92، 96، 105، 106، 109، 110
العُزّى 84
عُزَير 61
العسقلانيّ 33، 51، 76، 81، 106
عطاء بن أبي رباح 79
عطاء بن أسلم 79
عكاشة بن مُحْصِن 66
عكرمة 65
عِكرمة بن أبي جَهْل 76
عليّ 1، 2، 3،4، 5، 6، 27، 34، 36، 59، 61، 64، 65، 76، 77، 83، 89، 97، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111
عليّ ابن أبي طالب 34، 76
علي باشا 110
عمر ي، 2، 4، 40، 42، 52، 63، 65، 77، 79، 89، 91، 92، 106، 108، 109، 110، 111

عمر بن الخطّاب 52، 92
عمرو 50، 66، 70، 76، 79، 80
عمرو بن العاص 79
عيسى ابن مريم 96
عيسى بن سَوْرة 66
عيلان 65، 70
عُيَيْنَة بن حُصَيْن 70
الغزّيّ 4، 7، 8، 41، 110
الغنيمة 62
الفارسيّ 37، 97
فاطمة 2، 3، 4
فخر الدين 42
فيروز 59، 76
الفَيْرُوزآبادي 79
القاضي 35، 50، 63، 76، 77
القاضي عيّاض 50
قتادة 48، 61، 72
قُحافة 39
قايماز 108
القرآن ح، ط، ي، 7، 9، 11، 13، 17، 32، 33، 34، 35، 36، 40، 52، 76، 77، 83، 91، 95، 96، 105، 110
القُرشيّ 2، 34، 36، 37، 72، 76، 77، 80
القُرطبيّ 95
القرمانيّ 9، 110
القزوينيّ 90
القُشيريّ 66
القضاعيّ 88
القُطب البكري 2، 41
القلقشنديّ 110
قُرَيش 35، 36، 39، 42، 51، 52، 56، 65، 70، 76، 80، 93
قيدار 61
قَيس 61
الكَانِدَهْلَوِيّ 110
كَحّالَة 110
الكسّائيّ 80
كعب بن ربيعة 65
لبيد بن ربيعَة 85
اللّات 84
ليلى 1، 2، 3، 5، 6، 8، 9، 12، 16، 17، 19، 72، 107
الماتُريديّ 91
المحاربيّ 35
المُحبّي 2، 4، 12، 15، 110
المخزوميّ 36، 76، 77
المسعوديّ 35، 36، 59، 110
المعافريّ 83
المُعتَزلة 33، 62، 91
المُعتصم بالله 12، 13، 31
المُغيرة 67، 77
المَقْدِسِي 111
المنصور 2، 42، 110
المنوفيّ 15، 111
المَهْدَوِيّ 111
مالك بن أنَس 91
مالك بن ربيعة 67
مالك بن عوف 71
مبارك 2، 5، 110
مُجاهد 36، 61، 70، 72
مجوس 61
محمّد ج، ز، ط، ك، 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 19، 27، 31، 32، 33، 35، 36، 37، 38،

41، 43، 50، 52، 66، 67، 76، 77، 79،
83، 85، 90، 91، 95، 96، 97، 102،
105، 106، 107، 108، 109، 110، 111
محمد الثّالث 9
محمّد الجُوَيْنِيّ 90
محمد العسيلي 4
محمود بن عمر 40، 89
مخزوم 2
مُراد 9، 10، 12، 31، 38، 52، 91، 101
مُراد الثالث 9، 12
مُراد خان 31
مُرْتَضَى 44، 109
مُسلم 35، 36، 58، 66، 67، 83، 111
مسلمة بن هشام 80
مُسَيْلَمَة 61
مُعين الدِّين 77
ملائكة 45
موسى 2، 50، 66
النّار 48، 57، 99
نبوخذ نصّر 87
نجم الدّين 4
النبيّ 32، 33، 34، 37، 39، 51، 52، 61،
62، 64، 72، 92، 96
النّسائيّ 76
النعمان ابن المُنذر 85
النّعمان بن ثابت 90
النّعمة 39، 40، 41، 42، 54، 69، 70
النَّور العسيليّ 4
نور الدّين 4، 111
نورة 109
النّيسابوريّ 66، 111
الهَدْي 67، 78، 99
هوازن 61، 67، 71، 72
هويدا 31، 110
الهَيْثَمِيّ 32، 66، 86، 111
وائل 65
الوالد 41، 90
ياغي 111
ياقوت الحَمَويّ 70، 111
اليَحْصُبيّ 50
اليَمان بن أبي حُذَيْفَة 81
اليهود 70

فهرس القبائل

القبائل الطائيّة 56
القبائل العربية 56، 61، 70
القبائل القَيسيّة 61، 70
قبائل عَيلان 61
قبائل الجاهليّة 70
قبائل طَيء 70
قبائل قُضاعة 56
قبائل قَيس 61
قبيلة أسد 70
قبيلة أَسْلَم 65
قبيلة بنو حنيفة 61
قبيلة ثقيف 61
قبيلة جُهينة 56
قبيلة شَمّر 56
قبيلة غطفان 70
قبيلة غفار 56
قبيلة قَيْس 35، 61
قبيلة هوازن 61
قبيلة بنو مخزوم 2

فهرس المُدن

إسطنبول 1، 7، 10، 19
إشبيلية 83
أصبهان 79
البَصْرَة 32، 38، 52، 61، 62، 72، 91
الرّملة 76
الرّي 42
الرِّياض 61، 106، 109
الطائف 61، 71
القاهرة 5، 6، 7، 16، 20، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111
القُدس 37
الكُوفة 59، 65، 90، 91
المدائن 81
المدينة 7، 27، 35، 36، 39، 52، 56، 57، 64، 66، 70، 74، 77، 90، 91، 93، 105
المدينة البيضاء 64، 77
المدينة المُنَوَّرَة 39، 52، 70، 77، 90، 91
أُوندا 88
إيج 77
بخارى 67
بغداد 35، 38، 40، 65، 90، 96، 97، 108، 110
بِلِنْسيَة 88
بيت المقدس 76، 87
بَيْهَق 65
جرجانية 40
جُند 79
جُوَيْن 90
حَلَب 97
حمص 77
حُنَيْن 38، 66، 67
خَرْتَنَك 67
خوارزم 40
خَيْبَر 37، 38، 59، 70، 71، 73، 93، 94

دمشق 5، 19، 71، 76، 105، 107، 108، 111
زُبَيْد 79
زَمَخْشَر 40
سَبْتَة 50
سبزوار 65
سَمَرْقَنْد 91
شيراز 64، 77، 79
طبرستانك 42
طبريّة 67
عكّا 67
عمّان 13، 17، 107، 109
عمواس 80
غرناطة 35، 50
فَسَا 97
قُرْطُبة 95
قزوين 90
كارِزين 79
مَاتُرِيد 91
مرّاكش 50
مكّة 27، 37، 38، 39، 56، 64، 65، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 82، 84، 85، 88، 91، 92، 93، 94، 107
منى 80
مَلَك 33، 88
نَجْد 85
نَيْسَابور 65

فهرس الأماكن، الوقائع والأنهر

الجزيرة العربيّة 61
الحجاز 56، 66، 67، 70، 71
الحُدَيْبِيَة 27، 36، 37، 51، 56، 58، 59، 60، 66، 71، 77، 93، 94، 96
الحَرَمَيْنِ الشّرِيفَيْنِ 12، 31
الشام 105
القادسيّة 71
القِرافة 3
الكعبة المُشَرّفة 12
الكِنانة 11، 13، 30
المدرسة الكوفيّة 59
المسجد الحرام 71، 79
المكتبة السُّلَيْمانيّة د، ك، 10، 19
بيت الله 11، 12، 13، 30، 31، 42، 111
بيعة الرِّضوان 27
بَيْعَة الشّجرة 51
تَحْتَ الشّجرة 66
تِرْمِذ 66
حربُ الرِّدّة 71
حرم الله 12، 13، 30
حُرُوْبُ الرِّدّةِ 62، 77
خَيْبَر 37، 38، 59، 70، 71، 73، 93، 94
سُبُل القِبْلَتَيْنِ 12، 31
صُلح الحُدَيْبِيَة 27
غزوة الحُدَيْبِيَة 51
فَتْحُ خَيْبَر 37
فَتْحُ مكّة 27، 94
كُراع الغميم 27
معركة أُحُد 71
معركة الجَمَل 72
معركة اليرموك 76
معركة بَدْر 72، 74
نَجْد 85
نهر جيحون 70
الأوطان 11، 13، 30
وَقْعَةُ بئر معونة 71
اليمامة 61
يوم الحُدَيْبِيَة 27، 66، 77
يوم حُنَيْن 71

هذا الكتاب عبارة عن تحقيق علمي لـ«تفسير سورة الفتح» للمفسّر محمّد أبي السرور البكريّ الصدّيقيّ، العلّامة الصوفيّ المصريّ البارز في القرن السادس عشر للميلاد. يشمل هذا الكتاب أيضًا السيرة الذاتيّة للمفسّر وأسرته، آل البكريّ الصدّيقيّ. يعتمد هذا الكتاب على مخطوطةٍ تُوجد النُّسخة الأَصليّة لها في المكتبة السُّلَيْمانيّة في إسطنبول. يمثّل هذا التفسير مدرسةً في الفكر الإسلاميّ لم يُكتَب عنها كثيرًا والتي اهتمّ بها في ذلك العصر العُلماء بتأييد سلاطين الخلافة العثمانيّة. يقدّم الكتاب النصّ العربيّ الأصليّ للمخطوطة مع تحقيق وتعليق، إضافةً إلى ملخّص باللغة الإنجليزيّة.

سليم أبو جابر (دكتوراه جامعة تل أبيب، ٢٠٠٣)، محاضر أوّل ورئيس قِسم اللغة العربيّة وآدابها في الكلّيّة الأكاديميّة أحفا. نشر كتبًا ومقالات في مجال الأدب العربيّ والدراسات الإسلاميّة. صدر له مؤخّرًا بالإنجليزيّة كتاب «الفكر السياسيّ عند حسن الترابيّ» (بيتر لانغ ٢٠٢١).

This is a scholarly edition of Muḥammad Abū al-Surūr al-Bakrī al-Ṣiddīqī's *Exegesis of Sūrat al-Fatḥ*. Al-Ṣiddīqī was a prominent Sufi scholar in Ottoman Egypt in the 16th century. The edition includes a biography and family history of its author. The book is based on a unique manuscript found in the Süleymaniye Library in Istanbul and represents a lesser-explored philosophical school of thought within Islam, which enjoyed the patronage and endorsement of the Ottoman caliphate of the time. It presents the original Arabic text and a commentary in Arabic, as well as an English introduction.

Saleem Abu Jaber, Ph.D. (2003), Tel Aviv University, Senior Lecturer, Head of the Department of Arabic at Achva Academic College. He published books and articles on Arabic literature and Islamic studies, including *The Political Thought of Hasan al-Turabi* (Peter Lang, 2021).

9 789004 412583